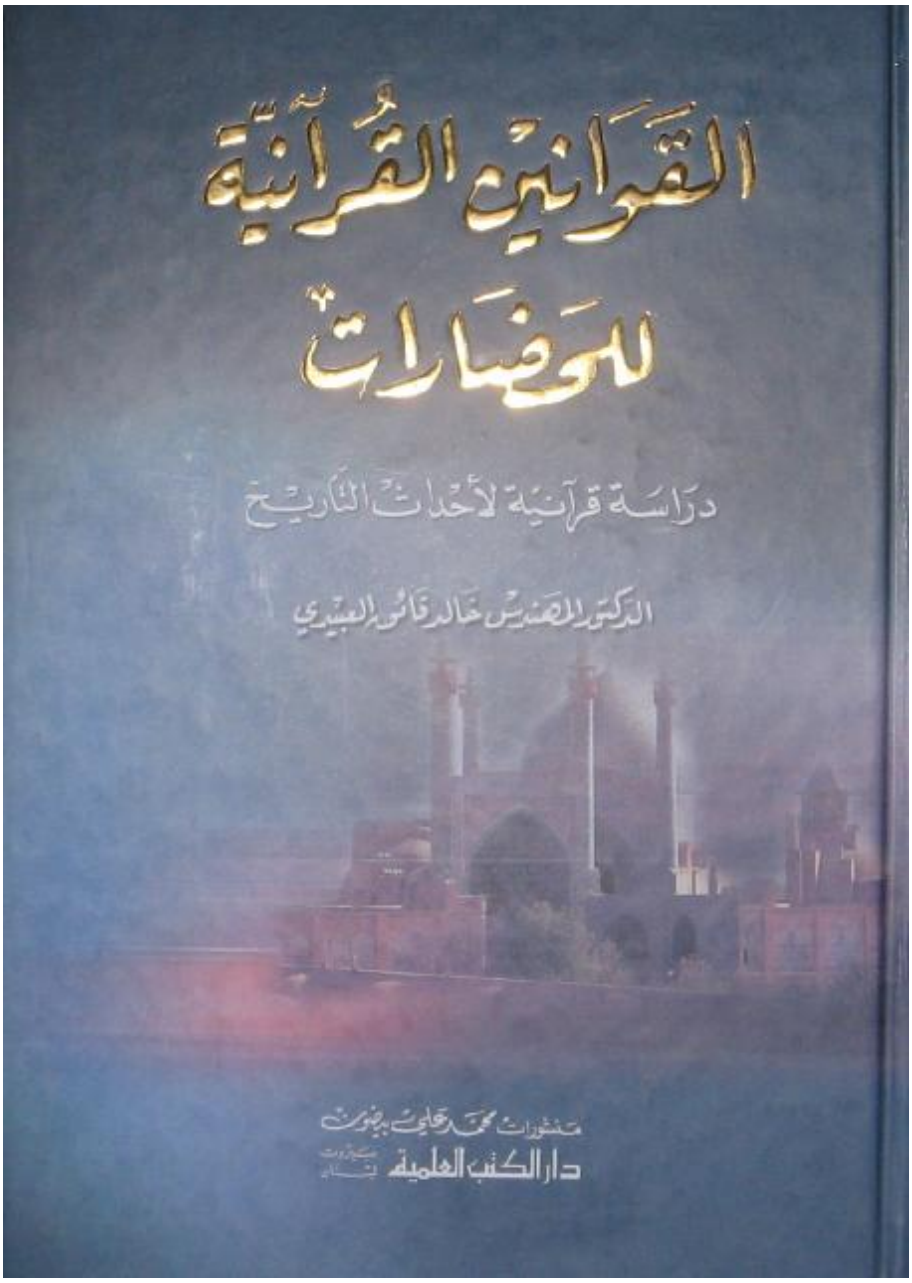

الطبعة المفصلة- طبعة دار الكتب العلمية - بيروت

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

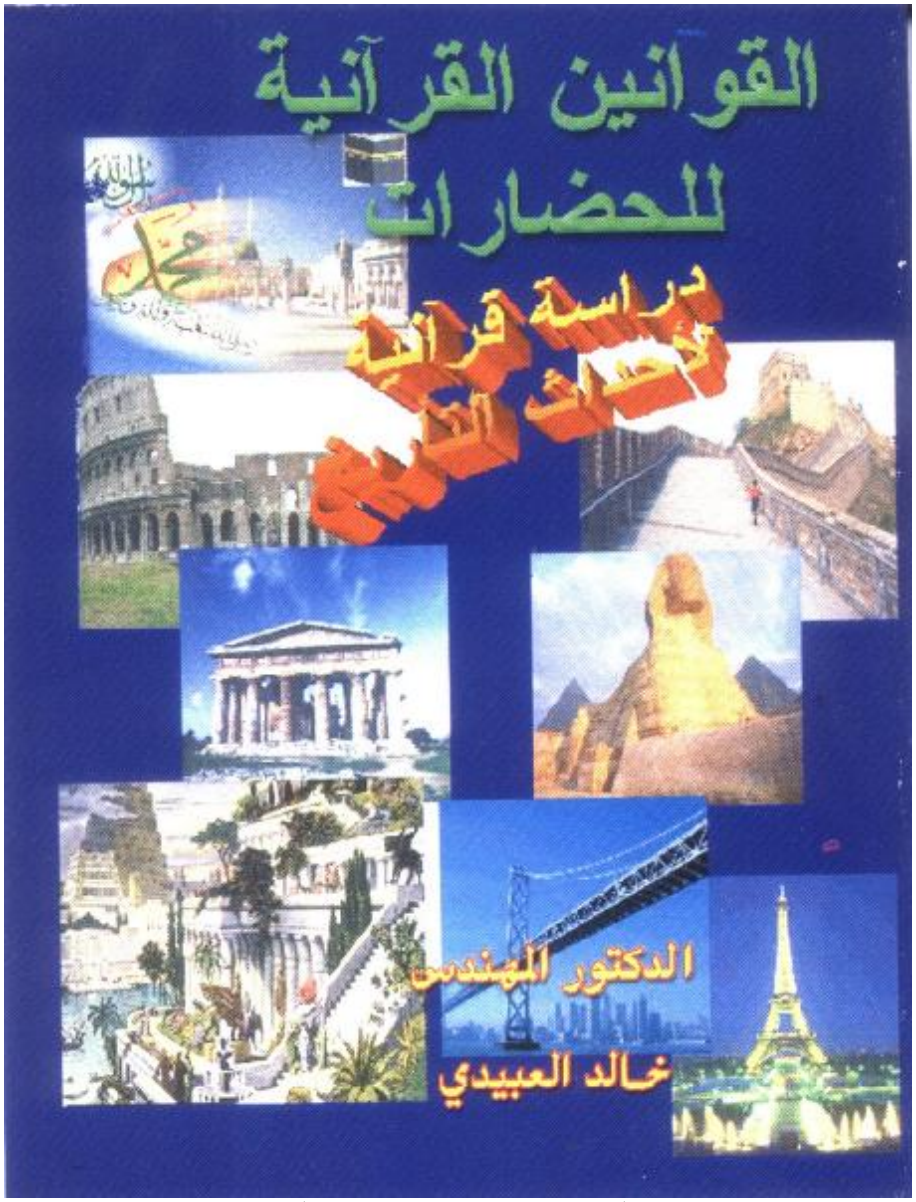

الطبعة المختصرة ــ طبعة بغداد

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات

دراسة قرآنية لأحداث التاريخ

الدكتور المهندس
خالد العبيدي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى روح من أرسله الله رحمةً للعالمين، إلى خير معلم وأشرف رسول، إلى روح سيد الأولين والآخرين رسول الله المصطفى سيدنا **محمد** ρ.وإلى أرواح إخوانه من الرسل والأنبياء أجمعين والى أرواح آله الطيبين الطاهرين وصحابته المجاهدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين, وإلى أرواح شهداء الأمة على مر العصور الذين رووا بدمائهم الزكية الأرض لتكون كلمة الله هي العليا, وإلى أمتي ووطني وأهلي .

إلى من هي نفحة من رحمة الله تعالى التي حملتني من وهن وأعانتني من ضعف، وإلى الوالد الذي كان لي السند في كل الشدائد، عسى الله أن يجعل هذا العمل صدقة جارية لهما وأن يغفر لي تقصيري في حقهما, وإلى كنز الحياة الدنيا الزوجة العزيزة التي كانت لي نعم العون بعد طول عناء, وإلى أولادي الأحباء عسى الله أن يجعلهم من أهل الصلاح والخير.

راجياً من الله أن يتقبله عنده وأن يجعله كله خيراً ويكون ذا فائدة جمّة للناس أجمعين...

المحتويات

المحتويات.
المقدمة.
الباب الأول: تمهيد.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

الفصل الأول: المثل القرآني.

الفصل الثاني: الحضارة.

الحضارة عموماً.

الحضارات الواردة في القرآن الكريم.

المفردة الحضرية والعمرانية في القرآن الكريم.

الحضارة الإسلامية وبعض خصائصها.

النظام الاجتماعي في الإسلام.

النظام القضائي والتشريعي الإسلامي.

منزلة المرأة والأسرة في الإسلام.

منزلة الوالدين في الإسلام.

النظام الاقتصادي في الإسلام.

الذوق والسلوك الراقي في الإسلام.

المواصفات القرآنية للنفس البشرية.

الباب الثاني: القوانين القرآنية للحضارات.

الفصل الأول:الأمر القرآني بإقامة الحضارة البشرية (قوانين استخلاف البشر وعمارة الأرض).

١-قانون العبودية والعبادة لله رب العالمين.

٢- قانون التكريم.

٣-قانون الابتلاء والامتحان(المشهد الأول لمثال الشلال).

٤- قانون تشكل الأمم والحضارات.

٥-قانون الخلافة والاستخلاف.

٦-قانون عمارة الأرض بما يرضي الله ويقيم مصالح العباد.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

الفصل الثاني:القوانين العامة للحضارات والأمم (القرى والقرون)

في القرآن الكريم.

١- قانون الآجال الموقوتة.

٢- قانون الخلاف والاختلاف.

٣- قانون الدرجات والتسخير.

٤- قانون العذاب.

٥- قانون المترفين والأكابر.

٦- قانون البطر.

٧-قانون التدافع والتصارع(المشهد الثاني لمثال الشلال).

استشهاد تاريخي.

الفصل الثالث:قوانين الاستثناء.

١- قوانين الاستثناء العام لكل الأمم.

٢- قوانين الاستثناء الخاص بأمة الإسلام.

رحلة تاريخية مكوكية.

٣- قانون الاستبدال.

استشهادات أخرى.

الفصل الرابع: قوانين البناء الإنساني والدعوة للخير وما ينتج عنها.

أ- قوانين البناء الإنساني والدعوة للخير .

١- قانون الدعوة بالحكمة.

٢- قانون التغيير والنقد الذاتي.

٣- قانون التشاور والتناصح.

ب- القوانين القرآنية في ما ينتج عن النوع الأول .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"
١- قانون الابتلاء للأمة.
٢- قانون المؤامرة.
٣- قانون الفتن المتلاحقة.
العلامات الكبرى وظاهرة الدجال.
الفصل الخامس:قانون الأمم والتاريخ (سنة الله في الأرض).
١- قانون الروم والفرس.
٢-قانون بني إسرائيل.
الباب الثالث: النتيجة
الفصل الأول: قانون الإصلاح.
الفصل الثاني: سبل الحل.
ميكانيكية العمل.
الفصل الثالث (المشهد الثالث لمثال الشلال):الخاتمة (قانون النصر).

المصادر والمراجع
أعمال للمؤلف و مشاريع كتب للمؤلف.
السيرة الذاتية للمؤلف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمين وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا يخفى عليكم أخوتي وأخواتي القراء الكرام أن ما تمر به أمتنا من محن وابتلاءات ونكسات ليذهب بالألباب ويجعل أكثر الناس تفاؤلاً محبطاً متشائماً متألماً لما آل إليه حال المسلمين بعد احتلال العراق وأفغانستان والتهديد باحتلال دول أخرى، وحالة التشرذم والفرقة التي نمر بها.

ولكن رغم كل هذه المرارات والهزائم التي شهدتها الأمة في الفترة الأخيرة، نجد أن التاريخ يثبت لنا أن هذه الأمة كلما بدأت بالنهوض بعد كبوات تمر بها، كانت بداية النهوض زوابع مهولة تمر بها الأمة من الداخل والخارج.. فهل يا ترى ستكون هذه الزوابع التي نمر بها بداية رجوع الأمة إلى عزها؟.

نحن معشر المسلمون لا نعرف اليأس والإحباط لأن ذلك ببساطة ليس في قاموسنا، فنحن نعلم أن الأقدار قد قدرت قبل خلقنا من قبل الله تعالى، { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)}، (الحديد)..

البارئ والخالق من أسماء الله الحسنى، والخالق لغة هو المقدّر الموجد المبدع، والله جل وعلا قدّر الأشياء تقديراً دقيقاً محكماً وفق علمه المحيط وإرادته النافذة، وقدرته التامة، وأوجدها من العدم إيجاداً بديعاً على غير سابق مثال.. والبارئ هو المصلح الذي يعطي كل شيء ما يناسبه من الخلق والتكوين والتسوية وفق علمه وإرادته

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقدرته، والبرء لغة هو معناه القطع والفصل والإصلاح، ويقول علماء اللغة (برأت العود وبروته) إذا وقطعته ونحته وبريت القلم إذا أصلحته وأعددته للكتابة، وبرئت من المرض إذا تماثلت للشفاء وسلمت من الآفات وأصبحت سوياً معافى.. فالخلق إذن هو التقدير والإيجاد والإبداع، والبرء هو الإصلاح والتسوية والتعديل وهو من الإبداع الذي يوجد الشيء من العدم على غير مثال سابق[١].

ولأن خالق الشيء يخلقه أو يكونه من عدم أو من شيء آخر، وبارئ الشيء ترتيبه وتسويته وتعديله وإصلاحه أو شفاؤه كما في حالة المرض، فقد تعطى هذه الصفات لإنسان معين بإذن الله تعالى كما في قوله تعالى في وصف ما أعطي سيدنا عيسى من معجزات في الخلق والبرئ { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}، (المائدة:١١٠). وكما في قوله تعالى {...فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }، (المؤمنون: من الآية١٤).. { أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ}، (الصافات :١٢٥)..

والمعنى في قوله تعالى من (قبل أن نبرأها)، أي من قبل أن نسويها أو نبدعها، وقد يكون المعنى من قبل أن نوجدها من عدم، والضمير يعود على الأرض من نفس الآية، والله أعلم.. وعليه يكون المعنى هو عندما كان كل شئ في هذا الكون من مخلوقات في حالة العدم في عالم الذر وعالم الأرواح، وقبل أن تخلق الأشياء لتكون الكون والأرض والبشر في عالم الوجود، فإن الله تعالى يعلم بعلمه

---

(١) أسماء الله الحسنى أسرارها وصفاتها، الدكتور محمد بكر إسماعيل، ص ٥٥-٥٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السابق للأشياء ما سيكون من كل المصائب التي تصيب كل فرد من خلقه منذ بداية الخلق وحتى آخر إنسان يتبقى قبيل الساعة فضلاً عن المصائب والكوارث في الطبيعة والأرض والبحر والأفلاك، فكل شيء عنده مقنن بمقدار محسوب.

ثم أنه تعالى قائم على أمور الكون في كل ثانية، فهو قيوم السماوات والأرض الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وقد تعهد بحفظ هذه الأمة وهذا الدين، وهو لا يخلف الميعاد، فكل ما جرى ويجري من أحداث بعلمه المسبق وقيوميته الحاضرة، وهو سبحانه لن يترك هذه الأمة ولن يخذلها.. وأن المصائب قد جعلها الله تعالى للاختبار والابتلاء والتمحيص، {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}، (الأنبياء:٣٥)..{.. وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً }، (الفرقان: من الآية٢٠).

ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي فيما يروي رسول الله ρ عن ربه جل وعلا: قَالَ رَسُولُ الله ρ:(**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَه: اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ: اكْتُبْ الْقَدَرَ، مَا كَانَ، وما هو كائنٌ إلى الأبد)**. رواه الترمذي وقَالَ الألباني: صحيح (صحيح الجامع: ٢٠١٧)..

وشرح الحديث كما بينه الإمَامُ ابن كثير في البداية والنهاية :(الذي عليه الجمهور أن العرش مخلوقٌ قبل ذلك وهذا هو الذي رواه مسلم في صحيحه حيث قال: " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء ".. فقالوا فهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير، وقد دَلَّ هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش فثبت تقديم العرش على القلم الذي كتب به المقادير كما ذهب إلى ذلك الجماهير. ويُحْمَلُ حديث القلم على أنه أوَّل المخلوقات من هذا العالم) .. وقَالَ الإمَامُ القرطبي في الجامع لأحكام القرآن :(قَالَ ابن عباس رضي الله عنه: هذا قَسَمٌ بالقلم الذي خلقه الله؛ فأمره فجرى بكتابة جميع مَا هو كائن إلى يوم القيامة، قال:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهو قلمٌ من نور، طوله كما بين السَّمَاء والأرض، ويُقَال. خلق الله القلم ثم نظر إليه فأنشق نصفين، فقال: أجرِ، فقال: يا رب بِمَ أجري ؟ قال :بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة؛ فجرى على اللوح المحفوظ).. وقَالَ الإمَامُ القرطبي :(وقَالَ غيره: فخلق الله القلم الأوَّل فكتب مَا يكون في الذكر ووضعه عنده فوق عرشه، ثم خلق القلم الثاني ليكتب به في الأرض)..

وهكذا أخي الكريم نحن أمة الإسلام لا نعرف اليأس لأننا نعرف أن الله تعالى خالقنا وهو سبحانه وتعالى الذي ارتضى لهذا الدين أن يكون الدين الخاتم والقانون التام الذي يحكم به البشر، وقد تعهد بحفظه وإيصاله إلى كل الأمصار والديار في كل الأرض وعلى مدى الزمان حتى يرث الأرض ومن عليها.

لذلك فإن هذه الأمة كلما مرت بها الزوابع على اختلاف أنواعها وصورها لتسقطها، تجدها تنهض لتواصل العمل الجاد والمثابرة الموشحة بالنَفَس الطويل، ولتكمل المشوار الذي وكّل بها بحمل أمانة الدعوة والتبليغ حتى وإن اختلفت التقنيات والأساليب. والذي حصل مؤخراً من زوابع عاتية هزت الأمة وكيانها لهو المؤشر الأكيد لبداية نهضة الأمة على طريق عزها من جديد، هذا الطريق هو طريق الإسلام الذي كما قال سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو في طريقه لتسلم مفاتيح بيت المقدس، ما إن ابتغينا غيره إلا وأذلنا الله تعالى، وهو ما حصل لنا تماماً طيلة العقود العشرة المنصرمة.

هذا الكتاب الذي بين يديك يوضح لك الخطوات لذلك الصعود الجديد، إن كان على أعين البعض غشاوة أو في قلوبهم مثقال ذرة من شك، كما ويبيّن كيف يرسم القرآن الكريم والسنة المطهرة الأسلوب العام لصعود الحضارات وزوالها، وما هي الاستثناءات الخاصة بالأمة الإسلامية، وأسباب كل ذلك، عسى أن نتعظ ونأخذ الدروس والعبر من أحداث التاريخ والأمم كما يقول الشاعر:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولكن قبل أن نوضح الصورة لكل من تشوش عليه البصر واختلت عنده الصور، علينا أن نذكر بأن المسلم تتأتى خبرته وحكمه على الأمور من القرآن الكريم قبل تجربته الشخصية بل وقبل تجارب الأمم والشعوب، فمعلوم أن الرائي من خلال ثقب صغير لا يرى إلا من خلاله فيكون حكمه على ما يرى، وإذا أصبح الثقب نافذة أصبحت زاوية النظر أكبر فكانت الرؤيا أوضح والحكم على الحقيقة أكثر موضوعية، وهكذا كل ما زادت زاوية النظر زادت دقة الحكم على النتيجة حتى إذا ما كانت الزاوية أكبر ما يكون فستكون نتيجة النظر والحكم الأكثر دقة. ومن هذا المفهوم فإن القرآن الكريم يعطيك زاوية النظر الكاملة للحقائق.

فمن المثل والسرد والقانون القرآني نأخذ الحكم الدقيق والخبرة في الحكم على الأحداث بما يغنينا عن نظرتنا المجردة { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}، (آل عمران:١٣٧)، وعندها سنعرف القوانين القرآنية التي أثبت التاريخ صحتها على مر العصور والدهور كي نفهم أين نحن وإلى أين نسير وكيف الحل والأخذ بالأسباب للنهوض.. { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }، (الزمر : ٢٧).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وتمام الصلاة وأكمل التسليم على من بعث رحمة وإنقاذاً لهذه الأمة وآله صفوة الخلق الطيبين الطاهرين وصحبه الغر المحجلين ومن تبعهم إلى يوم نلقاه أجمعين.

الساعي لرحمة ربه مؤلف الكتاب

١٥ ـ شعبان ـ ١٤٢٤هـ

١١/ تشرين أول/ ٢٠٠٣م

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباب الأول
تمهيد

الفصل الأول:
المثل القرآني

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

الفصل الأول

المثل القرآني

المتدبر في الأسلوب القرآني في ضرب المثل يجد أن الله تبارك وتعالى يضرب المثل العلمي فيما حولنا من سماء وماء ومواد وأحياء كمرآة عاكسة لحالة اجتماعية تتعلق بالبشر ليعطي القانون العام الذي يحكم حالتي المضروب والمضروب به. وفي هذا أمثلة كثيرة كما في قوله تعالى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }، (البقرة:٢٧٥).. { مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، (آل عمران:١١٧).. { وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}، (الأعراف:١٧٦).. { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، (يونس:٢٤) .. { مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ }، (إبراهيم:١٨) .. { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً }، (الكهف:٤٥)..{ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}، (العنكبوت :٤١)..{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}، (الحج : ٧٣)..

من نظرة سريعة للتاريخ تجد أن هناك حضارات تبرز وحضارات تضمحل وأخرى تزول، ثم ما تلبث أن تعاد دورة أخرى لأمة أخرى وهكذا وكأن هناك قانوناً لدورة الحضارة في التاريخ يشبه دورة المياه في الطبيعة. فنظرة إلى شلال المياه سواء كان طبيعياً أو صناعياً من صنع الإنسان تجد مياهاً تسقط بقوة من أعلى إلى أسفل وفي منطقة التقاءها بالبحيرة التي تصب فيها ترى اضطرابات مرعبة من المياه يتملكك الهلع من مجرد النظر إليها لشدة قوتها، ثم تبدأ المياه تدريجياً بالهدوء حتى تصبح رقراقة خلابة تعكس ضوء الشمس يشعر الناظر إليها بالغبطة والمسرة، لتبدأ بعدها رحلة جديدة تصب في الأنهار فالبحار لتتبخر بعدها ثم تنزل مطراً لتصب في الجدول الذي يؤدي إلى الشلال نفسه وهكذا. من هذا المنطلق يمكننا فهم لماذا عبر جل وعلا عن وضع الناس قرب يوم القيامة بقوله سبحانه: {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً}، (الكهف:٩٩)، فشبه الناس يومئذ بموج البحر، موجة تصعد وأخرى تهبط.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المنظر العام لسقوط الشلالات

بإمكاننا أن نستخدم طابع التوحيد في الخلق، فالظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تشبه إلى حد كبير الظواهر الطبيعية التي جعلها الله تعالى عبرة لكل ذي عقل سليم. فلو مثلنا المشهد أو المنظر الأول لنزول الشلال هذا بنزول الأقدار والمحن والابتلاءات، ثم مثلنا المشهد أو المنظر الثاني لاضطرابات المياه بين دقائقها عند ارتطامها بالبركة تحت الشلال بصراع الأمم والحضارات والدول، فدولة أو أمة تصعد وأخرى تنزل كما أن الأمواج تصعد وتنزل، ومن ثم يؤول الأمر إلى دولة وحضارة لتسود إلى ما قدر الله من زمن وهذه بالضبط هي تلك الدقائق المكونة للمسيرة الرقراقة في نهاية مطاف الجدول في المشهد أو المنظر الثالث في المثال آنف الذكر، لعلمنا أن زاوية نظرنا للأحداث يجب أن تتسع لتتعدى مجرد النظر لما هو حاصل اليوم إلى ما هو أوسع من ذلك وأشمل.. هذا ما نجده في القوانين الشاملة والخالدة التي أبرزها القرآن الكريم، فلله الأمر من قبل ومن لعد والله غالب على أمره ولكن أكثرهم لا يعلمون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المشهد أو المنظر الأول : تدفق ونزول المياه من أعلى إلى أسفل

المشهد أو المنظر الثاني : تلاطم أمواج المياه عند الالتقاء بالبركة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المشهد أو المنظر الثالث : استقرار الماء وانسيابيته

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني
الحضارة
وتعاريفها

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني

الحضارة[1]

الحضارة عموماً:

إن الكلام عن الحضارة يتشعب في كتب التاريخ والفلسفة والآداب والسياسة والجغرافية والعلوم، إذ أحصى عالمي الأنثروبولوجي (علم الإنسان) ألفريد كوبر وكلايد كلوكوهون عام ١٩٥٢م ما يزيد عن ١٦٤ تعريفاً للحضارة في اللغات. وقد اختلف الباحثون تبعاً لمدارسهم الاجتماعية والتاريخية في تحديد معنى الحضارة (Civilization)، والمدنية (Citizen)، والثقافة (Culture)، فهم قد يجمعون بينها وقد يفرقون. بعضهم يعطيها معنى شمولياً كلياً يشمل نشاطات الإنسان كافة، وبعضهم يحصر المضمون الحضاري بمعنى الثقافة، ويستعمل المدنية بمعنى الحضارة التي تمثل الجانب المادي وحده، أي أنهم يذهبون إلى أن الحضارة مرادفة للمدنية، والثقافة تمثل الجانب الفكري والنشاط الإنساني والذوق الفني. والحضارة كل عام يشمل محصلة النشاط الإنساني، ومظاهرها تشمل النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني والفكري والعلمي والسياسي والفني والأدبي وغير ذلك.

كلمة الحضارة نقلت إلى العربية من اللغات الأوربية فانتقل المفهوم الغربي إلى لفظ الحضارة العربي وأيضاً إلى لفظي المدنية والثقافة عبر ترجمة لفظ (Civilization) والتي تعود إلى اللفظ اللاتيني (Civits)، وأيضاً عبر ترجمة لفظ (Culture) والتي تعود إلى الجذر اللاتيني (Cultura). هذين المفهومين تطورا عبر العصور بدءاً من العصر اليوناني والروماني وانتهاءً بالعصور اللاحقة الوسطى والمتأخرة, وقد انتقلا في اللغات الأوربية الإنكليزية والألمانية والفرنسية وغيرها, فمثلا في الإنكليزية وحسب معجم

(١) بإمكان القارئ الكريم الرجوع إلى كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، ففيه تفاصيل مهمة في موضوع الحضارة وتعريفها.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أوكسفورد يعود أول استعمال لهذه الكلمة إلى سنة ١٨٠٥م. ثم انتقلت إلى العربية عبر التراجم العربية للكتب الأجنبية في عهد محمد علي باشا أوائل القرن التاسع عشر الميلادي وتأثر الكتّاب اللاحقين بهذه الكلمة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. أن المفهوم الغربي خرج من كلمتين تدل إحداهما في أصل معناها على الفلاحة (غرس ثم إنماء ثم حصد)، وتدل الأخرى على النسبة إلى المدينة، بينما خرج المصطلح العربي (حضارة) من منطلق أن الحضر هم خلاف البدو فكلمة الحضارة تدل على الاستقرار الذي تنشأ عنه المدينة، الأمر الذي لا تحققه البداوة [١]..

يعرف ول ديوارنت الحضارة أنها نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وهي تتألف من أربعة عناصر: الموارد الاقتصادية، النظم السياسية، التقاليد الخلقية، متابعة العلوم والفنون. كما وأن لها عوامل عدة منها العوامل الجيولوجية والجغرافية والاقتصادية والثقافية[٢].

إنَّ الحضارة مفهوم يبحث في النشاط الإنساني وإنجازاته في فترة زمنية بما يحقق ذاته وسعادته ويكيفه مع بيئته ويميزه من غيره، باعتباره مخلوقاً اجتماعياً مختلفاً عن الحيوان، وعليه فإن عناصر هذا المفهوم هي الإنسان - البيئة - الزمن.. محصلة الحضارة البشرية هو المزج بين مصطلحات الحضارة والمدنية والثقافة مع إضافة مصطلح المعرفة الإنسانية (Knowledge) لتلك النشاطات كلها، ولعل مصطلح العمران قد يكون بديلاً يعطي المعنى الصحيح

---

(١) انظر كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، ص (٥٠-٥١).. وانظر وبحث الحضارة للأستاذ خالد أبو الفتوح، مجلة البيان، العدد ١٤٦، شوال ١٤٢٠هـ-يناير/فبراير ٢٠٠٠م، ص١٢٨-١٣٧.

(٢) انظر قصة الحضارة لـ وول ديورانت، ج١، ص ٣، ط ٣، الصادرة عن الإدارة الثقافية للجامعة العربية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للمفهوم الغربي لهذه الكلمة بدلاً من كلمة الحضارة [1].

وقد مرت بالبشرية حضارات عظيمة التأثير وأخرى أقل تأثيراً، وكل واحدة لها مميزاتها وسماتها. ولعل أبرز حضارة تعدى تأثيرها الزمني في حقب حكمها ومجدها إلى وقتنا الراهن تبرز الحضارة الإسلامية كعلامة فارقة في تاريخ البشرية.

الحضارات الواردة في القرآن الكريم

وقد ذكر القرآن الكريم قصص بعض الحضارات، فيما أشار إلى بعض آخر، بينما أشر بالعموم حالات وأحوال لحضارات أخرى.. من بين تلك الحضارات التي فصّل فيها الكتاب العزيز كقصص ملوكها مع الأنبياء الذين أرسلوا إليها، الحضارة الفرعونية في قصة سيدنا يوسف وسيدنا موسى وأخاه هارون عليهم السلام أجمعين. وأيضاً الحضارة العراقية القديمة كالآشورية في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وكذلك حضارات الشام والجزيرة واليمن والحبشة في قصص عاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم تبع وأصحاب الفيل. كما أشار إلى حضارة الرومان وأفرد لهم سورة باسم سورة الروم والتي بدأت بذكر معركة فاصلة حصلت بي الروم والفرس انتصر فيها الفرس، ولكن السورة ذكرت أن الروم سيعاودون الكرة وينتصرون في مدة لا تتجاوز بضع سنين، وقد حصل ذلك فعلاً بعد عدة سنوات من تاريخ نزول السورة. كما فصّل الكتاب العزيز في ذكر بني إسرائيل وأنبيائهم، وذكر أيضاً قصص لأصحاب الكهف الذين هم

---

(١) عن بحث سبيل إخراج الأمة للدكتور محسن عبد الحميد المنشور ضمن كتاب الدور الحضاري للأمة الإسلامية في عالم الغد، ص (٤٦٩-٤٧٠) نقلاً عن كتب (قصة الحضارة) لـ وول ديورانت و(روح الحضارة الإسلامية ومميزاتها) للدكتور محمد -عبد الهادي أبو ريدة، وكتاب (التغيير الحضاري وتنمية المجتمع) للدكتور محي الدين صابر... وبحث الأستاذ خالد أبو الفتوح، بعنوان الحضارة، مجلة البيان، العدد ١٤٦، شوال ١٤٢٠هـ-يناير/فبراير ٢٠٠٠ م، ص١٢٨-١٣٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من نصارى الشام عاشوا في زمن الاحتلال الروماني لها، وكذلك ذكر قصة العبد الصالح ذي القرنين الذي اختلف في كونه ملك إغريقي أو فارسي وقيل أيضاً أنه من ملوك اليمن، والذي جاب البلاد حتى وصل أقصى المشرق وأقصى المغرب وقصته مع يأجوج ومأجوج وما قيل عنهم من انهم المغول والتتار الذين يقطنون أقصى الشرف من آسيا[1].. بمعنى أدق أن القرآن الكريم قد غطى جميع حضارات العالم القديم دون استثناء.

المفردة الحضارية والعمرانية في القرآن الكريم

ذكرنا في كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم) تفاصيل عن البعد المكاني في القرآن الكريم، وفيه تفاصيل مهمة عن الحضر والريف والبداوة في مصطلح القرآن والحديث، نجد من المهم ذكر بعض منها هنا.

لقد أعطى القرآن الكريم أهمية كبيرة للمكان باعتباره أحد المحاور الأساسية في حياة البشر. ودين الإسلام في جوهره دين مدني يرتبط ارتباطا وثيق العرى بالمدينة والتحضر والعمران، ومقوماتها وعوامل تطورها الاجتماعية والاقتصادية، إذ ورد أن الأسماء التي علمها الله لآدم حين خلقه قد حوت العديد من المفاهيم والمصطلحات التي تعذَّر على الملائكة ـ وهم من صفوة الخلق ـ إدراكها، كما وردت على لسان الأنبياء والرسل وفي كتبهم وصحفهم ومنذ الدعوات الأولى لهم اصطلاحات المدنية والتحضر والتي يوردها القرآن الكريم، إذ ورد فيه مصطلح البنى والبناء (٢٣) مرة، وعمَّر (١٩) مرة، ولفظة دار (٤٨) مرة، ومسكن (٤٣) مرة، وبيت (٧١) مرة. ولقد نشر الإسلام وهو دين الفطرة وعمَّقَ هذه المصطلحات ومنذ ولادته مما يثبت حضريَّته لان هذه المفاهيم لا تنبثق إلا من فكر عمراني زاهر وفي ظل حضارة ذات جذور عميقة.. ويُبرز

([1]) راجع تفصيل الموضوع في كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، الباب الثالث/ الفصل الثالث/ موضوع الحديد.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القرآن الكريم في (٣٩) موضعا لفظة سلطان، وفي (٨٦) موضعا لفظة حكم، وفي (١١٣) موضعا لفظة ملك، وفي موضعين لفظة وزير.. أما اصطلاح الأمن فقد ورد (٤٩) مرة في القرآن الكريم. ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن هناك اهتماما كبيرا في آيات القرآن لمعطيات الحياة المدنية من علاقات ومبادئ ونظم وذلك من خلال ذكره لمواضع القرى والبلدان وما آل إليه حالها. ويضيف الباحث أن القرآن الكريم وزع المكان إلى عدة أنواع فمنها التوزيع الجغرافي للمواقع وقد تحدث فيها عن عدة أقوام ومواقع مثل عاد وسبأ والطائف ومكة المكرمة والمدينة المنورة، وكذلك ثمود ومدين وأيلة وسدوم وبيت المقدس وأنطاكية، وأخيراً نينوى وبابل ومصر ومنف.. وكذلك تحدث عن أنماط التوزيع الجغرافي وأشكاله والعوامل المؤثرة في اختيار المواقع وتطورها كالمناخ والسطح والأساس الاقتصادي للمواقع وتطور وظائفها كما تطرق إلى الأهداف المنظورة بذكر القرى والبلدان في القرآن.. أما أهم المصطلحات التي درسها الباحث والتي تطرق لها القرآن الكريم فهي:

١ ـ **القرية:** لفظة يمانية جمعها قرى والنسبة إلى القرية قروي وتطلق على المسكن والبيت يأوي الكائن الحي، وفي الحديث الشريف أن نبياً من الأنبياء أمر بقرية النمل فأحرقت، وفي الحديث أيضا **" أمرت بقرية تأكل القرى"** وهي مدينة الرسول ρ ومعنى أكلها القرى، ما يفتح على أيدي أهلها من المدن ويصيبون من غنائمها. وجاء في قاموس المنجد ان القرية هي الضيعة والقاري ساكن القرية، أما قاموس أكسفورد فيؤكد "القرية هي من يجهز المدينة بالزرع ومشتقات الحيوان"، بينما يبرز وبستر في قاموسه شكل وحجم القرية فيقول انها ذات بيئة ابسط وحجم اصغر من المدن، ويتطابق تعريف أكسفورد مع تعريف ابن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خلدون في مقدمته التاريخية إذ يقول عن القرية "ويسكنها من كان معاشه في الزراعة والقيام بالفلح أو من كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر ويسمَّوْن شاويه ومعناه القائمون على الشاة والبقر وهم لا يبعدون في القفر لفقدان المسارح الطيبة.. وللجغرافيين في دراساتهم تأكيد واضح على خصائصها وصفاتها المميزة ووظيفتها التي تعكس تباين أنماطها مع التأكيد على شكل ووظيفة ونشوء القرية.. هذا وقد ورد ذكر القرية في القرآن الكريم ست وخمسين مرة.

٢ ـ **الريف:** ويراد به الخصب والسعة في المأكل والمطعم، وأُريفَتْ الأرض أي أخصبت ورأفت الماشية الريف أي رعته. وجاء في قاموس وبستر ان الريف هو المنطقة الحيوية المتصفة ببساطة العمران والنشأة، وفي قاموس أكسفورد انه النطاق الذي يمارس البشر فيه الزراعة والرعي.. ولم ترد كلمة الريف في القرآن الكريم، إلا انها وردت في حديث للرسول ρ **"كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف"**، وأراد به أننا من أهل الضرع "البادية" لا من أهل الريف "المدن"، ومن هذا الحديث يتضح لنا وجود ترادف بين معنى القرية ومعنى الريف، وفي الدراسات الحديثة في حقل الجغرافية عن الريف هناك تأكيد على مظهره العام ومكوناته الأساسية الطبيعية والبشرية والعلاقات المكانية الناتجة عنها.

٣ ـ **البادية:** بدا يبدو أي برز يبرز، ولكنه اسم لزم ذلك الموضع خاصة دون ما سواه والبادية اسم الأرض التي لا حضر فيها وإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحارى قيل بدو والبادية خلاف

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحاضرة التي يراد بها القوم الذين يحضرون المياه وينزلون عليها، وتبدى الرجل أي أقام بالبادية وتشبه بأهلها أي البداوة ويسكن البادية البدو وهم الخارجون من الحضر إلى المراعي والصحارى قيل بدَو، أي تباعدوا عن اعداد المياه ذاهبين إلى النجع حيث مساقط الماء ومنابت الكلأ، وكل مُنتجِع مبدى وجمع المبدى مباد وهو البدو، وهؤلاء السكان في تنقل مستمر من موضع إلى آخر وقد يلبثون في مواطن ثابتة بعض السنة أو يشرعون في الاستقرار، فيقال لهم شبه رحل أو شبه بداة. ويعرفهم ابن خلدون "بأنهم المقتصرون على الضروري في أحوالهم لذا كان اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والدفيء بالمقدار الذي يحفظ الحياة.. والبدو في القرآن الكريم هم الأعراب، ذكرهم الله تبارك وتعالى في عشرة مواضع في كتابه العزيز، جميعها مدنية النزول، اثنتان منها لغرض المدح (سورة التوبة ٩٧، ١٢٠)، وثمانية لغرض الذم (التوبة ٩٠، ٩٨، ٩٩، ١٠١)، (الأحزاب ٢٠)، (الفتح ١١، ١٦)، (الحجرات ١٤).

وجاء ذكر لفظة البدو في عدة أحاديث عن النبي ρ من أكثرها تواتراً "**لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية، ولا يبيع حاضر لباد**".. وينظر الجغرافي إلى البدو على انهم جماعات اعتمدت تربية الماشية دعامة اقتصادية رئيسة لها، لذا تتسم حياتها بطابع الحركة التي تحكمها ظروف مناخية تتأثر بتوزيع الأمطار وتوقيتها.

٤ ـ **البلد:** كل موضع مُستَحيز من الأرض عامر أو غير عامر، خال أو مسكون، والبلد الأرض مطلقا ويقال البلد

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(الدار) يمانية أو المقبرة، ورد ذكره في القرآن الكريم تسع عشرة مرة.. والبلد من الأرض ما كان مأوى للحيوان وإن لم يكن فيه بناء، والجمع بلاد وبلدان، والبلد جنس المكان كالعراق والشام والبلدة الجزء المخصص منه كالبصرة ودمشق والبلد مكة تضخيما لها والبلد ما لم يحفر من الأرض ولم يوقد فيه وَبَلَدَ بالمكان أقام.

ولقد تباين معنى هذا المفهوم حديثا إذ تشير المصادر الحديثة، إن البلد نطاق من الأرض ضخم في مساحته وسكانه منفتح وغير مغلق، يحتوي على بنايات ضخمة ومنازل كبيرة ونشاط غير زراعي للبشر فيها وقد تستعمل بمعنى القطر أو الوطن الواحد.. ويطلق على البلد تسمية الحضرة والحاضرة وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، ويذكر ابن خلدون "أن الحضر هم الحاضرون، أهل الأمصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرقى مما دعاهم إلى السكون والدعة وتوسعة البيوت واختطاط المدن والحاضرة الحي العظيم والحاضر القوم ويقال للمقيم على الماء حاضر وجمعه حضور وهو ضد المسافر، وفلان حاضر بموضع كذا أي مقيم به، وكل من نزل على الماء ولم يتحول عنه شتاء ولا صيفا فهو حاضر سواء نزلوا في القرى أو الأرياف.

ويعدّ التعريف الحديث للحضر اكثر تخصيصا لحيز المكان وأدق تميزاً لنشاط السكان إذ تذكر بعض المصادر إن الحضر تجمع سكاني كبير لا أثر فيه للنشاط الزراعي، وهناك اختلاف في القواعد

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الخاصة في اعتبار سكان منطقة ما حضر ومن بلد لآخر، مما يؤدي إلى اعتبار صنف من الناس بينَ بينْ لأن عددهم قليل ومع ذلك فهم لا يمارسون نشاطاً زراعياً فيقال لهم شبه حضر.

٥ ـ **المدينة:** هي المصر (المصر: الحاجز والحد بين الأرضين) مفعلة من دان أي مَلَكَ أو هيَ مَدَنَ إذا أقام ولغة هي مكان الإقامة أو الاستقرار فمَدَنَ بالمكان أي أقام به، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم سبع عشرة مرة قصد بأربع منها مدينة يثرب التي نُورت بمقدم الرسول ρ عليها بالإسلام. ويتفق الاصطلاحان المدينة والقرية على استقرار وثبات جماعة من السكان في حيز مكاني معين نقيض في نوع النشاط البشري.. والديان من أسماء الله ρ معناه الحَكَمُ القاضي والديان القهار والحاكم والسائس وهو فعال أي من دان الناس أي قهرهم على الطاعة فأطاعوا.. ويؤكد الجغرافيون في دراستهم للمدينة على نشأتها وتطورها وتركيبها الداخلي مع تأكيد على نمط التوزيع وعلاقاته المكانية والخصائص الوظيفية والأشكال العمرانية والإنسان الذي أعدها[١].

هذا فضلاً عن مصطلحات أخرى مكملة تتعلق بالنشاط البشري بمختلف صيغه وتشكيلاته، ومن ذلك لفظ الملك والوزير ، وأدوات استخدام النشاطات كالسفن والدواب، والمعرفة والعلم بصيغه المختلفة والتي وردت عشرات المرات في الكتاب العزيز، وغير ذلك من تفاصيل عديدة لا مجال للاستطراد في ذكرها.

واللفظ القرآني لحضارة معينة بالتخصيص أو بالعموم أما أن

([١]) راجع كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، ص(١٧٦-١٧٩)، بتصرف.. وانظر بحث المكان في القرآن، للدكتور وليد البدري، الأستاذ بالجامعة الإسلامية ببغداد/ قسم العقيدة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يكون بلفظ (قرية- قرى)، أو (قرن-قرون)، أو أمة أو بلد أو مدينة أو طائفة وغير ذلك من المصطلحات القرآنية الكريمة التي فصلناها آنفاً.

ولقد أمرنا الله تعالى أن نتدبر ونتعض من قصص الأمم السالفة كي نعرف كيف نبني الحضارة الحقيقية التي تعتمد عل جمال داخل وجوف الإنسان ليتحقق العدل والخير وكذلك جمال الخارج لتتحقق الروعة والتنسيق والتطور الذي يليق ببني البشر الذي كرمهم الله تعالى بقوله {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}، (الإسراء:٧٠).. هذا الأمر الإلهي بفهم مسيرة التاريخ تجده في قوله تعالى { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} ،(الأنعام:١١).. { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ }، (النمل:٦٩)... { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ}، (الروم:٤٢).

ولقد ثبّت القرآن الكريم قوانين عامة لحضارة البشر على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم وأفكارهم، وبمراجعة عامة للتاريخ البشري تجد أن هذه القوانين فعلاً كانت السمة البارزة لدورة حياة الحضارات البشرية. هذه القوانين سنستعرضها في الباب القادم.

الحضارة الإسلامية وبعض خصائصها:

الحضارة الإسلامية ينطبق عليها هذا المفهوم أو القانون الاجتماعي والحيوي، فهي لا تخرج عن الأنشطة الإنسانية وتفاعلها لأداء خلافة الله في الأرض من أجل تحويل الوحي الإلهي عقيدة وشريعة ونظام وأخلاق إلى تغيير وبناء وعمران في مجالات الحياة كافة، مستفيدة من حركة الأمم والشعوب الحضارية لخدمة بني البشر، مسلمين وغيرهم، من مبدأ أن الخالق هو رب العالمين وليس رب المسلمين

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حسب[1]، على أن الخلافة للبشر على الأرض تكون عبر شروط استحقوها دون بقية المخلوقات ألا وهي سمة العقل الذي يؤدي بالإنسان إلى الإيمان ومن ثم التقوى والصلاح لكل بني جنسه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، (الحجرات: ١٣).

يلخص الشيخ هاشم محمد صاحب كتاب المنهاج المفهوم الصحيح للحضارة إسلامياً بما يأتي:

١- الحضارة بمفهومنا الإسلامي هو أن تكون الحاكمية في المجتمع لله I رب العالمين إله واحد يتوحد إليه الجميع, ودينهم واحد يحكم الجميع هو الإسلام. وأما التقدم الصناعي أو العمراني فلا يسمى في الإسلام حضارة إلا إذا كان هدفه خدمة للإسلام والمسلمين وقوة لهم وتوجيهاً للإنسان كي يعرف طريق السمو الروحي والخلقي وكل ما يؤهله كي يكون خليفة حقيقياً لله في الأرض، ويكون خالصاً لله بعيداً عن أشكال المجون والفسوق والانحلال، وقد أخبر الله تعالى عن مجتمعات جاهلية كانت على مستوى رفيع في البناء والتصنيع. فقبيلة عاد لم يخلق مثل بلدتهم في زمنهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم.

٢- أما التقدم المادي فهو تيسير للإنسان في عمله وحركته ولا يشفع لصانعه إذا كان كافراً: سأل رسول الله ρ عن ابن جدعان كان يطعم ويصل الرحم فهل ذلك نافعه؟، فقال ((**لا ينفعه أنه لم يقل يوماً ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين**))، وقوله ρ لابنة حاتم الطائي ((**لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه**)).

---

(١) عن بحث سبيل إخراج الأمة للدكتور محسن عبد الحميد المنشور ضمن كتاب الدور الحضاري للأمة الإسلامية في عالم الغد، ص (٤٦٩-٤٧٠) .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وعلى هذا الأساس فإن للغرب باتجاهاته المختلفة (الأمريكية، الأوربية، المعسكر الشرقي) مفهوماً مختلفاً للحضارة عنا معشر المسلمين لأسباب أهمها:

أ- إنه لا يحتكم إلى منهج الله Y بل إلى مناهج أخرى من رأسمالية وشيوعية والله يقول { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}, (المائدة:٥٠). فالرأسمالية تسحق المجموع لأجل الفرد والشيوعية تسحق الفرد لأجل المجموع وكلاهما مصادمة للفطرة.

ب- لأن الغرب لا يقيد حركته ويوجهها توجيها في الحق وسلام الإنسان، والشبه بينهم وبين قبيلة عاد كبير فقد اخبر الرسول ρ **((كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم))** (أخرجه ابن أبى حاتم مرفوعاً)، والغرب أيضاً في تفجيره للقنبلة الذرية وقذفها على هيروشيما وناكازاكي وحروبه على أهل آسيا من الكوريين والفيتناميين ومساندته لليهود بذبحهم لأهلنا في فلسطين ولبنان ودعمه للاقتتال بين الاخوة في أفغانستان ومذابحهم في الصومال، ثم ضربهم وقتلهم وتشريدهم للمسلمين في السودان وأفغانستان والبوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان، وكان آخرها جريمتهم الكبرى بحق الأهل والأحباب في العراق وما فعلوه من دمار وقتل وتجويع وتشريد لم يسبقهم به حتى التتار لتبقى هذه الجرائم شاهداً على حيوانيتهم وهمجيتهم وخروجهم عن دائرة الإنسانية إلى دائرة مصاصي الدماء وآكلي لحوم البشر.

ج- لأن تجمعه تجمع قطيعي على أساس من اللون أو الجنس أو الأرض وهكذا البهائم في تمايزها لا تجتمع إلا مع بني جنسها، أما إسلامنا فليس فيه فضل لصاحب لون على لون للحديث **((اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي أقام فيكم كتاب الله))** (أخرجه البخاري)، ولا فضل لصاحب جنسية على غيره

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لأن أول لبنة بناها رسول الله ρ كانت تتكون من أبى بكر القرشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي جنسيات متعددة جمعتها كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

د- لأنه مجتمع لا يعترف بالأسرة قاعدة للمجتمع وإنما يقوم على العلاقات الجنسية المحرمة والنسل غير الشرعي: ففي أمريكا يولد ربع مليون طفل غير شرعي سنوياً، وقد كتب تقرير عن نسبة الطلاق هناك أنه كلما دار عقرب الساعة ثانية هوى بيت أمريكي وفي كل يوم كان القضاء يمنح ألف حكم بالطلاق. أما في إسلامنا فأساس العلاقة بين الرجل وزوجته الرحمة والمودة قال I { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}, (الروم:٢١). مودة في بداية الزواج حيث الشهوة والرغبة ورحمة أكبر إذا كبر العيال وبردت الشهوة وكبرا في السن كانت الرحمة بها من أن يتركها. جاء رجل إلى عمر رض الله عنه يقول أريد أن أطلق زوجتي، قال: لِمَ؟, قال: لا أحبها فقال عمر: وهل تبني البيوت إلا على الحب، فأين الرعاية وأين الترحم - أي الرعاية لهم والرحمة بهم- وأين الغيرة من أن يضيعوا بعدك وقد لعن رسول الله ρ كل ذواق مطلاق ممن يتزوج مرات لا تعنيه إلا شهوة ولا يفكر في إبتناء أسرة أو تربية ولد.. بل حتى توجههم الفكري مبني على ثلاثة أسس : هي الجنس، النفوذ ويشمل الأملاك والجاه والسلطان، والدم وكلها أسس حيوانية غريزية لا تسمو بالإنسان بل تدفعه نحو رذائل الأمراض والعقد النفسية، وهذا ما نلحظه في أفلامهم وأغانيهم، ومع الأسف بدأت خطواتنا تتبع خطواتهم في هذا المجال ويأتي ذلك مصداقاً لقول رسول الله ρ ((**لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراع**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بذراع حتى إذا سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى، قال فمن))[1]..

وفي هذا يقول أنور الجندي: إن محاولة الدعوة إلى المزج بين الحضارتين والثقافتين الإسلامية والغربية لها خطر كبير يؤثر على إيمان المسلم وعقيدته من الداخل، فهي تقود المسلم إلى الوقوع في الخطر الشديد وكالآتي:

أولاً: محاولة أن تكون الهيمنة للعلم التجريبي لا للعلم المنزل.

ثانياً: محاولة إلغاء مفهوم العلاقة بين الخالق والمخلوق.

ثالثا: محاولة إلغاء ثبات الشريعة الإسلامية واعتناق الفلسفة النسبية التي تقرر أن كل شيء يتغير ويتبدل بتغيير الزمان والمكان بما في ذلك حقائق العلوم ومبادئ الشريعة أصول الأخلاق.

رابعا: محاولة الإيمان بالحرية ونبذ عقيدة القضاء والقدر، ومعنى هذا التضحية بالآخرة في سبيل الدنيا.. وليتذكر المسلم أن هناك خمس عقائد إسلامية ثابتة بآيات محكمات وهي: هيمنة الوحي على العلم، خلود العقيدة والشريعة، طاعة الله ورسوله ρ، الإيمان بالقضاء والقدر، وإيثار الآخرة على الدنيا[2].

بينما يقول الدكتور أحمد شلبي: لعل الجانب الأكثر خطورة هو أن التعليم الجامعي غير الموجه يزيد الهوة بين الطالب ودينه، وأشهد الله أن الطالب في كليات الطب بجامعات أوربا يعرف عن الرازي وابن سينا أكثر من طالب الطب بجامعة القاهرة وغيرها من الجامعات الإسلامية، والنماذج كثيرة في سائر

---

(١) أخرجه البخاري وأحاديث الأنبياء ٣٤٥٦، مسلم (العلم ٢٦٦٩)، أحمد (باقي مسند المكثرين ١١٣٩١، ١١٤٣٣، ١١٤٨٧). عن كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، ص ٥١- ٥٢. وانظر كتاب (المنهاج)، للشيخ هاشم محمد، ج/٢ ، ص١١٢.

(٢) المجتمع على طريق الإسلام، بقلم أنور الجندي، جريدة حديث الصائم الإماراتية، الثلاثاء ١٨ رمضان ١٤١٩هـ، ٥ يناير ١٩٩٩م، ص٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الكليات الجامعية.. نريد أن نضع الأسس الإسلامية ولابد أن ننشئ الكليات المتخصصة في الإسلاميات، وأنا أقول أن الكليات الإسلامية القائمة لا تدرس أهم علوم الإسلام مثل الحضارة الإسلامية ومقارنة الأديان وغيرها، وهي علوم مهمة جداً ترفع شأن الإسلام وتبرزه، فلابد أن يعرف الشباب رأي الإسلام في الشورى والمرأة والعلاقات الدولية وفي سائر جوانب الحياة [١].

ومن مرتكزات الإمكان الحضاري لهذه الأمة نقاط عدة تمثل الوراثة الحقيقية والتاريخية للنبوة والمؤهلة لاستيعاب التجربة الحضارية للبشر منها :

١. امتلاك النص السماوي السليم وخلوده الذي يرسخ عقيدة التوحيد في نفس الإنسان.
٢. إنسانية الخطاب وعالمية الدعوة من منطلقات رئيسية منها تأسيس الشورى ومعرفة الآخر وسنة الحوار واحترام المقابل فلا إكراه في الدين {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ، (البقرة:٢٥٦).

من خصائص هذه الحضارة أنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة، فالقرآن الكريم أعلن وحدة النوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه كما تخبر الآية ١٣ من سورة الحجرات التي ذكرناها آنفاً. وحين أعلن القرآن الكريم هذه الوحدة الإنسانية العالمية على صعيد الحق والخير والكرامة جعل حضارته عقداً تنتظم عنده جميع العبقريات للشعوب والأمم التي خفقت فوقها راية الفتوحات الإسلامية، ولذلك كانت كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمة واحدة، إلا الحضارة الإسلامية، فإنها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب، فأبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد

---

(١) الدكتور أحمد شلبي، مقالة في جريدة حديث الصائم الإماراتية، الثلاثاء ١٨ رمضان ١٤١٩هـ - ٥ يناير ١٩٩٩م، ص٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وسيبويه والكندي والغزالي والفارابي وابن رشد والخوارزمي، وأمثالهم ممن اختلفت أصولهم وتباينت أوطانهم، ليسوا إلا عباقرة قدمت فيهم الحضارة الإسلامية إلى الإنسانية أروع نتائج الفكر الإنساني السليم.

وإذا كانت الحضارة الرومانية قد اشتهرت بالطرق التي تربط بين أجزاء الامبراطورية، فإنها قد عرفت كذلك بالحواجز التي أقامتها بين الطبقات والفئات المختلفة من رعاياها. إذ فرقت في الحقوق بين سكان روما وسكان سائر إيطاليا، ثم بين الرومان وغيرهم من سائر البلدان التابعة لها، ثم بين الذين خضعوا لنفوذها وبين من كانوا خارجها الذين دعتهم برابرة. أما حضارة الإسلام فقد أزالت الحواجز والمسافات بين البشر فهم سواء بسواء، وكانت مراكز البريد تعين على التنقل في أرجاء دار الإسلام المترامية، ووجدت فيما بعد ما يعرف بالأربطة أو الرباطات بفعل الجماعة ذاتها، إذ يستضاف العابرون ويقدم لهم ولدوابهم الطعام والمأوى، ويذكر الجغرافي المسلم الاصطخري مثلاً عن مسلمي بلاد ما وراء النهر (وأما سماحتهم فإن الناس في أكثر ما وراء النهر كأنهم في دار واحدة ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه داخل دار نفسه). وهكذا أزالت الحضارة الإسلامية الحواجز النفسية والمكانية بين أبنائها في مختلف أنحاء العالم، فكانت بحق إنسانية عالمية[1].

ولئن كانت السنين الأولى قد تطلبت فتوحات عسكرية، إلا أن السمة الأبرز للمتتبع لهذه الحضارة أنها حضارة عقل ومنطق وحجة، لا حضارة همجية وسفك دماء كما يدعي أعداؤها. والدليل أن الفترة الزمنية اللاحقة وإلى اليوم شهدت وتشهد إقبالاً على هذه الحضارة رغم كل العوائق التي وضعت أمامها للحيلولة دون ذلك.

([1]) موسوعة الحضارة الإسلامية- أقراص مدمجة / الدولة الأموية / القيم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

صحيح أن الفتوحات الإسلامية فتحت أكثر من نصف العالم القديم

إلا أن الإسلام استمر بالانتشار فأصبح العالم كله يعرف به فيدخل به ويحترمه كل محب ويبغضه كل مكابر وحاقد

٣. الوحي مصدر القيم والمبادئ والعقل أداة البرمجة.
٤. الطاقة الروحية المتجددة.
٥. امتلاك الطاقة المادية المطلوبة لنمو الحضارة ومنها الرصيد الكبير من الموارد البشرية كالعقول والسواعد.
٦. العمل وفق الأسباب والسنن والنواميس الإلهية في الكون والأنفس والمجتمعات.
٧. إطلاق حرية الاجتهاد الفكري وفق الضوابط الإنسانية.
٨. ضبط العواطف والحماس على وفق مرضاة وتقوى الله تعالى وليس وفق التعصب للأنا والذات والانتماء العشائري والقبلي والقومي.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٩. الشريعة بنيت على أساس يحث الناس على الحكم بالعدل حتى على من هم عدو لهم أو أناس بينهم عداء فكري، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}، (المائدة:٨)، وقول الحق ولو على النفس، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}، (النساء:١٣٥)[١]...

فيما يذكر المفكران الإسلاميان الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور محسن عبد الحميد عن ميزات هذه الحضارة ما مختصره:

أنها حضارة ربانية وحدانية بامتلاكها النص السماوي السليم وخلوده الذي يرسخ عقيدة التوحيد في نفس الإنسان، أي أن الله تعالى هو الإله المعبود والرب المالك والحاكم الملك.. أنها قدوة لكل حضارة تسمو بالبشر ولا تحط منهم.. شمولية في نظام الحياة للبشر بكل أطوارهم واختلافاتهم وثقافاتهم لكل زمان ومكان ولكل تفاصيل الحياة للدنيا والآخرة من العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع والالتزام... عادلة... متسامحة... منفتحة مفتوحة على كل البشر... منطقية وموضوعية واقعية واضحة في كل التطبيقات التشريعية والتكليفية للفرد والمجتمع من باب كونها قابلة للتطبيق ولكل البشر حتى المعاقين والمرضى منهم، إطلاق حرية الاجتهاد الفكري وفق الضوابط الإنسانية... قيمية خلقية... علمية... عقلية... مبدعة

---

(١) عن بحث عمر عبيد حسنة (الوراثة الحضارية.. شروط ومقومات) ضمن كتاب الدور الحضاري للأمة الإسلامية في عالم الغد، ص (٤٠٠-٤٣٦) ، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وخلاقة... وسطية ومتوازنة تمزج بين العقل والروح والاستقامة على الشرع الحنيف... خالدة... داعية للسلام والحق... أصيلة[١]..

وباختصار فإن من مقومات حضارتنا أنها إيمانية خلقية تسمو بالبشر ولا تحط من قدرهم، شمولية إنسانية لا تنحصر بقوم أو مجموعة، عقلانية ومنطقية وعلمية لا مجال للخرافة فيها، عادلة إصلاحية تنموية تعطي لكل ذي حق حقه، تؤمن بالتعددية واحترام الرأي المقابل[٢]، فهذا توماس آرنولد أحد كبار المفكرين الغربيين يعترف للحضارة الإسلامية بأنها أول حضارة تعترف وتمارس التعددية في الرأي والفكر والقضاء والتطبيق والسياسة والمذهب الديني، في الوقت الذي لم تقبل أوربا بالرأي الآخر حتى في الدين الواحد، وحصلت فيها مذابح راح ضحيتها ١٠ مليون شخص في حين لم تحصل في تاريخ المسلمين مذابح أو حروب دينية الطابع وانتشر الإسلام في الجزيرة بأقل من ٤٠٠ ضحية، وفي العالم القديم بعدة آلاف فقط .

ولقد اعترفت البشرية بنخبتها المثقفة لهذه الأمة بدورها في تطورها، وهو ما تقرؤه في آراء نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر مثل الدكتور شيرل عميد كلية الحقوق بجامعة فينا، المؤرخ البريطاني توينبي، أستاذ الفلسفة البريطاني بجامعة هارفرد الدكتور هوكنج، الرئيس الفرنسي شارل ديغول، الأمير تشارلز، العالم الإسباني فيلاسبازا وغيرهم الكثير. هذا فضلاً عن العدد الهائل ممن أسلم من مفكري وعلماء الغرب كروجيه غارودي ومراد هوفمان ومحمد أسد (ليوبولد فايس) والقس كلداني وعالم الأجنة كيث أيل

---

(١) مختصر عن كتابي الخصائص العامة للإسلام للدكتور يوسف القرضاوي.. ومذهبية الحضارة الإسلامية للدكتور محسن عبد الحميد - صفحات مختلفة، بتصرف.

(٢) عن بحث الدكتور أحمد كمال أبو المجد (الإعداد للدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد) ضمن كتاب الدور الحضاري للأمة الإسلامية في عالم الغد، ص (٦٩-٧٦)، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مور وغيرهم الكثير.

على أساس تعريف الحضارة السابق الذكر فإن كل الدول التي حملت لواء الإسلام بكل مسمياتها وعناوينها واختلاف ظروفها المكانية والزمانية رغم بعض المآخذ التي أخذت عليها فإنها تدخل تحت تعريف الحضارة الإسلامية. فهذه الحضارة قدر لها الله أن تستمر، فهي إن خبت في مكان ما تلبث أن تصعد في مكان آخر حتى انتهت عند انتهاء الخلافة العثمانية.. كما وإن هذه الحضارة لم تنتهي بانتهاء الدولة الجامعة لأن تعريفها هو كل النشاطات المختلفة للبشر الذين يحملون مسئوليتها وينضوون تحت لواءها، وهم اليوم كثر رغم تفرقهم في أقطار شتى. فميزة هذه الحضارة أنها استوعبت كل حضارات ومميزات الأمم التي دخلتها وأذابتها فيها بشكل رائع لم يفقدها رونقها وبريقها بل زادها روعة وتميزاً، لذلك لا يمكن أن تنتهي فقدرها أن تستمر لينضوي تحت لواءها كل بيت وبر ومدر من كل لون ولغة وجنس لأنها حضارة خلق وسمو.

لكن بعض المتعصبين من أهل الغرب ظلموها فقالوا، وقد يقول معهم قائلون آخرون، أليست هذه عولمة من نوع قديم ؟!. الجواب كلا بالتأكيد، لأن مفهوم العولمة هذا غرضه أمركة تحول العالم إلى مستهلك للبضاعة الأمريكية بفكرها وإعلامها وصناعتها وملابسها وأسلوب كلامها كي تستفيد الرساميل الكبرى هناك على حساب الثكالى واليتامى والأرامل والمعوقين والجوعى من أكثر من ٥٠ % من سكان الأرض.. بينما الإسلام أراد للناس كلهم دون تمييز في عرق أو لون أو لغة أو جنس أو عمر كل الخير والعدل والراحة والأمان والعافية في الدنيا والآخرة، كل ذلك لأمر الله الذي أراد به خيراً لخير من خلق "الإنسان".

النظام الاجتماعي الإسلامي

لقد كون رسول الله ρ مجتمعاً رائعاً بعد أن طبق النواميس والأوامر الإلهية التي جاء بها القرآن الكريم, فبدء بالنفس والأهل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والأقربين صعوداً إلى المجتمع والمدينة والدولة, فكانت تلك الحقبة تمثل أعظم الحقب التي حفظت للإنسان كرامته وعزته عن طريق تطبيق العدل بين الرعية وحفظ حقوقهم بعد أن عرف الناس ربهم واستقاموا على ذلك.

وهنا أسرد قصة لطيفة لأحد الرحالة الأوربيين الذي زار بغداد في العصر العباسي الثاني، فأجّر منزلاً، وكان يستيقظ كل صباح فيجد القمامة التي رماها في باب بيته ليلة الأمس وقد أزيلت، وكان يتعجب للأمر. فقرر ذات ليلة أن يراقب الباب ولا ينام، فإذا بجاره يخرج عند هجيع الليل ليحمل القمامة ويرميها بعيداً. فأتى لجاره بعد ذلك فسأله عن الأمر، فقال له الجار، إني والله لم أكن أتمنى أن تعلم بهذا، أما أنك وقد علمت وسألتني فسأجيبك... إن ديننا قد وصى بالجار، وإنني رجل أخاف العبور على الصراط يوم القيامة، فلم يفهم السائل، فسأله عم عناه بالصراط، ففسر له الأمر، فازداد عجبه. وعندما عاد لبلده روى القصة لأهله وقال لهم متسائلاً : هل استطاعت كل فلسفاتنا أن تضع في الناس خلقاً رفيعاً مثل ما فعله الصراط بالمسلمين؟... ذكرت تلك القصة لأبين لكل من يدعي أن المسلمين أخذوا النظافة من الغرب أن يعود لهذه الحضارة الرائعة وذلك التاريخ المشرف ليعرف إلى أية أمة ينتمي.

ولقد كفلت حضارة الإسلام العظيمة للبشر كل ما يحتاجونه لإقامة الأسس والمرتكزات التي حددتها، ومن ذلك:

١. **حرمة الدم وحفظ حق الحياة**:{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ}، (المائدة:٣٢).

٢. **حرمة العرض فصان للفرد حق الكرامة**: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، (الحجرات:١١) .. { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}، (الحجرات:١٢).

٣. **حرمة المال وحق التملك**: في البخاري (الحج ١٦٢٣)ُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهم عَنْهمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِρ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ قَالَ فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا**)، فَأَعَادَهَا مِرَارًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ :(**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهم عَنْهمَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ.

٤. **حرمة البيوت وحق الاستقلال الشخصي**: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، (النور:٢٧).

٥. **حرية الرأي والفكر والاعتقاد والتعبير**: وفي هذا يطول الشرح والتفصيل لكثرة ما ورد في ذلك.

٦. **حق المعارضة والنصيحة** : للحاكم والمحكوم، ففي الترمذي (الفتن ٢٠٩٤) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρ يَقُولُ : (**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**). وفي صحيح مسلم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(الإيمان ٨٢) عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ρ قَالَ : (**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**) قُلْنَا لِمَنْ قَالَ : (**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**).

٧. **حق القضاء والقصاص العدل**: كما ذكرنا في ما سبق من آيات وكذلك قوله تعالى: {وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } ، (الأنعام: من الآية١٦٤).. { أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، (لنجم:٣٨)..

٨. **حق التعلم حتى وقت الحرب**: { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}، (التوبة: ١٢٢)... وقد حث النبي ρ على طلب العلم في عدة أحاديث كما في حديث النسائي في الطهارة (١٥٨) عَنْ عَاصِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ يُحَدِّثُ قَالَ أَتَيْتُ رَجُلًا يُدْعَى صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ فَقَعَدْتُ عَلَى بَابِهِ فَخَرَجَ فَقَالَ مَا شَأْنُكَ قُلْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ قَالَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ فَقَالَ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ تَسْأَلُ قُلْتُ عَنِ الْخُفَّيْنِ قَالَ كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ρ فِي سَفَرٍ أَمَرَنَا أَنْ لَا نَنْزِعَهُ ثَلَاثًا إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ.

٩. **حق العمل**[١]: فقد دعا الإسلام للعمل لأنه من أهم وسائل الارتزاق، وهو أساس الاقتصاد، والدعامة الأساسية للإنتاج، وهو عبادة من أجلّ العبادات مع النية الخالصة، وكل قطرة عرق تبذل فيه تكون في ميزان المسلم مع صلاته وصيامه وزكاته.. والمسلم لا يعمل من أجل الدنيا والحرص عليها وعلى فتنها ومتاعها، بل لأن العمل أساس كل شيء بل هو

---

(١) هذه النقطة عن مقالة رائعة للأستاذ الفاضل الشيخ الجليل إبراهيم النعمة بمجلة التربية الإسلامية بعنوان العدالة الاجتماعية، السنة ٣٥- العدد ١٢، ص ٤١-٤٥، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أساس التقرب إلى الله تعالى.. يقول العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله (إذا تعاطيت التجارة والصناعة أو اشتغلت بالخدمة، وأديت ما عليك من الواجب بكل أمانة وصدق اتقاء لله تعالى، ثم كسبت الحلال وتجنبت الحرام، كان كسبك هذا وسعيك في سبيله عبادة لله تعالى، مع أنك ما قمت بكل ذلك إلا لتكسب الرزق لنفسك).. لذلك تجد أن القرآن الكريم قد قرن العمل بالإيمان في آيات كثيرة، فجاء الحث عليه في كتاب الله وسنة رسوله ρ وفي أقوال السلف الصالح. يقول الله تعالى في دعوة صريحة للعمل والارتزاق وطلب الرزق والكسب والسعي لكسب المعاش { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، (الجمعة:١٠).. ويقول تعالى أيضاً { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}، (الملك:١٥).. وكأن القرآن يصرخ بالناس أن اعملوا لتأخذوا ثمرة عملكم، واتعبوا وانصبوا لتجدوا لذة كسبكم. فالسعي إذن هو الوسيلة إلى الكسب.. كما وقرن القرآن الكريم السعي في التجارة بالجهاد في سبيل الله تعالى إعلاء دينه، فيقول تعالى { ... وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..... }، (المزمل: من الآية٢٠).. والآيات في هذا المعنى كثيرة، إذ أحصى بعض الباحثين المحققين الآيات القرآنية الداعية إلى العمل والسعي لكسب العيش فكانت تزيد على ١٦٠ آية، والتي ذكرت مطلق العمل بلغت ٣٦٠ آية، كما وردت معاني أخرى للعمل في ١٠٩ آية.

وفي الحديث الشريف نجد الأحاديث الكثيرة التي ترغب بالعمل، منها قوله ρ في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين (٨٠٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

النَّبِيِّ ρ قَالَ (**خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ**).. وقوله ρ فيما ينقل البخاري رحمه الله تعالى في كتاب البيوع (١٩٣٠) عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنِ الْمِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهم عَنْهم عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ρ قَالَ: (**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**).. وقوله ρ في حديث الطبراني في الأوسط والأصبهاني من حديث ابن عباس τ : (من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له).. وأخرج الترمذي في كتاب البيوع (١١٣٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ : (**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**).

ويسمو الإسلام بالعمل حتى يجعله بمنزلة الجهاد في سبيل الله، فقد روى كعب بن عجرة τ قال مر على النبي ρ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ρ من جلده ونشاطه، فقالوا يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله!، فقال ρ : (**إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً أو مفاخرة، فهو في سبيل الشيطان**)، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.. وقد نهى النبي ρ عن المسألة وحث على القوة الاقتصادية فاليد العليا خير من السفلى، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى كما قال ρ، وحث على الدقة والإتقان في العمل وقرنه بحب الله للعبد، وحث على إعطاء العامل والأجير أجره بسرعة دون إبطاء.

أما أقوال السلف الصالح رضي الله عنهم في هذا المعنى كثيرة، منها ما يذكره الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء (٦٤/٢) وهو قول سيدنا عمر τ (ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلي من موطن أتسوق فيه لأهلي: أي أبيع

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وأشتري)، وقوله τ (إني لأرى الرجل فيعجبني فأسأل: أله حرفة؟، فيقال: لا، فيسقط من عيني).. وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (المغزل بيد المرأة خير من الرمح في يد المجاهد).. ويقول بعض الصالحين (ليست العبادة أن تصف قدميك – يعني للعبادة- وغيرك يقوت لك: إبدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد).. وقال ابن خلكان (لو يعلم المسلمون وأبناء المسلمين ما أعد الله تعالى للمسلمين في إحياء الأرض، ما ترك مسلم بقعة دون إحياء رجاء الثواب المدخر عند الله تعالى).

ويسمو الإسلام بالعمل أيضاً حتى يجعله فوق الكثير من العبادات، فالرجل الذي يعمل ويعول أخاه العابد يصير أعبد منه، وهناك من يفضل الصناع على العباد كالشيخ الشعراني وهو من المتصوفة، ذلك لأن نفع العبادة تعود على صاحبها حسب، بينما نفع الحرف فيعود على الناس جميعهم بالخير .. وإذا كان الإسلام قد دعا إلى العمل فقد نهى عن الجلوس قي البيت من غير عمل، فهذا سيدنا عمر τ يدخل المسجد بعد الصلاة، فيرى فيه قوماً قابعين بدعوى التوكل على الله، فما كان من فاروق الإسلام إلا أن علاهم بدرته، وقال كلمته المشهورة (لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وأن الله تعالى يقول { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ})..

وهذا الإمام أحمد τ سئل عمن يجلس في بيته من غير عمل بحجة أن رزقه سيأتيه فأجاب السائل (هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي ρ (..**جعل رزقي تحت ظل رمحي..**)، وقوله حين ذكر الطير (..**تغدو خماصاً وتروح بطاناً**..)).

١٠. **حق التجمع لعمل الخير ونبذ التجمع للشر**: {

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}، (المائدة: من الآية٢). وهكذا كان العمل الجماعي للخير أمر فيه خير . ففي الترمذي (الفتن ٢٠٩٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ρ : **(يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ)**. وتعاون الجماعة في الإسلام من أعظم القربات إلى الله تعالى، فعن عَبْدَاللَّهِ بْنَ عُمَرَ ψ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ **((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))** , وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ **((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ...))**.

١١. **ثبت حقوق الزواج والمرأة والميراث ونظام الأسرة:** كما سنفصل لاحقاً.

النظام القضائي والتشريعي الإسلامي(*)

إذا ما تدبرنا آيات الله الخالدات من وجهة نظر تشريعية قانونية واجتماعية واقتصادية, فماذا نرى؟:

- المسلم الغني مستخلف في مال الله وملكه, والثروة أمانة في عنق حاملها يسأل عنها يوم القيامة, من أين جمعها وفيمَ أنفقها.

(*) لتفاصيل أكثر يراجع كتابنا (الاقتصاد والاجتماع)، ضمن سلسلة (ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية)، ففيه تفاصيل مهمة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- الكسب الحلال يؤدي إلى أسرة كريمة طيبة, والكسب الحرام يترك أثره في الجوارح والسلوك ليكون أسرة فاسدة مفسدة كالطفيليات والمكروبات المدمرة.
- توزيع عادل للثروات بحيث لا يبقى فقير أو محتاج, وهذا ما حققه الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز τ.
- ردع لكل متطاول بشكل لا يتجرأ بعده الآخرون على التقليد وهذا ما أثبته التطبيق العملي في المجتمع الإسلامي - كقطع يد السارق مثلاً- .
- نظام عظيم للزواج وتكوين الأسرة وتربية الأولاد.
- القانون فوق السلطة, ولا يستثنى الحاكم والمحكوم من عدالة القضاء, فالإسلام هو أول من وضع هذا الشعار وطبقه.
- تكريم لا يدانيه تكريم للمرأة بدءاً من ولادتها وتحريم الوأد الذي كان شائعاً بين العرب قبل البعثة الشريفة, مروراً بحث الوالدين على تربية البنات على أصول الخلق الرفيع والعلم النافع, ثم أهمية المرأة في البيت والقضاء والعلم والحرب والسلم وغير ذلك مما تزخر به كتب الفقه الإسلامي في أهمية دور المرأة في أن تكون بانية للأسرة والمجتمع لا أن تكون مدمرة له وفق المفهوم الغربي الذي يجعل من المرأة عبارة عن جسد يباع ويشترى بأبخس الأثمان, وما يتبع ذلك من اتباع الشهوات للجنسين, وترك الطريق الأمثل في الزواج وتكوين الأسر إلى الطريقة الغرائزية الحيوانية في تصريف الشهوة.

إن نظرة ثاقبة إلى سورة النساء فقط وتدبر مدى الروعة العظيمة في تقسيم الميراث في الإسلام وحقيقة إعطاء النصف والربع والثلث والسدس لحالات مختلفة يريك مدى الترابط بين القانون وعلم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الاجتماع والاقتصاد والرياضيات. فإذا تأملت لماذا هذه الكسور وحقيقة تقسيمها بهذه الدقة وربطها مع الحالات الاجتماعية المختلفة لكل تقسيم, لعلمت الدقة في مراعاة الله تعالى لحقوق الأسرة برمتها ومنها المرأة بأصنافها الثلاث الزوجة والبنت والأم, من جهة ودقة التقسيم الرياضي من جهة ثانية.

قام المهندس الأستاذ مولود مخلص الراوي بتقديم بحث رائع في هذا الموضوع إلى المؤتمر الأول للإعجاز القرآني الأول المنعقد بمدينة السلام بغداد للفترة ٢١-٢٦ رمضان ١٤١٠هـ الموافق ١٦-٢١ نيسان ١٩٩٠ م, وأسماه (الإعجاز في علم المواريث) والذي يتضمن إعداد برنامج حاسوبي للقسّام الشرعي يمكنه حل جميع مسائل الميراث مفردةً كانت أم مناسخة (متعددة الوفيات) بأعداد صحيحة أو ما يعرف بالتصحيح وبنفس الأسلوب الشائع في تنظيم القسّامات الشرعية. وقد جرى اختبار البرنامج عملياً من قبل لجنة شرعية متخصصة ثم تم اعتماده من قبل وزارة العدل العراقية للاستخدام عملياً في المحاكم العراقية[١].

يقول أحد الحقوقيين الغربيين وهو يعلق على ما جاء في سورة النساء: (لا يمكن أن يكون هذا القرآن من عند محمد لأننا الآن وفي عصر التطور الهائل لا نستطيع أن نعطي تشريعاً بهذه الروعة والتفصيل والدقة والعدالة لكل أفراد الأسرة دون استثناء).

وقد اعترف الراسخون في العلوم القانونية من رجالات الغرب بأن التشريع الإسلامي يعد في طليعة المصادر الصالحة لسد حاجات التشريع الحديث. ونطق بذلك قرار مؤتمر القانون المقارن المنعقد في مدينة لاهاي, في شهر آب من سنة ١٩٣٧م, الموافق لجمادي الآخرة من سنة ١٣٥٦هـ, وقد دعي إليه الأزهر, فمثله مندوبان من كبار علماءه فحاضرا فيه عن المسؤولية الجنائية والمسؤولية المدنية

---

(١) الإعجاز في علم المواريث, المهندس مولود مخلص الراوي، الإعجاز القرآني، المؤتمر الأول للإعجاز القرآني الأول المنعقد بمدينة السلام بغداد للفترة ٢١-٢٦ رمضان ١٤١٠هـ الموافق ١٦-٢١ نيسان ١٩٩٠ م، ص٦٥٩-٦٧٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في الإسلام, وعن نفي أية علاقة مزعومة بين القانون الروماني الوضعي والشريعة الإسلامية الغراء. وقد خرج المؤتمر على أثر ذلك بقرار تأريخي خطير بالنسبة إلى رجال التشريع الأوربي, جاء فيه:

١. اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً مهماً من مصادر التشريع العام.
٢. اعتبارها حية قابلة للتطور.
٣. اعتبارها تشريعاً قائماً بذاته, ليس مأخوذاً من غيره[١].

كان النظام القضائي الإسلامي أول من جاء بفكرة القضاء والقانون فوق الحكم والسلطان، وطبقها فعلاً في كثير من الحالات منها القصة المعروفة للأمام علي كرم الله وجهه مع اليهودي الذي اشتكى إلى القاضي بأن أمير المؤمنين –حاشاه- قد سرق درعه، فحضر الطرفان أمام القاضي وانتهت القضية بإعلان اليهودي إسلامه لما رأى من عدل الإسلام.. وهكذا أخذ الغربيون منا هذا التراث العظيم وصدروا لنا دكتاتورياتهم التي كانت في عصور ظلامهم، ثم ادعوا أنهم متحضرون لأنهم ديمقراطيون، فتنبهوا معشر السلمين لهذه المغالطة.

وها هو الأمير تشارلز يدلي باعتراف خطير خلال مؤتمر عقد بلندن عام ١٩٩٦م من أن ٦٠% من القضاء البريطاني يعتمد في روحه وبعض نصوصه على التشريع الإسلامي[٢].

لقد كثر الحديث هذه الأيام عن حقوق الإنسان في دول العالم وفي دول الغرب بالذات وتحديداً في الولايات المتحدة، فبدأت تسوق هذه الحقوق وكأنها بضاعتها أو أنها وصية عليها، وأصبحت ذريعة في إخضاع من هم دونها وإيذاء الأمم والشعوب تحت دعوى الدفاع عن حقوق الإنسان. لكن الواقع يشير ومنذ ما يربو عن الـ ٥٠ عاماً أن

---

(١) الشريعة الإسلامية ومكانة المصلحة فيها, القاضي فاضل دولان, مطبعة أنوار دجلة, بغداد, ١٤٢٣هـ,٢٠٠٢م, ص٢٤.
(٢) انظر كتاب (المنظار الهندسي للقرآن الكريم), للمؤلف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الدول الغربية نفسها هي أول من لا يطبق هذه الحقوق إلا في الأمور التي تفيد مصالح ضيقة لجماعات معينة دون غيرها، والأمثلة في هذا أكثر من أن تذكر. إن الكلام عن حقوق الإنسان لا يأخذ مداه ما لم يكن هناك تنفيذ وتفعيل لتلك الحقوق. فبدون منهجية تفعيل حقوق الإنسان وضماناتها الحقيقية يصبح الكلام عنها والسعي إليها {.. كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ.. }، (الرعد:من الآية ١٤).. فلا ينفع الكلام والتأشير والتعداد ما لم تقترن بالتطبيق.

يذهب علماء القانون العام إلى تقسيم حقوق الإنسان إلى مجموعات من أجل تيسير دراستها، فقسموها إلى مجموعة الحريات الشخصية التي تشمل الحرية الشخصية للفرد وحرية التنقل والسكن والمراسلات، ثم تأتي مجموعة حريات الفكر وتشمل حرية العقيدة والتعليم والصحافة والرأي. القسم الثالث هي مجموعات حريات التجمع مثل حرية التظاهر وتأليف الجمعيات والأحزاب والحركات، ثم مجموعة الحقوق والحريات الاجتماعية مثل حق العمل واختيار نوعه والراحة والفراغ والمعونة عند العجز والمرض والشيخوخة. ثم تأتي مجموعة الحريات الاقتصادية، مثل حق التملك والتجارة والصناعة. ومجموعة الحقوق السياسية مثل حق الانتخاب والترشيح وتقرير المصير... وقد سبق الإسلام وكما فصلنا آنفاً إلى تشريع هذه الحقوق بل أضاف إليها حقوقاً أخرى.

ورغم أن هذه الحقوق والحريات جاءت تعداداً ومناشدة في لإعلان العالمي لحقوق الإنسان غير أنه لا توجد وسائل فعالة لتفعيلها ونقلها من النظرية إلى التطبيق. وفوق ذلك فإنها باتت معرضة لأن تعصف بها العولمة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من جهة أخرى، وتحكّم الدول الكبرى المتغطرسة التي تشن الإرهاب الدولي تحت غطاء الدفاع عن حقوق الإنسان. وبقي ميثاق حقوق الإنسان حبراً على ورق ولم ينفذ منه شيء، فالعالم اليوم يعيش حالة غالب ومغلوب، وتفرد قوة عظمى بالهيمنة على العالم، بل إنها اختطفت الأمم المتحدة وميثاقها وجعلتهما ألعوبة في يدها،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فكان حق الفيتو سيئ الصيت لصالح مصالح خاصة ضيقة بمجموعة بشرية معينة قمة الإساءة للمنظومة الدولية وحقوق الإنسان، ثم جاء تشكيل المحكمة الجنائية الدولية ليسهم في تعزيز الظلم والاستبداد في جعل جرائم أميركا وأعوانها في منأى عن المسائلة والعقاب.. لكن الأمر يختلف بالنسبة للشريعة الغراء، التي يستنبط منها نظام كامل متكامل لحقوق الإنسان لا يهتم بالدرج والتعداد، بل جعل حقوق الإنسان منهجاً وفعلاً وتطبيقاً. وحين كانت أوربا تغط في نوم عميق وتعيش قرونها الوسطى المظلمة تحت جبروت القساوسة والنبلاء والسلطات المطلقة للحكام، جاء الإسلام بتصور شامل لحقوق الإنسان، وكانت دولة الإسلام تنشر العدل والإحسان، على أسس ومبادئ شرعية قانونية لم تعرفها البشرية من قبل، وكان الخليفة مقيداً بأحكام الكتاب والسنة، ملتزماً باحترام حقوق الإنسان والأفراد وحرياتهم التي نص عليها الإسلام، ووضع الضمانات التي تكفل حمايتها من كل جور واعتداء.. إن المنهج الإسلامي يقوم على إقامة العدل وتقديمه على السلم عند التقاطع بينهما، ولا يحترم السلم المبني على الظلم، وأعلن القرآن الكريم أن إقرار العدل في الأرض هو أعظم هدف بعد عبادة الله تعالى، والتي هي أعلى غاية على الإطلاق { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}، (الحديد:٢٥). وقوله تعالى {.. فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ..}، (الحجرات: من الآية٩).. وبعد فإن الإسلام أسس على الأرض أول دولة قانونية تخضع فيه السلطة خضوعاً تاماً لقيود تسمو عليها، لأن مصدرها كتاب الله وأساسها الفكري العقيدة، لا تقبل التلبس بالظلم والباطل وكما ذكرنا في قصة الإمام علي عليه الرضوان والسلام مع اليهودي، ترعى حقوق الإنسان من خلال منظومة كاملة من الأحكام، وحقوق الإنسان في الإسلام ذات صفة دينية تقوم على العقيدة والعبادات، وهي ليست منحة من بشر وإنما هي منح إلهية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واجبة على الجميع، ولا مجال فيها لاستثناء أو تمييز ما بين حاكم ومحكوم[1].

منزلة المرأة والأسرة في الإسلام:

لقد أعطى الإسلام حقوقاً للمرأة وتكريماً لم يشهد التاريخ البشري مثيلاً له من قبل، فقد كانت البنت محتقرة، ومحل سخرية وتذمر لأهلها في أغلب المجتمعات البشرية قبل الإسلام، ولا يقتصر ذلك على عرب الجزيرة كما يظن البعض وإن كان يبدو أن الأمر لدى العرب يأخذ منحى أكبر، فقد كانت توأد وتدفن حية لمجرد كونها أنثى، فكان هذه الأفعال وغيرها من أشد الأفعال التي ردّها الإسلام وحرمّها بقوله تعالى { أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً }، (الإسراء:٤٠) .. { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) }، (النحل).. { أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)} (الزخرف).. { وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)}، (التكوير).

وهكذا نزل القرآن الكريم ليعطي المرأة المنزلة الراقية التي تستحق، فأفرد لها سورة باسمها (سورة النساء) والتي ثبتت حقيقة مهمة في بداياتها وهي مساواة المرأة للرجل في النشأة والخلق والعبودية لله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }، (النساء:١).

---

(١) عن مقالة للأستاذ الدكتور أكرم عبد الرزاق المشهداني بمجلة التربية الإسلامية بعنوان حقوق الإنسان بين الشريعة والقوانين الوضعية، السنة ٣٥- العدد ١٢، ص٤٩-٥٣، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فكلمة زوج تعني المقابلة، فللزوجية في القرآن عدة معاني وهنا تعني التقابل أو التكامل أو المساواة وليس التضاد... كذلك جمع الله تعالى بين الجنسين في مهمة استخلاف الله البشر على إدارة الأرض وإصلاحها وهو يقصد جنس البشر ذكراً كان أو أنثى (البقرة:٣٠)، وسوّى بين الجنسين في التكريم والتفضيل الذي خصّ به الإنسان (الإسراء: ٧٠)، وساوى بينهما في الخلق من طين (ص : ١٦)، ونفى الإسلام عن المرأة مسؤولية الخطيئة الأصلية. كما ركزت الآيات والأحاديث على المساواة في العمل { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }، (النحل:٩٧). هنا تجدر الإشارة إلى أن تقديم الذكر على الأنثى لا يفيد التفضيل كما يظن البعض، فكما يعلم من قواعد اللغة والأحكام الشرعية أن التغليب هنا يفيد المساواة، فالقرآن كان يمكن أن يشير إلى النساء بصيغة جمع المذكر الذي يفهم على أنه يعني الإناث أيضاً، وهذا يعرف لغة بالتغليب، ولكن القرآن فضل الوضوح منعاً للبس وتأكيداً للمساواة. كذلك ساوى الشرع الحنيف بين الجنسين في اكتساب الأجر { وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً }، (النساء:٣٢). كما ساوى الإسلام بين الجنسين في الولاية وتولي المسؤوليات كالدعوة إلى الله وعمل الخير والنهي عن الشر والجهاد وغير ذلك من المسؤوليات التي تقيم المجتمع والدولة بقوله تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }، (التوبة:٧١).

وقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها من كبار رواة الحديث وعنها قال عروة بن الزبير (ما رأيت أحداً أعلم بفقه أو طب أو شعر من عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها). ويروى أن سيدنا عمر بن الخطاب τ ولّى (أم الشفاء بنت عبد الله) على مرفق اقتصادي مهم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هو حسبة السوق. كما أن سمراء بنت نهيك الأسدية كانت تمر بالسوق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وهناك أميرات ولّين الحكم في التاريخ الإسلامي كشجرة الدر وقت المماليك في مصر.

كما ساوى الإسلام الجنسين بمسؤولية تحمل النتائج بغض النظر عن الفاعل: { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ }، (المدثر:٣٨).. وأخرج البخاري في صحيحه(كتاب الجمعة ٨٤٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهم عَنْهمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ يَقُولُ:(**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**).

أما عن العقوبة لجرم كالسرقة فقد قدم الرجل السارق على المرأة السارقة لأنه الأقدر على ذلك: { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، (المائدة:٣٨). بينما في الزنا قدمت المرأة الزانية في العقوبة على الرجل لأن بيدها إتمام الجرم من عدمه، فهي تستطيع منع الجرم إن أرادت حتى وإن أراد الرجل الزاني { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }، (النور:٢). والقاعدة الفقهية في هذا الباب الذي يعنى بالعقوبات والمعروف قانوناً بالمساواة القانونية بين الجنسين تقول (النساء شقائق الرجال). ولكن الإسلام غلّظ العقوبة في الدنيا والآخرة على الذين يدّعون أمر الزنا على المرأة دون بينة ويتهمونها جزافاً وبهتاناً، إذ عليهم بأربعة شهود على دقة ادعاءهم: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }، (النور:٤).. { إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }، (النور:٢٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أما في المعاملة فقد أمر الشرع الحنيف الرجال بحسن المعاملة مع النساء، فها هو رسول الله ρ يوصينا بالنساء في كل الأوقات، بل وحتى قبل وفاته ρ كان آخر كلامه أن استوصوا بالنساء خيراً، وكان أحن الناس على أزواجه، ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي (المناقب ٣٨٣٠) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ : (**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**).. وفي بعض أسفاره كان يأخذ أحدى زوجاته ρ فحصل أن ساق الحادي الجمل بقوة فوبخه ρ على هذا الفعل وأمره أن يرفق بالقوارير أي بالنساء، وسماهنّ كذلك لرقتهن، فقد أخرج البخاري فبي الأدب (٥٧٤١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ρ فِي مَسِيرٍ لَهُ فَحَدَا الْحَادِي فَقَالَ النَّبِيُّ ρ : (**ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ وَيْحَكَ بِالْقَوَارِيرِ**). والمتتبع لسيرة المصطفى ρ وسير الصحلبة والتابعين يجد القصص الرائعة التي تذرف لها الدموع من فرط المحبة والإخلاص وحسن التعامل والمودة بين الزوجين في البيت المسلم وبين الحاكم والمحكوم في حالة الدولة والقضاء.

أما قدسية الزواج فقد كرّم الإسلام الزوجة أيما تكريم منذ خطبتها وحتى أقرب الأجلين الموت أو التفريق إن حصل وما يتخلل ذلك من معاملات، وفي كلتا الحالتين لا يجوز للزوج أن يأخذ من الزوجة ما قدمه لها إلا إذا أتت بفاحشة {وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً }، (النساء:٢٠). وأما الزوجة الصالحة فقد جعلت أعظم كنز يعطى للرجل في دنياه . ففي سنن أبي داود (الزكاة ١٤١٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ... }، قَالَ كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ عُمَرُ τ أَنَا أُفَرِّجُ عَنْكُمْ فَانْطَلَقَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُ كَبُرَ عَلَى أَصْحَابِكَ هَذِهِ الْآيَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ : (**إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضِ الزَّكَاةَ إِلَّا لِيُطَيِّبَ مَا بَقِيَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا فَرَضَ الْمَوَارِيثَ لِتَكُونَ لِمَنْ بَعْدَكُمْ**)، فَكَبَّرَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ لَهُ (**أَلَا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ).

أما تعدد الزوجات والتي أخذها الغرب حجة على الإسلام كما توهموا، فهي اختيارية وشرعت لأسمى غرض وهو الخوف على النساء من الضياع خصوصاً أولاء الأطفال منهن والذين لا يجدون من يعيلهن، فهي اختيار وبشروط مهمة أهمها إقامة العدل بينهن فإذا تعذر ذلك فزوجة واحدة تكفي { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا }، (النساء:٣) . تدبر الآية وانظر أنها شرطية ابتدأت بـ (وإن) أداة شرط . أي إن خفتم ألا تعطوا اليتامى حقوقهم فلكم أن تتزوجوا من أمهاتهن لترعوهم، ثم تعود الآية لتقول، فـ (إن) مرة أخرى خفتم ألا تعدلوا بين النساء فزوجة واحدة فقط. ويدل على صعوبة القدرة على العدل بين النساء قوله تعالى { وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً }، (النساء:١٢٩). وكان رسول الله ρ دائماً ما يطبق العدل بين الزوجات في الأمور الدنوية والمعيشية فيوزع عليهن الرزق بالتساوي وكذلك كان يعطيهم حق الزوجية دون تمييز، أما في الأمور العاطفية فقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها أحب زوجاته إلى قلبه وأمور القلب ليس للإنسان عليها من سلطان. فقد أخرج الترمذي (النكاح ١٠٥٩) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ρ كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ : (**اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ**)، قَالَ أَبو عِيسَى حَدِيثُ عَائِشَةَ هَكَذَا رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مُرْسَلًا . وَمَعْنَى قَوْلِهِ لَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ إِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الْحُبَّ وَالْمَوَدَّةَ كَذَا فَسَّرَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ.

ولك أخي الكريم أن تعرف سماحة الإسلام في التشريع الذي ينظر لكل الناس صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم ليحقق العد. فكل تلك التفاصيل لتبين لك عظمة الزواج ومكانة الزوجة، كيف لا وقد جعلت وثيقة الزواج ميثاقاً غليظاً يشبه الميثاق الغليظ الذي أعطي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لأولي العزم من الأنبياء عليهم السلام [*].

ولقد ذكرنا بعض الحالات التي ساهمت فيها المرأة في الحرب والسلم والتمريض في كتاب آخر[*]، ونضيف أن الإسلام أعطى حقاً للمرأة في أمور عديدة اقتصادية واجتماعية وعلمية وغيرها. ولكن الشرع الحنيف ثبّت حقائق واضحة لا يمكن تجاوزها، ألا وهي أن الرجل أفضل من المرأة لا لغرض التفضيل المتعصب، ولكن لأن الرجل يمتلك من المقومات الخلقية والخلقية ما يجعله كذلك.

على أن الجهال وأصحاب الأغراض والمصالح الضيقة والفهم القاصر للدين استغلوا هذه الحقيقة فقدموا نماذج صارخة لظلم والمرأة واستغلالها السيئ عبر التاريخ قديمه وحديثه، فحصلت ردة فعل طبيعية للمرأة معتقدة أن الثورة على التقاليد الشرعية ونفي الدين وإبعاد الشريعة عن واقعنا هو الحل، فتسممت الأفكار بدعاوى الغرب في تحرير المرأة، والتي جاءت بعد عقود الظلم التي عاشتها هناك.

يبين الله تعالى أن للذكر أحقية عن الأنثى من أوجه عدة لا لتحقير المرأة بل لتكريمها. فكما أن الملك أو المسؤول يحمى من قبل أناس متخصصون أقوى منه خوفاً من غدر الغادرين، وكما أن الجواهر تحمى في زجاج خاص خوفاً من السراق، كذلك المرأة جعلت بهذه المواصفات كي تكرّم وتحمى لأنها لا تقدر على معترك الحياة القاسية لوحدها دون رجل يقوم عليها ويحميها ويوفر لها سبل العيش الرغيد، تماماً كما أن الرجل القوي لا يقدر على هذه الحياة بدون المرأة..

وهنا نريد أن نعكس الحالة فنقول مثلاً لماذا أحل الله الفضة للمؤمنين من الذكور في الدنيا وحرّم الذهب، بينما أحلهما للإناث،

(*) وكما فصلنا في كتاب الطب من سلسلتنا (ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية).

(*) وكما فصلنا في كتاب الطب من سلسلتنا (ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هل ليحقّر الرجال مثلاً دون النساء، أم في المسألة اعتبارات أخرى؟!.

لقد أثبتت البحوث الطبية أن الذهب يؤثر على كريات الدم الحمراء للرجال دون النساء بسبب وجود طبقة شحمية بين الجلد واللحم للنساء تمنع الإشعاعات الناتجة من معدن الذهب. والذي يبلغ عمر النصف فيه ٢,٧ يوماً، بينما لا تؤثر إشعاعات معدن الفضة على الرجال والنساء، كما أثبتت البحوث الطبية العديدة أن إشعاعات الذهب لها دور سلبي على الهرمونات الجنسية الذكرية. وعن كتاب أطلس الكون الذري للدكتور أنيس الراوي، فإن جسم الإنسان لا يحوي على الفضة في تركيبه بينما يحوي الذهب واليورانيوم والحديد وأغلب العناصر الأخرى، كما وان الفضة والذهب كأوان يتفاعلان مع مركبات الطعام لتكوين مركبات تتفاعل مع الأنزيمات البشرية فتكون مادة تؤذي صحة الجسم.. وهذا بالضبط ما اخبرنا به ρ بقوله ((**الذهب والحرير حرام على ذكور أمتي حل لإناثها**))[١]، وقد نهانا ρ عن الشرب بآنية الذهب والفضة ولبس الحرير والديباج وقال ((**هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**))[٢]، كما وأن الفضة ارخص بكثير من الذهب وهي تلائم حالة الأمة الوسط التي ارادها الله لأمتنا. وهذا ما يثبت لنا مدى الفائدة العظيمة من تحريم الذهب على الرجال من أمة سيدنا محمد ρ بسببها وكم أن الإسلام يراعي الناس بكل أحوالهم، فما من تحريم لشيء إلا وجاء بسبب فائدة أما صحية أو اجتماعية أو نفسية أو غيرها.

إذن، هنا اختصاص لحالة عامة إذ أن التحريم للذهب جاء للذكور لأسباب عدة منها صحية ومنها نفسية واجتماعية وغيرها وليس تحقيراً لهم بل تكريماً وفائدة، فنفس الكلام ينطبق على التفاصيل

---

(١) أخرجه النسائي (الزينة ٥١٤٤)، أبو داود (اللباس ٤٠٥٧) ابن ماجة (اللباس ٣٥٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأتربة –٥٦٣٢) مسلم (اللباس والزينة –٢٠٦٧) والترمذي والنسائي وآبو داود وابن ماجة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الشرعية في حقوق المرأة وواجباتها.

هذه الحقيقة تؤكد أن تكريم المرأة وعلو شأنها في الإسلام جاء لعظمة دورها في المجتمع الإسلامي، وكما أن الذهب يتعب لاستحصاله فهو أما في باطن الأرض أو عند الجواهري فلا يستحصل إلا بمال كثير فكذلك المرأة المسلمة كنز لا يرى إلا لصاحبه ولا يستحصل إلا بتعب وثمن غال وكل من يريد أن يغير هذه السنة الا وهي كرامة المرأة وسترها وحجابها وعدم ظهور زينتها إلا لزوجها والمحارم فقد ساهم في تغيير سنة الله في خلقه وتناغم مخلوقاته { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً }، (النساء - ٢٧)، والله اعلم[١].

جاءت الآيات التي تؤكد على حقيقة قوامة الذكر على الأنثى كما يلي:

١. **في المجال القضائي:** { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}, (البقرة:٢٨٢).. { يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ

(٢) المنظار الهندسي للقرآن الكريم، للمؤلف، ص (٥٧٢-٥٨٢)، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}, (النساء:١١).. في هذه الآيات المباركات دلائل واستنباطات عديدة منها اقتصادية في أهمية الاكتتاب والعقد والشهود ، ومنها اجتماعية لغرض تثبيت الحقوق لكل الأطراف في الميراث والعقود، ومنها حقائق علمية في أن حقل الذاكرة في دماغ الرجل أكبر منه عند الأنثى لذلك يتم الاعتماد في الشهادة على الرجال أكثر من النساء، وقد فصلنا في هذا في كتاب الجملة العصبية.

٢. **في المجال الفيزيائي والجسماني:** { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }, (آل عمران:٣٦)..{ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً}, (النساء:٣٤).. تبين الآيات أن الرجال أكثر قوة في أمر العمل والمشاق الجسمانية من المرأة. وكان لهذا التفضيل السبب الرئيس الذي جعل للرجل القيومية على الأسرة.

معنى القوامة في الإسلام: لكي نفهم المسألة علينا فهم الآية المتعلقة بالقوامة من خلال علوم القرآن الكريم من حيث الإعراب وسبب النزول والتفسير لغة واصطلاحاً ومعنى. وذلك من خلال مراجعتنا لما ذكرته المصادر التالية:

١. **<u>التبيان في إعراب القرآن (ج: ١ ص: ١٧٨)</u>**: قوله تعالى قوامون على النساء على متعلقة بقوامون و بما متعلقة به

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أيضا ولما كان الحرفان بمعنيين جاز تعلقهما بشيء واحد فعلى على هذا لها معنى غير معنى الباء ويجوز أن تكون الباء في موضع الحال فتتعلق بمحذوف تقديره مستحقين بتفضيل الله إياهم وصاحب الحال الضمير في قوامون وما مصدرية فأما ما في قوله وبما أنفقوا فيجوز أن تكون مصدرية فتتعلق بمن أنفقوا، ولا حذف في الكلام ويجوز أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي وبالذي أنفقوه فعلى هذا يكون من أموالهم حالا فالصالحات مبتدأ قانتات حافظات خبران عنه وقرىء فالصوالح قوانت حوافظ وهو جمع تكثير دل على الكثرة وجمع التصحيح لا يدل على الكثرة بوضعه وقد استعمل فيها كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون بما حفظ الله في ما ثلاثة أوجه بمعنى الذي ونكرة موصوفة والعائد محذوف على الوجهين ومصدرية وقرىء بما حفظ الله بنصب اسم الله وما على هذه القراءة بمعنى الذي أو نكرة والمضاف محذوف والتقدير بما حفظ أمر الله أو دين الله وقال قوم هي مصدرية والتقدير حفظهن الله وهذا خطأ لأنه إذا كان كذلك خلا الفعل عن ضمير الفاعل لأن الفاعل هنا جمع المؤنث وذلك يظهر ضميره فكان يجب أن يكون بما حفظهن الله وقد صوب هذا القول وجعل الفاعل فيه للجنس وهو مفرد مذكر فلا يظهر له ضمير واللاتي تخافون مثل قوله واللاتي يأتين الفاحشة ومثل واللذان يأتيانها وقد ذكرا واهجروهن في المضاجع في وجهان أحدهما هي ظرف للهجران أي اهجروهن في مواضع الاضطجاع أي اتركوا مضاجعهن دون ترك مكالمتهن.

٢. **العجاب في بيان الأسباب (ج: ٢ ص:٨٦٨- ٨٦٩)**: قوله تعالى الرجال (قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض)، الآية . أخرج ابن أبي حاتم من طريق أشعث بن عبد الملك عن الحسن قال جاءت امرأة إلى النبي تستعدي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على زوجها أنه لطمها فقال رسول الله ρ القصاص فأنزل الله تعالى الرجال قوامون على النساء الآية فرجعت بغير قصاص وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر من طريق حماد بن سلمة وأخرجه الواحدي من طريق هشام كلاهما عن يونس وأخرج ابن المنذر من طريق جرير بن حازم كلاهما عن الحسن أن رجلا لطم امرأته فخاصمته إلى النبي فجاء أهلها معها فذكر نحوه وفيه فجعل رسول الله يقول القصاص القصاص ولا يقضي قضاء فأنزل الله هذه الآية فقال النبي أرادوا أمرا وأراد الله غيره ونقل الثعلبي عن الكلبي قال نزلت في سعد بن الربيع وامرأته عميرة بنت محمد بن مسلمة وذكر نحو القصة الآتية عن مقاتل... ونقل عن أبي روق أنها نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي وزوجها ثابت بن قيس بن شماس كانت نشزت عليه فلطمها فاستعدت عليه فنزلت قلت وقد تقدم ذكر هذه الأخيرة في تفسير البقرة في قوله تعالى فيما افتدت به وكان ذلك ٣٦٨ الخلع أول خلع في الإسلام وقال مقاتل نزلت في سعد بن الربيع كان من النقباء وامرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير وهما من الأنصار وذلك إنها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى رسول الله فقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي ارجعا هذا جبريل أتاني فأنزل الله تعالى الرجال قوامون على النساء الآية، فقال النبي أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة صك رجل امرأته فأتت النبي فأراد أن يقيدها منه فنزلت وأخرجه عبد بن حميد من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلغنا فذكر.

٣. **لسان العرب(ج: ١٢ ص: ٤٩٧، ٥٠٣- ٥٠٥):** و القامة جمع قائم عن كراع قال ابن بري رحمه الله قد ترتجل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العرب لفظة قام بين يدي الجمل فيصير كاللغو ومعنى القيام العزم كقول العماني الراجز للرشيد عندما هم بأن يعهد إلى ابنه قاسم قل للإمام المقتدى بأمه ما قاسم دون مدى ابن أمه فقد رضيناه فقم فسمه أي فاعزم ونص عليه، ومنه قوله تعالى وإنه لما قام عبدا يدعوه أي لما عزم وقوله تعالى إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض أي عزموا فقالوا قال وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى الرجال قوامون على النساء وقوله تعالى إلا ما دمت عليه قائما أي ملازما محافظا، ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات. يقال للماشي قف لي أي تحبس مكانك حتى آتيك وكذلك قم لي بمعنى قف لي وعليه فسروا قوله سبحانه وإذا أظلم عليهم قاموا قال أهل اللغة والتفسير قاموا هنا بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين ومنه التوقف في الأمر وهو الوقوف عنده من غير مجاوزة له ومنه الحديث المؤمن وقاف متأن. ومنه قامت الدابة إذا وقفت عن السير و قام عندهم الحق أي ثبت ولم يبرح ومنه قولهم أقام بالمكان هو بمعنى الثبات . ويقال قام الماء إذا ثبت متحيرا لا يجد منفدا وإذا جمد أيضا، وقام الماء أي ثبت متحيرا جامدا و قامت السوق إذا نفقت ونامت إذا كسدت وسوق قائمة نافقة وسوق نائمة كاسدة و قاومته قواما قمت معه صحت الواو في قوام لصحتها في قاوم و القومة ما بين الركعتين من القيام قال أبو الدقيش أصلي الغداة قومتين والمغرب ثلاث قومات وكذلك قال في الصلاة يقوم بأمرها وما تحتاج إليه وقام بأمر كذا و قام الرجل على المرأة مانها وإنه لقوام عليها مائن لها وفي التنزيل العزيز الرجال قوامون على النساء وليس يراد ههنا أعلم القيام الذي هو المثول والتنصب وضد القعود إنما هو من قولهم قمت بأمرك، فالرجال متكفلون بأمور النساء معنيون

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بشؤونهن وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة أي إذا هممتم بالصلاة وتوجهتم إليها بالعناية وكنتم غير متطهرين فافعلوا كذا. وأقام الصلاة إقامة و إقاما فإقامة على العوض و إقاما بغير عوض وفي التنزيل وإقام الصلاة ومن كلام العرب ما أدري أأذن أو أقام يعنون أنهم لم يعتدوا أذانه أذانا ولا إقامته إقامة لأنه لم يوف ذلك حقه فلما ونى فيه لم يثبت له شيئا منه إذ قالوها بأو ولو قالوها بأم لأثبتوا أحدهما لا محالة وقالوا قيم المسجد وقيم الحمام قال ثعلب قال ابن ماسويه ينبغي للرجل أن يكون في الشتاء كقيم الحمام وأما الصيف فهو حمام وجمع قيم عند كراع قامة قال ابن سيده وعندي أن قامة إنما هو جمع قائم على ما يكثر في هذا الضرب والملة القيمة المعتدلة والأمة القيمة كذلك وفي التنزيل وذلك دين القيمة أي الأمة القيمة وقال أبو العباس والمبرد ههنا مضمر أراد ذلك دين الملة القيمة فهو نعت مضمر محذوف.. وقال الفراء هذا مما أضيف إلى نفسه لاختلاف لفظيه، قال الأزهري والقول ما قالا وقيل الهاء في القيمة للمبالغة ودين قيم كذلك وفي التنزيل العزيز دينا قيما ملة إبراهيم، وقال اللحياني وقد قرىء دينا قيما أي مستقيما قال أبو إسحق القيم هو المستقيم و القيم مصدر كالصغر والكبر إلا أنه لم يقل قوم مثل قوله لا يبغون عنها حولا لأن قيما من قولك قام قيما و قام كان في الأصل قوم أو قوم فصار قام فاعتل قيم وأما حول فهو على أنه جار على غير فعل وقال الزجاج قيما مصدر كالصغر والكبر وكذلك دين قويم و قوام ويقال رمح قويم و قوام قويم أي مستقيم، قال إلا أن القيم مصدر بمعنى الاستقامة لصف من إقامة الصلاة أي من تمامها وكمالها قال فأما قوله قد قامت الصلاة فمعناه قام أهلها أو حان قيامهم وفي حديث عمر في العين القائمة ثلث الدية هي الباقية في موضعها صحيحة وإنما ذهب

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نظرها وإبصارها.. وفي حديث أبي الدرداء (رب قائم مشكور له ونائم مغفور له)، أي رب متهجد يستغفر لأخيه النائم فيشكر له فعله ويغفر للنائم بدعائه وفلان أقوم كلاما من فلان أي أعدل كلاما و القوم الجماعة من الرجال والنساء جميعا وقيل هو للرجال خاصة دون النساء ويقوي ذلك قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم لا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن أي رجال من رجال ولا نساء من نساء فلو كانت النساء من القوم لم يقل ولا نساء من نساء، و قوم كل رجل شيعته وعشيرته وروي عن أبي العباس النفر و القوم والرهط هؤلاء معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء وفي الحديث إن نساني الشيطان شيئا من صلاتي فليسبح القوم وليصفق النساء قال ابن الأثير القوم في الأصل مصدر قام ثم غلب على الرجال دون النساء ولذلك قابلهن به وسموا بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها الجوهري القوم الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه قال وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لأن قوم كل نبي رجال ونساء والقوم يذكر ويؤنث لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت للآدميين تذكر وتؤنث مثل رهط ونفر وقوم قال تعالى وكذب به قومك فذكر وقال تعالى كذبت قوم نوح فأنث قال فإن صغرت لم تدخل فيها الهاء وقلت قويم ورهيط ونفير وإنما يلحق التأنيث فعله ويدخل الهاء فيما يكون لغير الآدميين مثل الإبل والغنم لأن التأنيث لازم له وأما جمع التكسير مثل جمال ومساجد وإن ذكر وأنث فإنما تريد الجمع إذ ذكرت وتريد الجماعة إذا أنثت ابن سيده وقوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين إنما أنث على معنى كذبت جماعة قوم نوح وقال المرسلين وإن كانوا كذبوا نوحا وحده لأن من كذب رسولا واحدا من رسل الله فقد كذب الجماعة وخالفها

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل وجائز أن يكون كذبت جماعة الرسل وحكى ثعلب أن العرب تقول يا أيها القوم كفوا عنا وكف عنا على اللفظ وعلى المعنى وقال مرة المخاطب واحد والمعنى الجمع والجمع أقوام و أقاوم و أقايم كلاهما على الحذف قال أبو صخر الهذلي أنشده يعقوب فإن يعذر القلب العشية في الصبا فؤادك لا يعذرك فيه الأقاوم ويروى الأقايم وعنى بالقلب العقل وأنشد ابن بري لخزر بن لوذان من مبلغ عمرو بن لأ ي حيث كان من الأقاوم وقوله تعالى فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال الزجاج قيل عنى بالقوم هنا الأنبياء عليهم السلام الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبي ρ في وقت مبعثهم وقيل عنى به من آمن من أصحاب النبي وأتباعه وقيل يعنى به الملائكة فجعل القوم من الملائكة.

٤. **تفسير البيضاوي(ج: ٢ ص: ١٨٤):** الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما أنفقوا من أموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة.

إذن يفهم من معنى القوامة من كل ما سبق أنها تعني الاهتمام، العناية، الرعاية، توفير الأمن والسكن والطعام والملبس وكل شؤون الحياة، تقديم المشورة والنصح. وكل تلك المعني تتطلب الخلق الحسن وحسن المعاملة والعشرة والإحسان والصبر على المرأة إن حصل منها تقصير في شؤون معينة بل وحتى في شؤون الطاعة لقوله تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}، (طـه:١٣٢). ويتبين من مراجعة المصادر أعلاه أن من ضمن أسباب التنزيل للآية أن رجلاً قد ضرب امرأته فجاءت تشتكي إلى النبي ρ لأنها تعرف أنه ρ سيأخذ لها الحق، وقد همّ بأخذ القصاص لها لولا أن جبريل عليه السلام جاء بالأمر الإلهي أن الرجال أحق بالقوامة. ولا يظن البعض هنا أن الرجال من حقهم ضرب المرأة لأي سبب، وإنما جاءت الآية لتعطي معنى أنه في حالة استخدام الضرب كحل أخير بعد انتهاء كل الأساليب الأخرى يكون تأديبياً وألا يكون مبرحاً ويتجنب الوجه كما جاء في الأحاديث، ولكي يعطي قناعة أنه في حالة الحصول لا يفترض القصاص المقابل من قبل المرأة للرجل بضربه لأنه لو شرع ذلك فلك أن تتخيل أن المرأة تضرب زوجها، فهل تبقى بعد ذلك قيمة للزوج كقيّم عليها واجب الاحترام. وبالمقابل على الزوج أن يتجنب الضرب والإهانة ويستخدم الحجة ويتحلى بالصبر.

القوامة التي عنتها الآية الكريمة لا تكون للرجل بوصفه ذكراً على المرأة بوصفها أنثى لقوة جسمه وتحمله المشاق حسب، ولكن يكون له بما يكتسبه من أخلاق، ويمارسه من أدوار على المرأة بما تكتسبه من أدوار وأخلاق، فقد خلق الله تعالى الذكر وفيه استعداد فطري لكي يكون رجلاً مسؤولاً وراعياً كما خلق المرأة ولها استعداد فطري لتكون حانية راعية مهتمة بشؤون أولادها وزوجها. واكتساب القوامة للرجل لغة بقيامه على شؤون الأسرة بكافة احتياجاتها كالأمن والعيش وغيره. وعلى هذا الأساس تفهم القوامة من فهم المسؤولية والرعاية والإدارة والإشراف التي أرشد لها الحديث (كلكم راع)، وليس التحكم والسيطرة. فالقوامة إمارة لا من باب الولاية السياسية والسلطة الاستبدادية، من باب (تفضل على من شئت تكن أميره)، دون منٍ أو تطاول[١].

ولغرض فهم أشمل للفروقات بين الجنسين من النواحي الجسمانية

([١]) مجلة الأسرة السعودية، العدد١٢٤، رجب ١٤٢٤هـ, ص (٢٢ – ٣٦)، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والذهنية والفيزيائية بإمكان القارئ الكريم العودة إلى كتابنا المتعلق بهذا الموضوع ضمن سلسلة كتب (ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية-الكتاب الرابع عشر/ الاقتصاد والاجتماع) ففيه تفاصيل مهمة تكمل الصورة التي بينا بعضها في مقامنا هذا.

منزلة الوالدين في الإسلام:

أما عن الوالدين واحترامهما فإنه لا يوجد تشريع أرضي أو سماوي أعطى لهما أهمية قدر اهتمام الإسلام بهما، فيكفي أن القرآن الكريم قد قرن في غير موضع الإشراك بالله بعقوقهما { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً (٢٥)}، (الإسراء).. هذه الآية تحديداً عندما قرأها الأمير تشارلز الشخصية البريطانية المعروفة وأمير ويلز تغيرت نظرته تماماً عن الإسلام، فامتدحه بخطبة مشهورة أمام البرلمان البريطاني عام ١٩٩٦م.

وبعد خير الكلام كلام الله يأتي خير الهدي هدي رسولهρ في مسألة الوالدين, وقد جعل بر الوالدين مفضلاً على الجهاد في سبيل الله وهو ما قاله ρ للصحابي الذي أراد الجهاد ((**ألك والدان**)), قال نعم, قال ρ ((**ففيهما جاهد**)), وعَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ τ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ρأَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ ((**الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)) , وفي حديث قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ ((**الصَّلاةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا قُلْتُ وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)).

ولنا عودة على هذا الموضوع عند حديثنا عن قوانين البناء السلوكي والدعوة بالخير في الباب الثاني.. وبعد فهذا غيض من فيض رحمة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

الإسلام الشاملة لكل خلق الله تعالى والتي لم تتميز بشموليتها وخصائصها أية حضارة أخرى باعتراف كبار منظري ومستشرقي الغرب (*). وتلك مقارنة بسيطة لأجل وضع القارئ الكريم بالصورة المطلوبة للدخول في قوانين القرآن الكريم في الحضارات.

النظام الاقتصادي في الإسلام

إن ما يشهده العالم من ظلم اقتصادي لفئات كبيرة من المجتمع البشري يؤكد ضرورة ملحة ألا وهي إيجاد كيفية وأسلوب لتكوين نظام اقتصادي يجعل العدالة هي السمة الأبرز لمفرداته، ويطرد كل الأفكار التي من شأنها أن تكون دولاً غنية وأخرى فقيرة أو على الأقل أن يكون الفرق بسيطاً مقبولاً وليس ساحقاً للغالبية الفقيرة.

إن أهم مبدأ جاء به التشريع الاقتصادي الإسلامي هو إزالة تلك الهوة بين الفريقين الأغنياء والفقراء ومحاولة تقليصها قدر الإمكان. يقول الله تعالى: { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}، (الحشر:٧).

أي لكي لا تكون الغنائم محصورة بين مجموعة الأغنياء فقد شرع التوزيع للجميع دون استثناء، فالمبدأ إذن منع الاحتكار المالي والسلعي كي لا يحصل الخلل والمن ثم المظالم والمآسي التي تؤدي إلى الاقتتال من أجل المال. وإنك لتجد في التشريع الحنيف ما أغنانا عن ذكره الكثير من الباحثين والمتخصصين في هذا الشأن المهم، وما ذكر في الكتب والمؤلفات والمجلدات ما يجعلنا نبتعد عن

(*) لتفاصيل أكثر في هذا الموضوع يراجع كتابنا (الاقتصاد والاجتماع)، ضمن سلسلتنا (ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التفصيل ونقترب من الاختصار. دائماً ما يحث الإسلام وكتابه رسول الله ρ الناس على التكامل والتكافل الاقتصادي، وينهاهم عن الاحتكار والغش والسحت والسرقة وأكل مال اليتيم واليمين الفاجر والربح الفاحش وغير ذلك من القيم الرائعة في التعامل التجاري والاقتصادي بين الأفراد والدول، كما شرعت الزكاة وجعلت من دعائم النظام الإسلامي لما لها من أثر إيجابي على المجتمع، وكذا والصدقات والمكوس ونظم بيت المال للحفاظ على التوازن بين الغني والفقير في الأمة. وقد فرض على الأغنياء ما يغني الفقراء وهدد الممانعون بأشد العقاب في الدنيا والآخرة لأن الفقر كاد أن يكون كفراً, كما جعل الدّين ثقيلاً على النفس لأنه يمنع الحي من الراحة والميت من نيل الأجر حتى يسدد عنه دّينه. وقد طبق كل ذلك في عهود كثيرة وأثبت نجاحه وتميزه.

الناحية الاقتصادية في نظام الحكم الإسلامي تستند على مسألتين، الأولى هي كيفية أخذ الدولة للمال من الأمة، والثانية كيفية إنفاقه. أما الأولى، فكانت الدولة الإسلامية تأخذ الزكاة على الأموال والأراضي وعروض التجارة والمواشي والزروع والثمار، باعتبار أن الزكاة عبادة، لتقوم بتوزيعها على مستحقيها من الأصناف الثمانية المقررة شرعاً، كما تأخذ الخراج والجزية وضرائب الجمارك بحكم إشرافها على التجارة في الصعيدين الداخلي والخارجي، وكانت تقوم على إدارة ما هو داخل في الملكية العامة أو ملكية الدولة كالمعادن والقنوات وغيرها من موارد بيت المال. أما من حيث إنفاق هذه الأموال فإنها توزعها حسب الأحكام الشرعية، وقد طبقت أحكام النفقة على العاجز وحجزت على السفيه والمبذر، وأوجدت أماكن الفقراء والمعسرين، ونفذت أحكام العمل والعمال، ومنعت الاحتكار والغش والاستغلال والرشاوى وكل وسائل الكسب غير المشروع. ومن الحق أ ن نقول أن بعض الحكام كانوا يسيئون تطبيق أحكام الشرع في هذه الناحية، وكان البعض الآخر يحسن غاية الإحسان في رعاية هذه الناحية، تبعاً لنفسية الحاكم ومدى التزامه بالأحكام

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الشرعية، وموقف الأمة منه وخصوصاً العلماء، فإذا حصل لبعض الحكام أن يقصر ويسيء فلا يعني هذا عدم التطبيق[١].

لا أريد هنا أن أدخل في تفاصيل هذا العلم الواسع وعظمة التشريع الإسلامي في الزكاة والصدقات والتدابير الاقتصادية الإسلامية العظيمة الأخرى والتي تحتاج إلى مجلدات كثيرة لتفصيلها وهذا يترك لأهل الاختصاص[٢]. إلا أنني سأركز على أمر غاية في الخطورة بل هو أخطبوط مرعب التهم العالم كله بسبب نظام اقتصادي غير عادل حذر الإسلام منه أيما تحذير ألا وهو (الربا).

الربا لغوياً هو مطلق الزيادة والنمو، وهو حسب ما فصله الإمام الرازي رحمه الله في مختار الصحاح: (رَبَا) الشيء زاد وبابه عَدَا. والرابية ما ارتفع من الأرض وكذا (الربوة) بضم الراء وفتحها وكسرها والرباوة أيضاً بفتح الراء. والربو النفس العالي يقال ربا من باب عدا إذ أخذه الربو. قال الفراء في قوله تعالى: { فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً }, (الحاقة:١٠), أي زائدة كقولك أربيت إذا أخذت أكثر مما أعطيت. ورباه تربية وترباه أي غذاه وهذا لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه. والربا في البيع وقد أربى الرجل والربية مخففة لغةً في الربا وهو في حديث صلح أهل نجران. قال الفراء: هو ربية مخففة سماعاً من العرب والقياس (رُبوة) بالواو[٣].

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام، الشيخ الشهيد عبد العزيز البدري، ألفه عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ص١٣-١٤.

(١) بإمكان القارئ الكريم الرجوع إلى مصادر مهمة في النظام الاقتصادي الإسلامي، وأفضّل كتاب (المعاملات المالية المعاصرة في ميزان الفقه الإسلامي)، للمؤلف الدكتور علي أحمد السالوس لأهميته وأسلوبه المميز.

(٣) مختار الصحاح، الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ص٢٣١-٢٣٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١- { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)}, (البقرة).

٢- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)}, (البقرة).

٣- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }, (آل عمران: ١٣٠).

٤- { وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً}, (النساء:١٦١).

٥- { وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}, (الروم: ٣٩).

فإن الآيات المباركات تبين ما لخطورة هذا الأمر وعظمة تأثيره السلبي على الاقتصاد للفرد والمجتمع، كما تبين مدى التهديد العظيم الذي هدد به الله تعالى المتعاملين بالربا ألا وهو حرب من الله ورسوله، وهذا ما نراه اليوم.

ولقد اكتشف علمياً أن للقلق الذي يحدث نتيجة تراكم الثروات تؤدي إلى إفراز مادة الأدرينالين التي بدورها ترفع ضغط الدم وتؤدي إلى الحزن والألم، وهذا يؤدي إلى مرض البول السكري، ويتعرض الإنسان إلى الانفعالات العصبية فيرى الدنيا في عينيه سوداء قاتمة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لا أمل فيها. يؤدي ذلك بالتراكم إلى تخبط الإنسان فيصبح بحال غير طبيعي كأن به مساً من جن أو كأنه مجنون، وهذا ما وصفه تعالى في كتابه الكريم في الآيات التي استعرضناها آنفاً من الآية ٢٧٥ من سورة البقرة والتي تصف حالة المتعاملين بالربا: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا....} . كما وأنك تجد نسبة عالية من الناس قد أصابهم من الربا أما مباشرة أو أصابهم من رشاشه تماماً كما تنبأ رسول الله ρ فيما سيكون من أمر الناس عند آخر الزمان(*)، فاختلطت أموالهم الحلال بحرامه بسبب البنوك والتعاملات الربوية من جهة وبسبب تداخل المصالح العالمية اليوم بشبكة عنكبوتية والتي أصبح معها من الصعب بمكان الانفكاك منها شئنا أم أبينا. فماذا كانت النتيجة أننا أكلنا في بطوننا بعض هذا الحرام المتأتي من الربا المفروض علينا فرضاً، فأصبح الرجال والنساء يرقصون ويتمايلون في الملاهي والطرقات كأنهم بهم مس من الشيطان، إلا من رحم ربي، فصدق الله ورسوله.

ذكرنا تلك المشاكل الصحية المتأتية من الربا رغم أنه يفترض أن ندرجها ضمن المواضيع الطبية، ولكن الموضوع يقتضي الإشارة المباشرة. ولا أريد هنا الدخول في الأسباب التي أوصلتنا إلى هذه النهاية لأن الشرح يطول، ولكنني سأذكر بعض الأمور من كتاب ألفه رجل أمريكي اسمه **وليم غاي كار** وترجمه إلى العربية سعيد جزائرلي وطبعته بالنسخة العربية دار النفائس للطباعة والنشر. اسم الكتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) دفع المؤلف حياته ثمناً له وكان قد استغرق في تأليفه وجمع وثائقه وحقائقه حوالي أربعين عاماً وقد أحدث ضجة كبيرة في خمسينات القرن العشرين ولا يزال من المصادر المهمة التي تقض مضاجع اليهود وفضائحهم التي تزكم

(*) راجع الأحاديث التي وردت في ذلك في كتابنا الأخير من سلسلة (آخر الزمان) للمؤلف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الأنوف. يذكر المؤلف في هذا الكتاب حقائق مذهلة توصل إليها ببحث واستقصاء مضنيين مفادها أن سبب ما نعانيه هو المشكلة الاقتصادية التي أكلت العالم بسبب ما فعله المرابون اليهود طيلة أربع قرون من الزمن سيطروا فيها على المال العالمي ومصادره وأمسكوا بزمام الشريان الاقتصادي العالمي فتحكموا به وبنوا إمبراطورية اقتصادية مهولة أساسها الربا بأضعاف مضاعفة ومن ثم تحولت سيطرتهم إلى سيطرة إعلامية واجتماعية وسياسية وعسكرية وهذا ما نراه اليوم من سيطرتهم على أعقد العقد السياسية فيما يسمى الدول الكبرى في العالم، ألا وهو الكونغرس الأمريكي وبالتالي سيطرتهم على تعيين الرئيس الأمريكي نفسه، (وأضيف هنا أن أكثر من ٨٠% من الحكومة الأمريكية منذ عام ١٩٩٢م ولحد اليوم هم من اليهود المؤصلين وهذه أكبر نسبة لليهود في تاريخ الحكومات الأمريكية)، بل إن المحافظون الجدد الذين يرسمون السياسة الأمريكية الحالية هم صهاينة أو متصهينون، فشتان بين جورج واشنطن الذي سمى اليهود بالحشرات التي يجب أن تسحق وتطرد، وبين ما وصلت إليه أمريكا اليوم، وكذلك شتان بين الملك إدوارد الأول الذي طرد ما تبقى من اليهود بعد ذبحهم ذبح الشاة وبين ونستون تشرشل الذي يقول أنا صهيوني ابن صهيوني، وكل من جاء بعده.

إن حب اليهود للمال جاء منذ عهد سيدنا موسى υ بعد حادثة العجل الذي عبدوه بعدما نجاهم الله تعالى من فرعون وكما أخبرنا القرآن الكريم، يقول الله تعالى: { ... وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ...}, (البقرة: من الآية ٩٣)، أي جعل الذهب والفضة والمال الإله الذي يحكمهم بعدما كفروا بالله تعالى وسمحوا لأنفسهم بأن يعبدوا عجلاً مصنوعاً من الحلي الذي أخذوه من أهل مصر القديمة. هذا العقاب الإلهي لهم بأن أصبحوا عبدةً للمال جعلهم لا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يتورعون عن فعل أي شيء ومن ذلك الربا الذي حرم عليهم في التوراة بنص الآية القرآنية التي ذكرناها (النساء: ١٦١).

إن الكتاب الذي أشرنا إليه يذكر أسماء هؤلاء المرابين وانتساباتهم ومؤسساتهم وأين وصلوا الآن بعد أربعة قرون من العمل الأخطبوطي الدؤوب توارثوه جيلاً بعد جيل، وهو كتاب غاية في الأهمية والروعة يعطي لقارئه الفكرة الواضحة حول خبث هؤلاء الناس ومكرهم ودهائهم الذي جعل من كل دول العالم مقلداً لهم أو طائعاً ذليلاً بسبب الحبال التي أوثقوها حول رقاب الشعوب وما فعلوه من أسلوب اقتصادي خنق العالم وكبله بالديون والمشاكل الاقتصادية التي لا تنتهي وما صندوق النقد الدولي إلا ذراع واحد من أذرع هذا الأخطبوط المرعب.

لنتحول الآن إلى كاتب آخر وهو الدكتور حسين مؤنس، إذ كتب بحثاً في مجلة أكتوبر المصرية (العدد ٤٧٥، ديسمبر، ١٩٨٥، ص ٥٠-٥٢)، توصل فيه في النهاية إلى تعبير نصه: ((إذن فالربا يعني خراب الدنيا فعلاً))، قال فيه: ((خلال السنوات الماضية تجلى بوضوح أكثر فأكثر أن العالم كله يسير بسرعة متزايدة نحو كارثة اقتصادية بلا حدود، وأن تلك الكارثة لا ترجع إلى أن موارد الخير والرزق في الأرض قد قلّت ولم تعد تكفي الناس، لأن الحقيقة عكس ذلك فقد ازدادت هذه الموارد خلال السنوات الماضية بصورة تخطت كل التوقعات والدراسات، فإنتاج العالم من الغذاء يبلغ اليوم أضعاف حاجة البشرية جميعاً إذا هي دُبرت بعدالة، ففي بعض بلاد الدنيا مقادير من الغذاء تكفي أهل الأرض جميعاً، فهذه أمريكا تتحدث عن جبال القمح، وهذه أوربا تحدثت عن جبال الزبد، بينما في قارة أفريقيا يموت ١٠% من سكانها سنوياً في حين أن الملوك والأمراء يعملون موائد تكفي إنقاذ أضعاف هذا الرقم من موتهم وهلاكهم ولا أحسب هذا التفاوت إلا من جراء الربا)).

وقد ساق الرجل أمثلة عديدة بالأرقام حول موضوع الربا فمثلاً نراه يقول ((إن القلم الذي أكتب به الآن يكلف من مواد وصناعة وهندسة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ونقل وأمور أخرى رقماً يساوي عشر المبلغ الذي أشتريه به))، وأمثلة أخرى عديدة، ويقول أيضاً متسائلاً بعد هذه الأمثلة، (ما الذي يجعل هذا الفرق الهائل بين الواحد والعشرة؟! فيجيب، الوسطاء والبنوك، ثم يتساءل في نهاية البحث ما الذي يعطي الدولار كل هذه القوة؟!، إنه الربا، إنها المعاملات الربوية التي هي أساس الاقتصاد الغربي كله. لأن الثروة الأمريكية التي لا تصدق والتي يصل قيمة المداورة اليومية لها مئات البلايين من الدولارات لا يمكن أن تكون قد تكدست بهذه الصورة الرهيبة عن طريق التجارة الحرة الشريفة، لأن أرباح المعاملات التجارية مهما بلغت فإن للمكاسب التجارية حدوداً، والشطارة والمهارة مهما بلغت فهي لن تسمح لك ببيع منتجاتك بأكثر من أربعة أو خمسة أضعاف تكلفتها، فإذا أنت بعتها بمائة ضعف فأنت هنا تدخل في ميدان السرقة، والسرقة تسمى في عرف التجارة الغربي (Intrest) أو (Benifet) والترجمة العربية الفصيحة للكلمتين هو الربا)). وتوصل في نهاية بحثه إلى أن مأساة البشرية التي نعيشها الآن هو أساسها أن ((عالمنا الراهن يقوم على الربا من البداية حتى النهاية)).. فشتان بين عدل الاقتصاد في الإسلام وشريعته السمحاء التي ملأت العالم رحمةً وعدلاً طيلة ثمانية قرون وبين بربرية حضارة العم سام.

تعلق بعض المتأخرين بكلمة (أضعافاً مضاعفة) التي وردت في قوله تعالى في الآية ١٣٠ من آل عمران التي أوردناها آنفاً، وقالوا أن الربا المحرم هو ما كان أضعافاً مضاعفة، أما ما كان بسيطاً وقليلاً فلا حرمة فيه. إن هذا الفهم الخاطئ للآية

الرد على هؤلاء كما يذكر الأستاذ صلاح الدين عبد المجيد هو أن هذا من باب التدرج في التشريع تمامً كما تدرج حكم تحريم الخمر، والعبرة دائماً بالحكم الأخير، فكما يلاحظ من آيات الربا التي أوردناها أن هناك تدرجاً في الحكم بتحريمه حتى وصل إلى درجة الحرب من الله ورسوله على فاعليه والعياذ بالله.. والأحاديث الشريفة الصحيحة في ذلك كثيرة، نذكر منها:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١. أخرج البخاري في الوصايا (٢٥٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهم عَنْه عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ(**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**)، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ (**الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**).

٢. أخرج الإمام مسلم في المساقاة (٢٩٩٥) عَنْ جَابِرٍ قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ρآكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ

٣. أخرج أبو داود في البيوع (٢٨٩٦) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ (**أَلَا إِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ مِنْ دَمِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُ مِنْهَا دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ**)، قَالَ (**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**)، قَالُوا نَعَمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ (**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**)، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

ولقد أصدر المؤتمر السنوي لمجمع البحوث الإسلامية الذي عقد عام ١٩٦٥م قراراً هذا نصه: (الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي، وإن كثير الربا وقليله حرام) . إن الربا له أضرار كثيرة في جوانب ثلاثة: الجانب الخلقي والجانب الاجتماعي والجانب الاقتصادي.

يرى عميد الاقتصاديين الأوربيين (كينز) أن الربا هو سبب الكساد، وأن المجتمع النامي لكي يحقق آماله في التنمية عليه أن يصل في تعامله الاقتصادي إلى الدرجة التي تصير درجة الفائدة (الربا) صفراً.. وإن نظرة واحدة إلى ديون العالم النامي التي وصلت إلى أرقام مرعبة، هي كلها ديون ربوية، ومهما عملت الدولة لتسديد تلك الديون تراها تغرق فيها أكثر، السبب ببساطة أن المبدأ هو مبدأ إيغال

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في المشكلة وليس حلها.

على أن هناك فوائد لا تنكر من عمل المصارف الإسلامية كتيسير التبادل وتعزيز طاقة رأس المال وتحويل النقود بين الدول وبيع وشراء العملات وإصدار الشيكات وتحصيل الديون وبيع أسهم الشركات وتأجير الخزائن الحديدية وتسهيل التعامل مع الدول الأخرى.. ومن هنا بدأت فكرة البنوك غير الربوية في خمسينيات القرن العشرين الميلادي، وقد أثبتت نجاحاً باهراً مما دفع إلى تطوير الفكرة وانتشارها حتى وصل إلى أوربا وأمريكا[١].

في بدايات العقد التسعيني من القرن العشرين الميلادي عقد مؤتمر عن الاقتصاد الإسلامي في جامعة ليفيبوروه البريطانية بحضور كبار اقتصاديي العالم, واستمعوا إلى شروح عن آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ρ المتعلقة بتنظيم الشؤون الاقتصادية, فكان الانبهار العظيم من الجميع, وتم الاتفاق على تدريس الاقتصاد الإسلامي في الجامعات البريطانية في البكالوريوس والماجستير والدكتوراه... وفعلاً في عام ١٩٩٦م تأسس معهد ماركفيلد للدراسات الإسلامية الاقتصادية تحت إشراف أساتذة مسلمين متخصصين أمناء وأوفياء, وليس المستشرقين الذين شوهوا الإسلام وكتابه وسنة رسوله, ودسوا لنا السم في الدسم. وقد قام هؤلاء الأساتذة بالإشراف على الطلاب من مختلف المراحل الجامعية ولأربعة جامعات بريطانية كمرحلة أولى. وهاهي المصارف الإسلامية غير الربوية تبدأ بالانتشار في أمريكا وأوربا وتدر بالربح الوفير باعتراف الغربيين أنفسهم, وهاهي الإنجازات تترى لتكون بداية الخير, فأول الغيث قطر كما يقولون, والحمد لله رب العالمين[٢].

---

(١) بحث للأستاذ صلاح الدين عبد المجيد في مجلة التربية الإسلامية، السنة ٣٥، العدد ١٢، ص ٢٧-٣٠، بتصرف.

(١) لتفاصيل أكثر في موضوع الاقتصاد في الإسلام يراجع كتابنا (الاقتصاد والاجتماع)، ضمن سلسلة (ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية)، ففيه تفاصيل مهمة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الذوق والسلوك الراقي في الإسلام(*).

بيّن الإسلام الحنيف أن الكون يسير وفق نواميس وموازين وضعها الله تعالى بأمره فهي لا تخطأ مقدار حبة من خردل، ومن ضمن هذا الكون البشر فهم سائرون على منهج الله ونواميسه فيما يتعلق بالأمور المادية شاءوا أم أبوا، أما الأمور الفكرية والعقائدية والأحكام والمعاملات والعلاقات فهم مخيرون في اختيار منهج الله من عدمه. فاسمع إلى قول الله تعالى في هذا الأمر: { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }، (الأنبياء: ٤٧).. وفي قوله تعالى { ... مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ }، (الحجر: من الآية١٩).. { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)} ، (الرحمن)، إشارة إلى التوازن الذي خلقه الله تعالى للكون والأرض، هو ما يطلق عليه علمياً التوازن البيئي..

وفي قوله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)} ، (البقرة). يتجلى لنا واضحاً معنى الفساد الذي يتأتى من البشر إذا هم عملوا على تغيير خلق الله من النبات والحيوان والإنسان والطبيعة، فمهما كان الإنسان عالماً وعارفاً ومتحدثاً لبقاً فلا يجوز له أن يعمل على فساد الأرض وما فيها سواءً كان الفساد بيئياً وطبيعياً أو اجتماعياً ونفسياً وفكرياً، وقد صرح القرآن بوضوح بأن الله لا يحب الفساد، وما أكثر الفساد في عصرنا هذا.

(*) انظر كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، الباب الثاني- الفصل الخامس- هندسة البيئة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وبمناسبة الحديث عن البيئة وتلوثها نعود بأدراجنا إلى الباب الأول قليلا ونتحدث عن الآية الكريمة بقوله تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }، (الروم:٤١).. في هذه الآية العظيمة نستطيع أن ندخل إلى بعض جزيئاتها لنفهم ما فعله إنسان اليوم من تلاعب غير منظم وغير مدروس بالبيئة المحيطة سواء كانت برية أم بحرية، وكيف أن الاضطرابات البيئية والبيولوجية وظهور أمراض فتاكة عديدة وانقراض حيوانات وتلوث هواء وماء وفتحات في الأوزون وغيرها كثير من المشاكل البيئية وانعكاساتها على الأمور الحياتية اليومية للمجتمعات وكيف أنها أصبحت مجتمعات متخبطة مضطربة برغم كل تقنيات العصر كل ذلك بسبب ما عملته يد الإنسان (العصري) وسوء استخدامه لنعم الله وبطره في المعيشة وعدم وضوح أهدافه وسوء استخدامه الثروات وتوزيعها على المجتمعات بما يحقق العدالة وسعادة البشرية وانفراد دول كبرى معدودة بتقرير مصائر باقي الشعوب وما إلى ذلك.

وكثيرة هي مواقف رسول الله ρ والمسلمين المتعاطفة مع الطبيعة، والمحبة لها، المتعطشة لجمالها، الودودة لعطائها الكريم.. إنه يقول مشيراً إلى أحد ((**أحد جبل يحبنا ونحبه**))[*]. ويقول أبو الدرداء وهو يرنو إلى شجيرة جميلة في قلب الصحراء ((ليتني كنت شجرة تعضد))[*].. إنها المحبة إذن.. محبة الإنسان للبيئة التي تحتضنه وترضعه وتقدم له الكثير.. وهذه المحبة التي لم يذق طعمها الغربيون من الذين نزعتهم العملية الذرائعية (البراغماتية) إلى تحديد مواقفهم من الأشياء على ضوء مصلحتهم الصرفة وحدها[١].

(*) أخرجه البخاري ومسلم، صحيح البخاري، باب خرص التمر حديث رقم (١٤١١)، صحيح مسلم، باب أحد جبل يحبنا ونحبه حديث رقم (١٣٩٢).

(*) أخرجه هناد بن السري في كتاب الزهد، وهو قول لأبي الدرداء، ٢٥٨/١.

(١) مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، د. عماد الدين خليل، ص٤٨-٤٩، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي قوله تعالى في سورة الدخان، { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١)}، إشارة إلى ربط الأذى والألم الذي يسببه الدخان للناس وللمخلوقات ويتضمن تحذير الناس من مخاطره، وهذا هو ما تبحثه البيئة والهندسة البيئية من أن المنشآت التي تصدر دخاناً كالمداخن والمعامل تكون خارج المدن لئلا تسبب ضرراً وأذى للناس.

ولا أعتقد أن واحدةً من حضارات العالم تكلمت عن النظافة في الإنسان باطنه وظاهره والبيئة بكل تفاصيلها أكثر من حضارة الإسلام وكتابه وسنة رسوله ρ، ولعل قصة الرحالة الأجنبي مع صاحبنا البغدادي وموضوع الصراط التي ذكرناها قبل صفحات قليلة تمثل إحدى الدلائل العملية والتطبيقية على ذلك. في وفي هذا يطول الشرح، ومن يريد التفصيل يستطيع الرجوع إلى كتب الفقه الإسلامي ليرى كم أعطى الإسلام من المساحة لهذا الموضوع وكيف أن مواصفاته البيئية سبقت المواصفات البيئية العالمية الحديثة في كل تفاصيل الحياة حتى وصل الأمر إلى المياه المستخدمة في الوضوء أيها نجس وأيها طاهر، وكذلك قدور وأواني الطبخ ووجوب تغطيتها، وكذلك الطعام الذي أصابته رطوبة أو عفونة أو أي ضرر وعدم جواز وضعه تحت الطعام الجيد بقصد الغش أو التمويه لتمرير السلعة وكذلك حتى لا يفسد الطعام الجيد، بالإضافة إلى النظافة الجسمانية والنظافة في الملبس والأثاث والمسكن والشوارع والقرى والمدن وغيرها. فمثلاً ترى أن نتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشعر والتطهر والتطيب والغسول وأنواع التنظيف من الحيوانات النجسة كالكلب مثلاً وغيرها من الدقائق كلها اعتنى بها الإسلام الحنيف عناية فائقة، ولنضرب أمثلة بسيطة:

١- إذا جاء الرجل ليأكل فعليه أن يسمي الله ثم يجلس ويأكل بيمينه وإذا شرب الماء شربه جالساً وبيمينه أيضاً ولا يشربه عباً بل يشربه مصاً ولا ينفث في الإناء، وإذا أكل لا يتخم نفسه فيترك ثلث معدته للطعام وثلثها للشراب وثلثها

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للنفس فإذا أتم حمد الله وشكره على نعمائه ، وأن لا ينسى جاره والفقراء من المسلمين.

٢- إذا عطس حمد الله فيشمّته من يجلس معه ويقول له "يرحمكم الله"،فيجيبه "يهديكم الله ويصلح بالكم" فإذا عطس ثلاثاً قال له صاحبه "شافاكم الله".

٣- إذا رام زيارة أحد الأخوة أو الأصدقاء أو الأقارب ووصل باب داره طرق الباب مرة ثم مرتان ثم ثلاثة، فإن أجابه أحد وأذن له بالدخول فعل، وإلا انصرف.

وهكذا تفاصيل عديدة في كل مجالات الحياة فكان الإسلام سباقاً لوضع كل ما يطلق عليه اليوم الآداب العامة والأصول والإيتيكيت ليعطي نظاماً بيئياً واجتماعياً متكاملاً، ولكننا ويا للأسف تركنا هذا الخير ولهثنا وراء الأساليب الغربية الجاهزة.. وهذا رسول الله ρ يختصر لنا عظمة الإسلام في نظافة الإنسان والمنزل والبيئة بقوله: ((**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا** –أراه قال: **أفنيتكم- ولا تشبهوا باليهود**))، رواه الترمذي.

لقد بين الإسلام ممثلاً بكتابه الكريم وسنة رسوله ρ أن لله قوانين وسنن في المجتمعات البشرية واقعة لا محالة في حالة تمرد البشر وعصيانهم عن إطاعة أوامر الله التي أوصاهم بها عن طريق أنبيائه وكتبه وآخرها كتابه الخاتم القرآن الكريم ورسوله الخاتم ρ، فلذلك نرى في عصرنا هذا كمّاً من الأمراض الاجتماعية والفسلجية والاقتصادية أصابت البشرية بكوارث لم تكن تعرف من قبل، وما مرض الإيدز وغيره من الأمراض الحديثة، وما الكوارث البيئية والمجاعات وغيرها من المآسي التي نسمع عنها ونراها إلا نقطة في بحر هذه الابتلاءات التي عمتّنا بسبب ابتعادنا عن منهج الله سبحانه وتعالى.. لنسمع إلى قول رسول الله ρ:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((قال رسول الله ρ: **(خمس بخمس)**، قيل يا رسول الله وما خمس بخمس، قال **(ما**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر ولا طففوا المكيال إلا حبس عنهم النبات وأخذوا بالسنين)[١].

٢- روى ابن ماجه والبزار والبيهقي من حديث ابن عمر ولفظ البيهقي أن رسول الله ρ قال: ((**يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم**))[٢].

وغيرها من الأحاديث التي تؤكد أن كل تلوث يحصل في الإنسان ظاهراً وباطناً يأتي من بعده تلوث في المجتمعات ثم في الثروات والنعم التي وكّلت ببني البشر من قبل خالقهم، فترفع البركة من الرزق ويجوع الناس وتنتشر الأمراض وتكثر الحروب والصراعات والكوارث الطبيعية.

لذلك إن ما يعرف اليوم بالذوق أو الإيتيكيت هو فعلاً سبق إسلامي ولكن أكثر المسلمين لا يعلمون أو لا ينتبهون إلى هذه الحقيقة.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج/١١، ص٤٥، رقم (١٠٩٩٢)، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي، ج/٣، ص٦٥، والكبائر للذهبي، ص٣٥، والترغيب والترهيب، ج/١، ص٣١٠.

(٢) الترغيب والترهيب، ج/١، ص٣٠٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المواصفات القرآنية للنفس البشرية(*)

ذكر الله تعالى لنا في القرآن الكريم حالات النفس البشرية وأمراض القلوب, وفصلت ذلك السنة المطهرة. وقد نحتاج إلى عدة مؤلفات لتفصيل ذلك, ولكننا آثرنا أن نختصر قدر الإمكان.

هناك سورة كاملة تسمى سورة الإنسان في القرآن الكريم, كما ذكرت كلمة الإنسان معرفة (٥٨) مرة, وكلمة إنسان نكرة (٦٥) مرة, وكلمة نفس نكرة (٤٧) مرة, وكلمة النفس معرفة (٧) مرات, كل ذلك يدل على أهمية الموضوع, وأن معالجة هذه النفس الإنسانية هي الأساس في نزول القرآن.. سوف نستعرض أدناه وبإيجاز بعض الحالات التي تطرق إليها الكتاب العزيز في هذا الموضوع مع تعليق مقتضب، مع التذكير بأننا سنذكر تفاصيل أكثر في هذا الموضوع في كتاب الاقتصاد والاجتماع من هذه السلسلة خصوصاً ما يصاحب البشر من قلق جراء تصرفات اجتماعية بعينها:

١. **ضعف الإنسان اتجاه الشهوات:**

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} (آل عمران: ١٤).

{يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً}, (النساء: ٢٨).

٢. **حاجة الإنسان إلى رب يلتجئ إليه وقت الشدائد, ومن ثم إنكار فضل الله تعالى عليه:**

(*) يراجع كتابنا (الجملة العصبية والطب النفسي)، ضمن سلسلة (ومضات إعجازية من القرآن والستة النبوية)- الكتاب الثاني عشر.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٢)}, (يونس).

{وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ } (هود:٩).

{وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم:٣٤).

{وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} , (الإسراء:٦٧).

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} (الزمر:٨).

{فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}, (الزمر: ٤٩).

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}, (فصلت:٥١).

{.. وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْأِنْسَانَ كَفُورٌ }, (الشورى:من الآية٤٨).

٣. **كفره بالنعمة:**

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ} (الشورى:٤٨).

{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَه}، (عبس:١٧).

٤. **أنانية الإنسان, بخله, خوفه, سرعة جزعه, وحبه لذاته:**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا} (الإسراء:١٠٠).

{فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي(١٥)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي(١٦)كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ(١٧)وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ(١٨)وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا(١٩)وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا(٢٠)}, الفجر.

{إِنَّ الْأِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً(٢٠)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً(٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ(٢٢)الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُون(٢٣)َ(}, (المعارج).

٥. **<u>عجالة الإنسان:</u>**

{وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا}, (الإسراء:١١).

٦. **<u>ميله للإحباط واليأس:</u>**

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا}, (الإسراء:٨٣).

{لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} , (فصلت:٤٩).

٧. **<u>مكابرته وحبه للجدل وعناده:</u>**

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}, (الكهف:٥٤). {وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا(٦٦), أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا(٦٧)} , مريم.

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدىً وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} (الحج:٨) .

{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}, (الأحزاب :٧٢).

٨. **فطرة الإنسان على محبة أولاده وأهله ووالديه, وتوصية الإنسان بوالديه :**

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (العنكبوت:٨), ومثلها في لقمان.

{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ الْمُسْلِمِينَ} , (الأحقاف:١٥).

٩. **وسوسة النفس وحديثها:**

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}, (ق:١٦).

١٠. **اغترار الإنسان وميله للدنيا:**

{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}, (الانفطار:٦).

١١. **تذكير النفس بلقاء الله تعالى مهما طال العمر:**

{يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى} , (النازعات:٣٥).

{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ}, (الانشقاق:٦).

١٢. **تعجب الإنسان وذهوله عند حصول ما لا يرغب:**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا(١)وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(٢)وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا(٣)يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا(٤)بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا(٥)يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ(٦)فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(٧)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(٨)} , (الزلزلة).

١٣. **عظمة خلق الإنسان :**

{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} , (التين :٤).

١٤. **أمراض الحسد والسحر ووسوسة الشياطين**

وهو ما ذكر في سورتين من أعظم ما أنزل على المصطفى ρ ألا وهما المعوذتان (الفلق والناس) : { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) } .. { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) } .

١٥. **تقسيمات النفس البشرية:**

ولقد قسم القرآن الكريم النفس البشرية إلى نفس مطمئنة مؤمنة ينحصر همها في الآخرة ولا تنظر إلى الدنيا إلا كمحطة سفر. والنوع الثاني هي النفس اللوامة التي تستمر بالمحاسبة على الأعمال, والنوع الثالث الخبيثة الأمارة بالسوء .

كما وذكر القرآن أن النفس في صراع دائم بين الفجور والتقوى, وأن الذي يفوز هو الذي يدربها على محاربة الهوى والشهوات المحرمات. وهذا ما نجده في قوله تعالى:

{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(٢٧)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(٢٨)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(٢٩)وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) }, (الفجر).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ(١)وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ(٢)أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ(٣)بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ(٤)بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ(٥)يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ(٦)فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ(٧)وَخَسَفَ الْقَمَرُ(٨)وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ(٩)يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ(١٠)}.القيامة.

{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} , (يوسف:٥٣).

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)}, النازعات.

والناس على أصناف ثلاثة كما فصل الكتاب العزيز في عدة مواضع ومنها بداية سورة البقرة, المؤمن والكافر والمنافق, وقد أعطى القرآن كل صنف حقه من التفصيل.

وأما أمراض النفس والقلب فهي على نوعين أمراض الشك وأخطرها الشك بالغيب الذي أخبر عنه الله تعالى, وأعلى مراحله الكفر بالله والعياذ بالله, والنوع الآخر هو أمراض الشهوة ومنها شهوات الحواس كالفرج والبطن واللسان, وفي هذا تفصيل كبير, إذ تتفرع من هذين النوعين أنواع أخرى يطول المقام بشرحها.

١٦. **<u>تأثير نقض العهود وخلف الوعود على تصرفات وسلوك الشخص:</u>**

ثبّت القرآن الكريم حقيقة مهمة مفادها أن من ينقض العهد والوعد مع الله ومع الناس فإن مصيره ونتيجة عمله ستؤثر على سلوكه. هذا التأثير مفاده نفاق وتخبط بالتصرف يتبعه اختلال في الشخصية، وأما في الآخرة فعذاب مهين ما لم يستدرك بالتوبة { وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٧٧)}، (التوبة). هذه الآيات كما تحدثنا كتب السيرة نزلت في الصحابي ثعلبة الذي أطلق عليه رسول الله ρ حمامة المسجد، إذ كان لا يحضر ρ إلى المسجد يوماً إلا ورآه قبله. لكن هذا الصحابي طلب من النبي ρ أن يسأل الله له أن يصبح غنياً، فلما ألح بالطلب عاهد الله ورسوله ρ والمؤمنين أن إذا ما آتاه الله المال ليعطين كل ذي حق حقه. فلم دعا له النبي ρ بما أراد آتاه الله مالاً وغنماً، ولما طلب منه دفع زكاتها رفض ونقض عهده، فدعا عليه النبي ρ فحرّم ماله على المسلمين ولم تؤخذ منه زكاة رغم ندمه لا في عهد النبي ρ ولا في عهد الخلفاء الثلاثة الذين تولوا أمر المسلمين من بعده أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ومات في عهد عثمان ولم تقبل منه زكاة فمات على الكفر.

وهنا نركز على أن نقض العهد يورث نفاقاً في القلب وتخبطاً في السلوك، وهو قوله تعالى { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}، (التوبة:٧٧).

١٧. **<u>الأساليب القرآنية للنقاش وتأثيرها على نفسية المقابل:</u>**

كذلك فإن القرآن الكريم ينوع أسلوب التحدث والمناقشة والنصيحة مع الناس, وذلك لاختلاف أصناف نفسياتهم وتركيباتها, فالدين النصيحة كما يعلمنا ρ . اسمع إلى قوله تعالى:

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}, (النحل:١٢٥).

{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، (الأعراف: ١٩٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ}, (القصص:٥٥).

{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً} , (النساء:٣٥).

{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }, (النساء:١٢٨).

{ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}, (آل عمران:١٣٤) .

{ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}, (الزمر:١٠).

{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) }, (الحجرات).

من خلال تدبر الآيات أعلاه وغيرها نستنتج أن الدعوة إلى الله تعالى والمناقشة العامة وأساليب الإصلاح تكون بأحد الأساليب الآتية أو بها جميعاً وحسب الحالة:

١. **الدعوة والمناقشة بالحكمة:** وهذه تكون لأصحاب العقول النيرة, والقلوب الشفافة.
٢. **المناقشة بالموعظة الحسنة:** وهذه تكون لأصحاب الآراء المترددة واللامنتمية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣. **المناقشة بالجدال الحسن:** وهذه لأصحاب الأهواء والعقول البعيدة عن المنطق والرأي العلمي السديد.
٤. **الابتعاد عن الجاهلين:** وعدم مناقشتهم لجهلهم وسفههم وانعدام إمكانية هدايتهم.
٥. **حالة الاستحضار والنية تمكن من إنجاز الهدف:** فحالة إرادة الصلح لطرفي النزاع هي التي تمكن من إنجاز الصلح بأن يوفقهما الله تعالى لذلك, وهو قوله تعالى { ... إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا...} .
٦. **استخدام أطراف أخرى**: تكون أكثر حكمة ودراية وروية لتساعد في حل المشكلة, ومنها أطراف من أهل وذوي أصحاب المشكلة لأنهم أكثر إحساساً واهتماماً وأحن من غيرهم على أولادهم وأقربائهم.
٧. **آخر الدواء الكي :** استخدام كافة أساليب الهداية والإصلاح ثم يأتي العقاب الجسدي كحل أخير يستخدم إذا أعيت الناصح كل الأساليب النفسية والإصلاحية النقاشية.
٨. **الصبر أولاً :** في كل الأحوال يدعوا الله تعالى إلى الصبر وعدم التعجل بالرد, فكانت جائزة الصابرين أعظم الجوائز وهي دخولهم الجنة بغير حساب في يوم الحساب.

وفي علم النفس الخاص بتربية الأولاد, يعلمنا المصطفى ρ أن تربية الأولاد تكون بمراحل وحسب العمر, ولكل فئة عمرية نصيبها من المعاملة, كما وينهانا ρ عن التفريق بين الأولاد في العطايا والتعامل، ونهانا أيضاً عن الضرب المبرح, ويأمرنا بتقبيل الأولاد والترفيه عنهم وتقديم الهدايا لهم، ففي صحيح البخاري (بَاب الْهِبَةِ لِلْوَلَدِ) يقول : وَإِذَا أَعْطَى بَعْضَ وَلَدِهِ شَيْئًا لَمْ يَجُزْ حَتَّى يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ وَيُعْطِيَ الْآخَرِينَ مِثْلَهُ وَلَا يُشْهَدُ عَلَيْهِ وَقَالَ النَّبِيُّ ρ : (**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ وَهَلْ لِلْوَالِدِ أَنْ يَرْجِعَ فِي عَطِيَّتِهِ وَمَا يَأْكُلُ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَتَعَدَّى**)، وَاشْتَرَى النَّبِيُّ ρ مِنْ عُمَرَ بَعِيرًا ثُمَّ أَعْطَاهُ ابْنَ عُمَرَ وَقَالَ اصْنَعْ بِهِ مَا شِئْت. بل إن المتتبع لقصة سيدنا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يوسف υ في سورة يوسف يجد أن السبب الرئيسي في كل ما جرى من مآسي له جاءت بسبب حقد أخوته عليه لإحساسهم أنه مفضل دونهم عند أبيه.

وفي كل هذا الأساليب التربوية النبوية الشريفة من الروعة والدقة للتقسيم العمري للأولاد ما يغني عن التفسير والتفصيل, ويكفي أن نقول أن علم النفس الحديث وبعد تجارب لسنين طويلة أثبت صحة كل ذلك.

إن النفس البشرية تبقى أكثر الأمور غموضاً وسبب ذلك يعود لجهلنا بهذه اللطائف الإلهية العظيمة, العقل أو الدماغ, الروح ومكنوناتها وأسرارها: {وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} (الإسراء:٨٥).

~~~~~~~

وبعد أن ذكرنا بعض التفاصيل والخصائص المتعلقة بالحضارة الإسلامية ندخل في الباب اللاحق في موضوع القوانين التي وضعها القرآن الكريم لحضارات الشعوب والأمم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com
~~~~~~~

الباب الثانى
القوانين القرآنية للحضارت:
الفصل الأول
الأمر القرآنى بإقامة الحضارة البشرية
(قوانين استخلاف البشر وعمارة الأرض)

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول

الأمر القرآني بإقامة الحضارة البشرية

(قوانين استخلاف البشر وعمارة الأرض)

وجد البشر على هذه الأرض تكريماً لهم، ليعمروها وفق النواميس العادلة لخالقهم وخالق كل شيء، ولكي يكونوا مستخلفين ومؤتمنين على هذه الأمانة الثقيلة وهذا الحمل الصعب الذي يثقل كاهل أثقل الجمادات في هذا الكون { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }، (الأحزاب:٧٢).

هذه الأمانة هي أمانة ومسؤولية الاستخلاف والتكليف لجعل الأرض النموذج العبادي الذي يريده الله تعالى ليباهي بها ملائكته المخلوقين والمجبولين على فطرة العبادة فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، أما البشر فقد خلقوا من تصارع قوتين الطاعة والشهوة { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)}، (الشمس).. وهي نفسها التي جعلت إبليس اللعين الذي كان جليس الملائكة لفرط تقواه قبل خلق سيدنا آدم عليه السلام يتحول إلى مخلوق حاسد عاص لأمر الله تعالى بتكريم الإنسان، إذ أمر تعالى الملائكة بالسجود لسيدنا آدم عليه السلام، سجود تكريم لا سجود عبادة، فأبى حسداً وتكبراً وعصياناً فاستحق غضب الله تعالى عليه. إلا إنه طلب من الله طلب يدل على استمرار بغضه لهذا المخلوق المكرم، وهو أن يبقى حياً حتى يوم القيامة ليظل الآدميين عن طريق ربهم فيدخلهم في سخطه والنار –أعاذنا الله وإياكم من شرها وحرها-. فاستجاب له الله تعالى، وبدأت منذ ذلك التاريخ وستسمر قصة بل وفلسفة الابتلاء والصراع بين الخير والفضيلة والحق من جهة، وبين الشر والباطل والرذيلة من الجانب الآخر. كل ذلك قصه علينا كتاب الله تعالى في سورة البقرة وسور أخرى عديدة:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)} ، (البقرة).. { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ}، (الأعراف:١١).. { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً}، (الاسراء:٦١).. { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} ، (الكهف :٥٠).. {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى}، (طـه:١١٦).. { قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥)}، (الأعراف).. { قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧)} ، (الحجر).. { قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ(٨٠)}، (ص).

من ثم بعد عصيان سيدنا آدم عليه السلام لتعاليم ربه جل وعلا ندم واستغفر فتاب الله عليه، ولكن أنزله للأرض ليعيش وذريته من الإنسان العاقل حياة الامتحان والاستخلاف حتى يأذن الله تعالى بالحساب يوم القيامة.

لذلك ففكرة الخلق هي لعبادة الله وعمارة الأرض والتعاون بين الأمم والحضارات المختلفة بما يرضي الله تعالى ويقيم شرعه الذي يعدل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بين عباده على اختلاف ألوانهم وأشكالهم، وعليه يكون استخلاف البشر في الأرض يحمل السمات الآتية:

١- **قانون العبودية والعبادة لله رب العالمين:** {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ،(الذريات:٥٦): والعبادة لله بمفهومها الشمولي هي الأعمال التعبدية والأعمال الصالحة التي تشمل مصالح العباد والمجتمعات والأمم.

٢- **التكريم:** ولكي يكون مهيأ لحمل الاستخلاف يجب أن يحمل هذا المخلوق البشري خصائص فريدة غير موجودة في غيره، وهو ما نجده في قوله تعالى { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }، (الإسراء:٧٠).. {لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}، (التين:٤)..

٣- **قانون الابتلاء والامتحان(المشهد الأول لمثال الشلال):** وهي فلسفة الوجود وسبب خلق البشر، فالله تعالى إنما خلق الناس ليبتليهم أيشكرون ويؤمنون أم يكفرون ويشركون {إِنَّا خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣)}، (الانسان).. والآيات والأحاديث الدالة على هذا كثيرة.. نزول الأقدار بالبتلاءات والمحن هذا هو بالضبط ما مثلناه في نزول المياه من أعلى إلى أسفل في مثال الشلال الذي ذكرناه في البداية.

هذا الابتلاء والامتحان واسع المعاني والدلالات، إذ يشمل كل أنواع التنافس سواء أكان لمرضاة الله تعالى أم لأغراض دنيوية. ومنه تشتق كل أنواع المنافسات والخلافات والصراعات لأنها جزء من مسيرة الخلق والحضارات.

كما تبين آيات أخرى أن فكرة خلق الكون مرتبطة بتكريم هذا الكائن لحمله الأمانة التي لم تتحملها كل المخلوقات

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الأخرى: { وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}، (الجاثية:٢٢)، فربطت الآية الكريمة خلق السماوات والأرض مع ابتلاء الإنسان وحمله الأمانة لتجزى بعد ذلك كل نفس بما كسبت، فكأن المسألة برمتها مرتبطة بهذه العلاقة التي مفادها أن أصل خلق الكون ووجوده هو ذلك الإنسان الذي يوجد ليبتلى ويمتحن أيطبق أوامر ربه أم لا؟. تلك الأوامر التي تقتضيها حقيقة الخلافة والعمارة التي تشكل أصل الوجود.

٤- **قانون تشكل الأمم والحضارات**: وبها تتكون وتلتقي وتتلاقح النشاطات البشرية التي تشكل بمجموعها تعريف الحضارة على أسس خلقية وفكرية راقية تختلف عن المجاميع الحيوانية وسماتها الدونية الشهوانية { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، (الحجرات: ١٣).

٥- **قانون الخلافة والاستخلاف:** وهو المبدأ الذي يبين أن وجود الإنسان على هذه السفينة الفضائية مؤقت محكوم بزمن من جهة ومؤتمن على الحفاظ على أسباب وجوده وكينونته من جهة ثانية، وكذلك ترقباً للقاء ربه من الجهة الأهم { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ}، (البقرة :٣٠).. { وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ}، (الأنعام:١٣٣).. { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، (الأنعام:١٦٥) .. {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}، (هود:٥٧).. { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}، (ص:٢٦)..{ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ}، (النمل:٦٢)...{ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً}، (فاطر:٣٩) .. { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ }، (الحديد:٧).

والاستخلاف أمانة في عنق كل إنسان على هذه البسيطة، وليست المسألة جماعية حسب، فنحن مؤتمنون ومستخلفون على المال والولد والأهل والمتاع والفكر والخلق وغير ذلك. وأما الاستخلاف الجماعي للأمم فهو على ثروات الأرض وتوزيعها وحمل لواء الحق والخير والدعوة إليهما.

٦- **قانون عمارة الأرض بما يرضي الله ويقيم مصالح العباد**:وهي الزيجة بين الرقي الجمالي والرقي الفكري والرقي الخلقي الذي يتسم به البشر { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ }، (هود:٦١).. {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، (الروم:٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وعمارة الأرض بالخير والاستفادة من كل ما عليها وما بجوفها من خيرات لإقامة مصالح العباد والتعاون بين الأمم في ذلك من زراعة وصناعة وتقدم تقني هو مما أوجبته هذه الآيات المباركات وما أوجبه الإسلام عموماً.

ومن هنا نجد أن قوانين الاستخلاف هذه هي أصل وجود كل البشر بكل حضاراتهم على اختلاف مشاربها وطرق عيشها وتفنن تقنياتها وفي كل أزمانها.. ولكن القرآن الكريم قد حكم ذلك الوجود والاستخلاف والائتمان بقوانين عامة نجدها شاخصة في القصص والمثل واللفظ القرآني، الأمر الذي سنبحثه في الفصل القادم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثانى
القوانين العامة للحضارات والأمم
(القرى والقرون)
فى القرآن الكريم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

الفصل الثانى

القوانين العامة للحضارات والأمم (القرى والقرون) في القرآن الكريم.

ذكرنا في الباب الأول ما جاء في الأسلوب القرآني للحضارة ومفرداتها، وفي هذا الفصل سنذكر ما ثبته القرآن الكريم من قوانين عامة لكل الحضارات دون استثناء، بينما نذكر في فصل لاحق ما استثنى به الإسلام وحضارته لأهميتها في إقامة العدل الذي يريده الله لعباده.

١ - قانون الآجال المؤقتة:

إذا ما تدبرنا مسيرة الحضارات الكبيرة في جميع الحقب التاريخية للبشر (بلاد الرافدين، وادي النيل، الصينية، اليابانية، الهندية، الفارسية، الإغريقية، الرومانية، الفينيقة، الأوربية الحديثة) تجد أن لها صعوداً إلى القمة ثم تدحرج وانهيار لأسباب عديدة منها داخلية وأخرى خارجية يمكن إجمالها بأنها سياسية اقتصادية، خلقية اجتماعية، عسكرية. هذا الصعود والنزول يشبه لحد كبير المنحنى الطبيعي في علم الإحصاء أو دالة التوزيع الاحتمالي الذي يذكر بعض العلماء أنه يفسر كل الظواهر حولنا. وقد ذكر القرآن الكريم بعض حالات هذه الحضارات كحضارة مصر وبلاد الرافدين وعاد وثمود وحضارة اليمن في آيات معروفة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

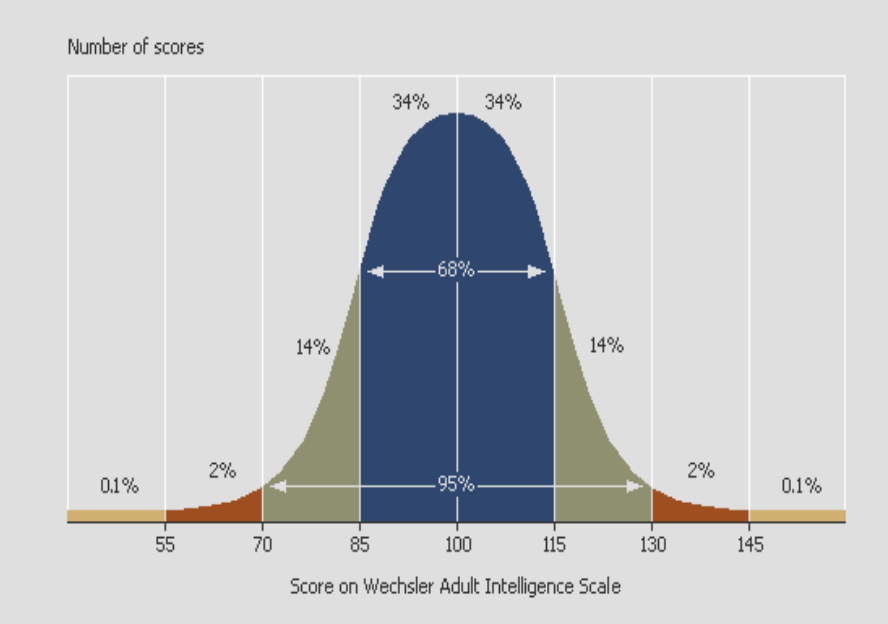

رسم دالة التوزيع الطبيعي

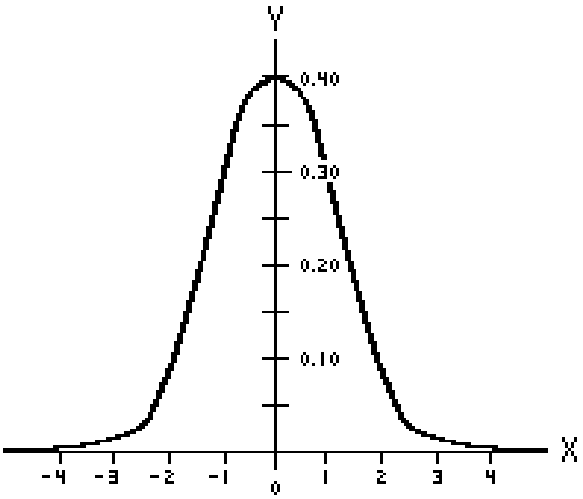

The normal probability curve.

رسم دالة التوزيع الاحتمالي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

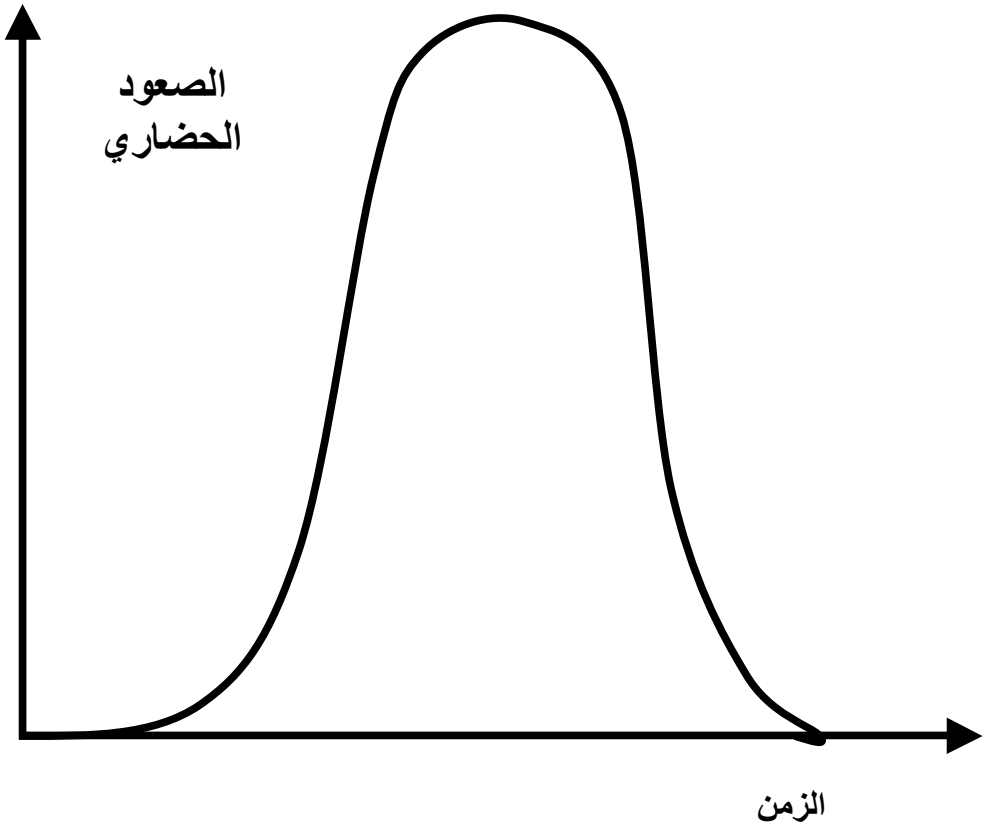

قانون التوزيع الطبيعي للحضارات

صعود الحضارات والأمم أو القرى يكون تبعاً لقانون التوزيع الطبيعي في علم الإحصاء أو قانون التوزيع الاحتمالي ضمن علم الاحتمالات

لا يمكن استثناء حالة أو دولة من هذا القانون صغرت أم كبرت، على مستوى الأفراد في داخل الدولة أم على مستوى الدول العظمى عبر التاريخ أو ما يعرف بالإمبراطوريات،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولكل أمة أو إمبراطورية مدة زمنية وأجل محتوم[1] ضمن هذا القانون العام وهو ما صرح به القرآن الكريم بقانون واضح المعالم: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ}، (الأعراف:٣٤) ... { ... لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ}، (يونس: من الآية٤٩)... {مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ}، (الحجر:٥، المؤمنون:٤٣).

أي أن الأمم لها وقت وأجل محتوم في بروزها على مسرح الأحداث بشتى النواحي التي يشملها تعريف الحضارة حتى تصل إلى قمة المجد والصعود، ومن ثم يكون لها أجل للنزول والتدهور . ولعل من أبرز أسباب الصعود هي الأسباب الروحية والمعنوية وكذلك الأسباب المادية أو الاثنين معاً.. وقد يقول البعض أن المعنى يعني انتهاء الأمة بفنائها إذا جاء وعد الله بالهلاك لها، فنقول والله أعلم أن الهلاك لا يعني بالضرورة فناء مادي بل فناء وخواء فكري وحضاري.

٢- قانون الخلاف والاختلاف.

الاختلاف قانون وسنة إلهية في خلقه، فهي فطرة بشرية جبل الناس عليها، يقول تعالى: { وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}، (يونس:١٩).. ويقول تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}، (الروم:٢٢)... ولعل أهم ما جاء في ذلك

---

(١) وها هي خمسة حضارات عظيمة تنهار في القرن العشرين الميلادي لوحده، وهي العثمانية، البريطانية، الفرنسية، الألمانية، وأخيراً السوفياتية، وكما أشّر أكبر مؤرخي الولايات المتحدة بول كينيدي في كتابه (نشوء وسقوط الامبراطوريات).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قوله تعالى { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) }، (هود).

وبذلك جعل حق الاختلاف من لوازم الخلق، ومن سبل التنافس الشريف نحو النمو والرقي والكسب والتقدم. لذا كان من العبث والتعصب التنكر لهذا الاختلاف، أو التوهم بأن الناس يمكن أن يكونوا نسخاً مكررة، فذلك معاكس لإرادة الله تعالى وللفروق التي بين البشر في اللون واللغة والخلقة وغيرها. وهذا التوهم إن حصل فهو مدعاة للتعصب والتناكر والتمايز بدلاً من أن يكون سبيلاً للتكامل والحوار والتعاون والتبادل الفكري والمعرفي[1]، وذلك تطبيقاً لقانون التكريم الذي ذكرناه في الفصل السابق.

والاختلاف هو التنافر والابتعاد الشديدين بين رأيين يصل في بعض الأحيان إلى التعصب والاقتتال والصراع كما كان شأن الأمم والحضارات المختلفة فيما بينها على مر العصور والدهور ، بينما الخلاف تنافر وابتعاد لا يفسد للود قضية... هذا التنافر قد يتصاعد ليصل حد الصراع الفكري والاقتصادي بل وقد يصل حد الاقتتال العسكري.

وقد يختلط الأمر على الناس من أن أي افتراق في الرأي بين شخصين أو أكثر أو جماعتين أو أمتين معناه أن الأمر سيؤدي إلى تصادم وصراع.. والحقيقة أن المسألة ليست كذلك، فمن طباع البشر الاختلاف في الذوق والتفكير والرؤيا للأمور حسب ثقافاتهم ونظراتهم وأساليب وأنماط تصوراتهم وتفكيرهم وعوامل أخرى. وأمر الخلاف والاختلاف طبيعياً كما تبينه الآية الكريمة أعلاه.

---

(١) عن مقالة للدكتور أكرم عبد الرزاق المشهداني في مجلة التربية الإسلامية، العدد ١٣، السنة ٣٥، رجب ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م، بعنوان (حقوق الإنسان: بين الشريعة والقوانين الوضعية)، ص ٤٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولو فطر الناس على رأي واحد ما كان الله تعالى ليبين للمسلمين أن لو اختلفتم في أمر فردوه إلى الله والرسول واسألوا أهل العلم والذكر منكم { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }، (النساء : ٥٩)، وما كان رسول الله ρ ليسأل الناس المشورة في كل الملمات التي نزلت بالمسلمين ويقول **"أيها الناس أشيروا علي"** فيقبل رأياً ويرفض آخر، وما كان ليوضح للأمة أن يعطوا للناس مقامهم ومنزلتهم وليبين أن الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا ما عملوا بالشرع الحنيف، ولولا اختلاف الرؤى والأساليب ما كان هناك معنى للتخيير والاستخارة وما كان ρ إذا خير بين أمرين اختار أيسرهما وما كانت المذاهب الفقهية التي ما كان أصحابها لينتقصون من آراء غيرهم بل وينسبون الخطأ لهم والصواب لغيرهم تواضعاً للعلم وأهله، وغير ذلك من الأمثلة الدالة على مشروعية تنوع وتلون الأفكار والأذواق والأساليب فلولا الأذواق لبارت السلع في الأسواق كما يقولون.

على أن الاختلاف الذي لا يريده الله لنا هو الاختلاف المؤدي إلى تمزيق الشمل لأمم البشر، فالبشر جميعهم لا يرضى ربهم لهم الكفر، ولكن للجنة أهلها وللنار أهلها، وإليك الدليل من كتاب الله تعالى:

{ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }، (البقرة:٢١٣) .. { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ }، (البقرة: ٢٥٣).. {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }، (يونس:٩٣).. { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النحل:٦٤).. { إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }، (النحل:١٢٤).. { وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }، (الجاثية: ١٧).

من نظرة سريعة على الآيات المبينات نصل إلى أن الاختلاف الممقوت عند الله والمؤدي للصراع هو الحيود عن الحق بعد تثبيته والذي يقوم به بعض البشر أفراد وجماعات وأمم لأغراض ومصالح ضيقة، فيقلبون الحقائق ويغيرون ويحرفون الكلام المبين.. كما وتدل الآيات أن تلك المسألة كانت في من سبق من الأمم سنة سيئة حذّر الله تعالى من الوقوع فيها.

الخلاف أهون من الاختلاف، فالاختلاف صرفاً فيه زيادة على الفعل الأصلي، وكل زيادة في المبنى تعطي زيادة في المعنى، والمعنى أزدياد التنافر والابتعاد بين رأيين أكثر من حالة الخلاف، وقد يؤدي إلى تشرذم والتفرّق، الأمر الذي لا يرضاه الله تعالى لأمتنا خاصة { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}، (آل عمران:١٠٣).. { وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }، (آل عمران: ١٠٥)..

المثل المضروب في هذه الآيات المباركات هو لأمم سابقة لنا، أهل كتاب اختلفوا وتفرقوا لمصالح دنيوية بعيدة عن الإخلاص لدين الله تعالى { وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ }، (الشورى:١٤).. كما وكان الخطاب للنبي ρ والأمة يحذر من مغبة التفرقة في الدين أحزاب وجماعات لأن ذلك نقض للوحدة والاتحاد التي هي من خصائص الأمة التي سنتكلم عنها في الاستثناءات، { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }، (الأنعام:١٥٩).. { مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ }، (الروم:٣٢).

وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ρ قَالَ: (**إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ**)، قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ إِنَّمَا يَعْنِي الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَقَوْلُهُ الْحَالِقَةُ يَقُولُ إِنَّهَا تَحْلِقُ الدِّينَ .. وعنه أيضاً في نفس الباب (٢٤٣٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ**)، قَالُوا بَلَى قَالَ (**صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ**)، قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَيُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ ρ أَنَّهُ قَالَ (**هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ).

٣- قانون الدرجات والتسخير

من قوانين الأمم في القرآن الكريم أن الله تعالى قد جعل الدرجات بين البشر في النواحي المادية والفكرية والصحية لأغراض دنيوية وأخرى دينية، فأما الدنيوية فهي لتمشية الحوائج وقضاءها، إذ لولا ذلك لما استقامت المصالح ولما كانت المعاملات والتي هي أيضاً من صلب فلسفة الوجود التي ذكرناها في قوانين الخلافة والاستخلاف والعمارة في الفصل السابق.

هذا القانون مهم جداً في سير عملية الابتلاء وقانونه آنف الذكر سواء على مستوى الأشخاص أم على مستوى الأمم، كما يقتضي صعود أشخاص معينين أو أمم معينة على حساب آخرين في دوامات وأمواج صعود ونزول الحضارات التي تشبه المنظر الثاني لمثال الشلالات الذي ضربناه في بداية الكتاب.

يقول تعالى مخاطباً جميع الناس، مع الأخذ بالاعتبار أسباب النزول للآية الكريمة والتي نزلت عقب تكبر كفار مكة والطائف على ما نزل على المصطفى ρ من قرآن وقولهم أن النبي لا يستحق أن يكون بهذا الشرف –حاشاه ρ- لأن هناك من هو أجدر منه من هاتين القريتين، فأجابهم الله تعالى بقوله {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}، (الزخرف: ٣٢)، وحيث أن التفسير لعموم النص لا لخصوص السبب، فإن الخطاب يشمل كل الناس ولا يقتصر على المسلمين حسب.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومعنى الآية أن قانون الدرجات والتسخير بين الناس والأمم هذا هو من سنن وقوانين الله التي لا تتغير، ولكن من اتقى واتبع الهدى فإن ذلك له أخير من اتباع أرزاق الناس وتشريف الله لهم.

ويعضد هذا القانون آيات أخرى سبق وأن ذكرناها في مقدمة الكتاب من قوله تعالى {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}، (الأنبياء:٣٥).. { ... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً }، (الفرقان: من الآية٢٠).. كما ويعضدها ما جاء في قوله تعالى { وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}، (النحل:٧١).

٤- قانون العذاب

لا بد لكل أمة من أجل تنتهي عنده أو يتوقف أو يقل عطاؤها كمؤثر أساس في حركة المجتمعات والدول، فيكون تأثيرها ثانوياً أو هامشياً، أي تصبح أمة أو حضارة مغلوبة بعد أن كانت غالبة تماماً كحركة موجات المياه في المنظر الثاني لمثال الشلالات الذي ذكرناه آنفاً. هذه النهاية أو هذا النزول له مسبباته كما أسلنا، ومن أهم تلك المسببات النخر الداخلي لفساد المجتمع والضغط الخارجي لأمة أخرى، فتحل الكوارث الطبيعية والاقتصادية والنفسية والصحية والاجتماعية داخلياً، والعسكرية والسياسية والفكرية والاقتصادية خارجياً.

وقد يكون فناء الأمة من قبل أمة أخرى بحرب عسكرية واقتصادية وغزو فكري، أو من كارثة طبيعية تحل بها، أو من داخلها جراء نشر الفساد وما يفعله من نخر مستمر لهيكلها حتى يسقطه ويجعله أثراً بعد عين، أو بالاثنين معاً، وهذا أيضاً ما جاء في كتاب الله بقانون واضح آخر:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ} ، (الأنعام:٦).. {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ}، (الأعراف:٤).. {وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ}، (الحجر:٤).. {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ}، (الأنبياء:١١).. {وَكَأَيِّنْ مَنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ}، (الحج:٤٨).. { فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً (٣٧) وَعَاداً وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً (٣٨) وَكُلّاً ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلّاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠)} ، (الفرقان)، {وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ}، (الشعراء:٢٠٨).. {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ}، (محمد:١٣) .. وآيات أخرى عديدة.

يقول الله تعالى في قانون مهم يبين سنة العذاب للأمم والأقوام: {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً}، (الإسراء:٥٨).

وسواء أكانت تلك الأمة قد جاءها نذير مباشرة أو قد وصلها خبر عنه { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ} ، (فاطر:٢٤).. { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}، (القصص:٥٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فالإهلاك والتعذيب للأمم إذن من سنن الله في خلقه لأن الآية تشير إلى نفي وجود احتمالية لعكس ذلك وهو قوله تعالى (وإن) أي وما من قرية، فلا توجد قرية وبمعنى أشمل أمة إلا ويسير عليها قانون العذاب هذا.. ولكن ما نوع العذاب الذي جاء عاماً في هذه الآية، وهل من تحديد وتخصيص؟.

يقول الله تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }، (النحل:٣٦).

يدلنا الله تعالى أن نسير في الأرض ونقلب صفحات التاريخ لنتعلم من أمم وحضارات خلت ما حصل بهم وما كان من أمرهم، الأمر الذي بينه الله تعالى في تعداد أنواع العذابات التي لحقت بأمم مختلفة (*) بقوله جل وعلى {فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}،(العنكبوت:٤٠).. فهذه الأنواع وغيرها بينها القانون القرآني المهم التالي:

{ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}، (الأنعام:٦٥) .. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: لما نزلت: {قل هو القادر ..} الآية، قال رسول الله ρ: لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا

(*) كما حصل لأهل بركان فيزوف الذي حصل قبل حوالي ٢٠٠٠ عام على قوم في جنوب إيطاليا كانوا مفسدين فعاقبهم الله تعالى بأن حنطهم البركان وهم يمارسون الفاحشة كي يراهم من يأتي من بعدهم ليتعظ ويتدبر، أو كما حصل لقوم لوط.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الله، وأنك رسول الله. فقال بعض الناس :لا يكون هذا أبدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون، فنزلت:{...انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون * وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون}... وكأن الله تعالى يبين للأمة في هذه الآية الكريمة قانوناً عاماً لم يجعل له سبب نزول جراء حادثة أو حكم أو قصة معينة، بل نزلت هكذا ليفسرها رسول الله ρ للمسلمين ويحذرهم من مغبة هذا القانون القرآني الهام والشامل لكل أجناس البشر بما في ذلك المسلمون إن هم ابتعدوا عن منهج ربهم.

إذن من هذه العذابات - كما تذكر الآية الكريمة - ما يكون عذاباً من جراء الطبيعة وما تأتي به السماء من عذاب كالقواصف كما في حالة الرعد والصواعق والنيازك، أو كالعواصف كالرياح والأعاصير المدمرة والتي فيها نيران والمطر، والرجز، والكسف والحاصب أي النيازك وحجارة السماء، والصيحة أي الصوت المدوي المهلك، ويوم الظلة، وغير ذلك مما يدخل تحت عنوان قوله تعالى {..عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ ..}... أو ما تأتي به الأرض من عذاب كالزلازل، والبراكين، والخسف والهطول والخسف في الأرض كما في حالة قارون، أو الهيجانات البحرية وفلق البحر كما حصل لفرعون، وهو ما قصد من قوله تعالى { .. أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ..}، بل حتى تسليط الدواب والحشرات لتفتك بالزرع كالجراد وبالإنسان كالذباب والجراثيم والفايروسات غير المرئية، والجدب والقحط والأخذ بالسنين ونقص الثمرات والخسائر الاقتصادية الناجمة عنها يدخل ضمن هذا التقسيم وهو ما ذكر في آيات أخرى كآيات العذاب التي سلطت على قوم فرعون ومنها الجراد والقمل والدم والقحط وغيره ، { وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}، (الأعراف:١٣٠)..{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ}، (الأعراف:١٣٣).

وفي باب ما ذكر من إهلاك الأمم عامة ممن كان قبلنا كما قال بعض السلف وذلك قبل نزول التوراة، بدليل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}، (القصص:٤٣). وهو كما رواه ابن جرير وابن أبى حاتم والبزار من حديث عوف الأعرابى، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد الخدرى، قال: ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء أو من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخوا قردة ألم تر أن الله تعالى يقول: {ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى}، ورفعه البزار في رواية له، والأشبه، والله أعلم، وقفه، فدل على أن كل أمة أهلكت بعامة قبل موسى عليه السلام[١].

٥-قانون المترفين والأكابر

من الأسباب التي ثبتها القرآن الكريم في عذاب الأمم والقرى، أسباب داخلية مصدرها أكابر القوم من المترفين والمنتفعين وكبار المحتكرين وتجار الفساد والحروب والمجاعات والسياسة والشعارات. هذه المجاميع أخبر القرآن الكريم أن لهم اليد الطولى في تدمير مجتمعاتهم ودولهم لأن همّهم لا ينصب على فائدة الناس بل على مصالحهم الخاصة والمنحرفة. اسمع لقول الله تعالى في ذلك: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}، (الأنعام:١٢٣)... { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً} ، (الإسراء:١٦).

---

(١) موسوعة الدكتور طارق السويدان، قصص الأنبياء، قرص مدمج.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يقول صاحب التبيان في تفسير غريب القرآن (ج١/ص١٩٨): أكابر مجرميها أي عظماء مذنبيها... ويقول البيضاوي في تفسيره (ج٢/ص٤٤٩): جعلنا أي صيرنا أو مكنا... وفي الإتقان (ج١/ ص ٣١٧) : مترفيها أي كبار شرارها، وفي الإتقان أيضاً (ج١/ ص٣٦٦) أمرنا أي سلطنا... ومن الجدير بالملاحظة والإشارة هنا أن التمكين والأمر المقصود في الآية لهؤلاء المجرمين ليس ظلم الله تعالى لعباده –حاشا لله- وإنما لتقام على المجرمين من الأكابر والمترفين حجة الفساد والإفساد، وعلى الناس من أهل القرية بأنهم لم يمنعوا هؤلاء ويردون غيهم. أي أن الله تعالى إذا ما وجد أمة لا تأمر بأمره فإنه يتركها لكيد مفسديها، فيعيثوا في الأرض فساداً، أما إذا ما التزمت الأمة بمنهج الله اعلى فإن الله مانعهم من كيد الخائنين { إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ }، (الحج:٣٨).

يحفل تاريخ الأمم والشعوب بأمثال هؤلاء المترفين والكابر، وقد لا تستثنى حتى القبائل الصغيرة من تجارب مريرة مرت بهم على يد أمثال هؤلاء. وإنك لا تجد نهاية لدولة عظيمة أو امبراطورية أو مملكة إلا وكان لأمثال هؤلاء نصيب الأسد من أسباب الانهيار، والأمثلة أكثر من أن تذكر.

ومن الأساليب القرآنية في مدى الإجرام الذي يرتكبه هؤلاء الأكابر والمجرمين بحق أهلهم ورعيتهم قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)}، (إبراهيم).

بل وأن القرآن الكريم ذكر خصائص بعض الناس ممن يجتمعون حول هؤلاء الأكابر ليجعلوا منهم أشخاصاً مؤلهين، فذكر أنهم سيكون حالهم كحال أنثى العنكبوت التي ما إن تكمل بيتها ووضع عيالها حتى تأكل زوجها وعيالها { مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}، (العنكبوت:٤١)[1]، وهكذا يعمل هؤلاء الأكابر فيقتلون أتباعهم المقربين لهم، ويأكل بعضهم بعضاً أما لمناصب أو نفوذ أو أموال وغيرها من متاع الدنيا.. بل وقصّ القرآن الكريم كيف أن بعضهم يتخلى عن البعض عند الشدائد سواء في الدنيا، أو عند الحساب يوم القيامة { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}، (البقرة:١٦٦)... { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢)قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤)}، (القصص).

٦- قانون البطر:

لئن كان القانون السابق يخص الملوك والرؤساء والأمراء والحكام، فإن هذا القانون يخص عامة الناس من أهل أمة معينة.. ويثبِّت لنا القصص القرآني أن من أهم الأسباب التي أدت إلى زوال الحضارات وانتهاءها وجلب العذاب والخراب والدمار إليها هو بطر أهلها وكفرهم بنعم ربهم وعدم شكره على تلك النعم. يقول تعالى {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ}، (القصص:٥٨).

ومن القرى التي ضربت في الكتاب العزيز قصة البطر التي ضربتها الآية المباركة : {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

(١) راجع كتابنا (الحيوانات والحشرات)، ضمن سلسلة (ومضات إعجازية في القرآن والسنة النبوية).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}، (النحل:١١٢) .. والكفر بالنعمة هنا ليس كفراً عقائدياً بل هو البطر ونسيان الشكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول الطبري في تفسيره **(ج: ١٤ ص: ١٨٥-١٨٦)** عن هذه الآية الكريمة ما نصه : (القول في تأويل قوله تعالى : (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)، يقول الله تعالى ذكره ومثل الله مثلا لمكة التي سكانها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ويقتل بعضها بعضا ويسبي بعضها بعضا وأهل مكة لا يغار عليهم ولا يحاربون في بلدهم فذلك كان أمنها وقوله مطمئنة يعني قارة بأهلها لا يحتاج أهلها إلى النجع كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها يأتيها رزقها رغدا يقول يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة . وقوله من كل مكان يعني من كل فج من فجاج هذه القرية ومن كل ناحية فيها وبنحو الذي قلنا في أن القرية التي ذكرت في هذا الموضع أريد بها مكة. قال أهل التأويل، ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان يعني مكة، حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قرية كانت آمنة مطمئنة قال مكة.. حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله.. حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة قال ذكر لنا أنها مكة.. حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قرية كانت آمنة قال هي مكة.. حدثني يونس

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ..إلى آخر الآية، قال هذه مكة. وقال آخرون بل القرية التي ذكر الله في هذا الموضع مدينة الرسول ρ ذكر من قال ذلك حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال ثني عبد الرحمن بن شريح أن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي حدث أنه سمع مشرح بن عاهان يقول سمعت سليم بن نمير يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي ρ وعثمان محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل حتى رأت راكبين فأرسلت إليهما تسألهما فقالا قتل فقالت حفصة والذي نفسي بيده إنها القرية تعني المدينة التي قال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله قرأها، قال أبو شريح وأخبرني عبد الله بن المغيرة عمن حدثه أنه كان يقول إنها المدينة، وقوله فكفرت بأنعم الله يقول فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التي أنعم عليها، واختلف أهل العربية في واحد الأنعم فقال بعض نحويي البصرة جمع النعمة على أنعم كما قال الله حتى إذا بلغ أشده فزعم أنه جمع الشدة وقال آخر منهم الواحد نعم وقال يقال أيام طعم ونعم أي نعيم قال فيجوز أن يكون معناها فكفرت بنعيم الله لها) ..

فإذا كان أهل التفسير قد فسّروها بأنها مكة أو المدينة لأسباب لغوية أو موضوعية تتعلق بآيات أو أحاديث أخرى تفسرها، فإن المتتبع للأحداث الراهنة بإمكانه إسقاط نفس الأسباب من قانون البطر الواضح في هذه الآية على أمم كثيرة في عصرنا الراهن ومنها أمتنا الإسلامية .

كذلك قصة قارون مع البطر والكفر تشكل مثالاً ساطعاً على دليل زوال النعم واندثار الصروح جرائها، إذ يقول الله تعالى في سورة القصص: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) }..

والبطر كما علمنا الصادق الأمين هو التكبر على الحق ومنع الناس حقوقهم بأخذها عنوة أو بسرقتها أو بتبذيرها. ففي سنن أبي داود (اللباس ٣٥٦٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ρ وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ حُبِّبَ إِلَيَّ الْجَمَالُ وَأُعْطِيتُ مِنْهُ مَا تَرَى حَتَّى مَا أُحِبُّ أَنْ يَفُوقَنِي أَحَدٌ إِمَّا قَالَ بِشِرَاكِ نَعْلِي وَإِمَّا قَالَ بِشِسْعِ نَعْلِي أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَلِكَ قَالَ **(لَا وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ بَطِرَ الْحَقَّ وَغَمَطَ النَّاسَ)**.

أي أن التعريف الأشمل للبطر هو الترف الشخصي أو الجماعي مصحوباً بمنع الناس حقوقهم، وهو ما نجده شاخصاً أمامنا اليوم في دول عديدة ومنها دول في أمتنا الإسلامية.. ويحدثنا التاريخ عن انتهاء لأكبر الحضارات في التاريخ كالفرعونية والآشورية والبابلية والفارسية والرومانية والإغريقية والفينيقية كلها جراء الفساد الداخلي الذي حل بها، وعلى رأسه البطر والإسراف غير المبرر والبذخ والتبذير.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بل حتى الدول التي شكلت بمجموعها الحضارة الإسلامية لم تسلم من هذا القانون، فالدولة الأموية والعباسية والعثمانية والأندلسية كلها انتهت لنفس السبب عندما ركنت إلى الدنيا وتصارع أمراءها عليها وعلى ملكها فألهتهم كما ألهت من قبلهم من الأمم.

إن نظرة سريعة على تاريخنا الإسلامي قديمه وحديثه، وكذلك ما حصل في وقتنا الراهن وتحديداً بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية وتشتت دولة الإسلام إلى دويلات متفرقة يخبرنا عن حقيقة هذا القانون الخطير وهو أثر البطر المصاحب لكل تدهور في أمتنا وحضورها الحضاري. وخلاصته أن حب الدنيا والمال والسلطان، وترك أوامر الشريعة في الاعتصام بحبل الله والتوحد على كلمة الله، وتفضيل ولاية العصبية الوطنية والمذهبية والقومية على ولاية الإسلام وأهله، وغير ذلك مما يدخل في مفهوم البطر الأشمل ومنع الحريات المقننة سواء أكانت فكرية أم تعبدية أم شخصية، فضلاً عن نسيان الشكر، والتي أدت كلها بمجموعها إلى تناقص التأثير الروحي والعقلي لعظمة هذا الدين على عوام الناس فضلاً عن ضياع الدول والأمصار منا ابتداء من ضياع الأندلس وشرق أوربا وأواسط آسيا وانتهاء بفلسطين وأفغانستان وأخيراً العراق، والله يسترنا بلطفه من قوابل الأيام إن لم نتعض ونفهم المعادلة.

٧- قانون التدافع والتصارع بين الأمم(المشهد الثاني لمثال الشلال)

النوع الثالث من أساليب العذاب التي جاءت في سورة الأنعام الآية ٦٥ والتي ذكرناها آنفاً، هو ما جاء في تسليط قوم على قوم آخرين، فإذا ما لاحظنا قوله تعالى من نفس الآية { ..أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ..}، وهي الآية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العامة التي ذكرناها في موضوع قانون العذاب، أتت ضمن سياق تعداد أساليب العذاب التي ينزله الله تعالى بالناس.

وهذا يعني أن من سنن الله تعالى في تمحيص واختبار وابتلاء الأمم هو صراعها فيما بينها في الفكر والمعتقد { وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}، (البقرة: من الآية٢٥١). هذه المسألة تجدها واضحة في القصص القرآني في سورة الإسراء عندما سلط الله تعالى قوم كافرين هم أهل بابل على قوم آخرين رغم أنهم أهل كتاب وهم بني إسرائيل عندما ابتعدوا عن منهج الله تعالى وانتهكوا حرماته وأوامره.

الصراع يبدأ من الاختلاف الذي شرحنا قانونه آنفاً، وقد يبدأ من مستوى الأفراد وينتهي بالأمم العظيمة. وإذا أردنا تقسيم الناس في عالمنا قديمه ومعاصره فسنجد أنهم على فسطاطين أو صنفين، صنف بسيط سلس يمشي على الأرض هوناً لا يريد إلا أن يمارس حياته بسلام وكرامة وعبودية خالصة لله تعالى لا يعتدي على أحد ولا يرضى لأحد أن يعتدي عليه، لكنه رغم ذلك مهدد بالفناء والانقراض من الصنف الآخر، ذلك الصنف المفسد القاتل الذي لا خلق له ولا التزام عشوائي المعتقد يريد تحويل البشر كلهم إلى خدم له بالقوة ولا يمنحهم حق مشاركتهم له هذا الكوكب الجميل على قدم المساواة.

والمتأمل في عالم اليوم يجد قتل وهتك للأعراض وسلب ونهب وتدمير وحرق وحروب في كل أصقاع الدنيا، ولا تجد أرخص من دماء المسلمين وكأن المسلم أصبح العقبة الكأداء التي تعرقل دوران الأرض، ولا يحق للمسلم ليصرخ ويقول أين حقي أو لماذا هذه التفرقة وعدم المساواة، مع أن المسلمين المنتشرين في كل أصقاع الدنيا جلهم مسالمون راغبون بالعيش بهدوء وتعاون مع كل الأقوام بما يرضي الله ويحقق العدالة والتوازن على هذه البسيطة عملاً بقوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات:١٣).

والمتأمل للتأريخ البشري عموماً والإسلامي خصوصاً يجد أيضاً صراعاً مستمراً بين الفرقتين وإن اختلفت الصيغ والأشكال، فإما قاتل ظالم أو مظلوم يقتل بغير ذنب ولا جريرة إلا تماشياً مع رغبات الطرف الآخر، وأظن أن هذه المعادلة ستستمر عبر العصور بوتيرة متصاعدة حتى يرث الله ومن عليها وكما أنبأنا الصادق الأمين ρ في معرض حديثه عن آخر الزمان وعلامات يوم القيامة والتي سنذكر بعضها في قانون الفتن المتلاحقة.

وإذا أردنا تحليل المسألة ببعد قرآني شامل نقول أن هذين الصنفين للبشر أما قاتل قابيلي أو مظلوم هابيلي، ومعلوم أن قابيل وهابيل هما ابني أبي البشر سيدنا آدم عليه السلام :{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٣٠)} (المائدة)..

ولكن المذابح والويلات والأزمات الأكثر إيلاماً وبشاعة هي تلك المذابح التي يتعرض لها أصحاب العقيدة والإيمان من الصابرين المحتسبين اللذين لهم بشرى من النبي ρ أن هذا الذي يمرون به إنما هو من محبة الله تعالى له، فإذا أحب الله عبداً ابتلاه بحسب دينه وإيمانه. وكل المذابح التي تعرض لها المؤمنون وأهل الأنبياء وأتباعهم وأصحابهم، كل مظلومي ومقهوري الشعوب وضحايا القمع والدكتاتورية عبر التأريخ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يدخل تحت هذا التصنيف، وكأن حكمة وفلسفة الوجود هي هذا الصراع الدامي الذي لا يستثنى منه شعب من شعوب الأرض أو بلد وأمة من الأمم كبيرها وصغيرها.

وإنما هذه الأيام تتداول بين الناس والأمم فمن ملك وكان عادلاً فله المجد والثناء الحسن بين الناس والفوز في الآخرة، ومن كان ملكه ظلماً وقهراً للبلاد والعباد فله أياماً يقضيها في الدنيا خائفاً يترقب مع الخزي والكراهية واللعنة، وله العذاب والخزي الأبدي في الآخرة، وشتان بين الفريقين.. هذا بالضبط ما حصل لعدالة المسلمين حين حكموا الدنيا وباعتراف خصومهم، وبين حكم الغرب وطغيانه، وهو نفس الفرق بين الحاكم العادل والحاكم الطاغية حتى وإن اشتركا في نفس الانتماء اسماً، وصدق القائل:

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح
إذا ما فعلنا الخير ضوعف شركم وكل إناء بالذي فيه ينضح

إذن فالقانون العام للناس كافة هو صراع في الفكر والمعتقد وهذا ما يحدثنا به تاريخ الأمم والشعوب منذ حادثة قابيل وهابيل تماماً كما تتلاطم ذرات الماء عند سقوط الشلال، وهو ما يعرف عند أهل العلوم الشرعية بسنة التدافع.

وفي كل الأحوال فإن الأقدار التي تنزل بالأمة أما لتذكرها أو لتمتحنها أو لتعمل عمل القانون العام في إزالتها عند استحقاقها للإزالة وإبدال الدور لأمة أخرى استحقت شروط القيادة والزعامة مادياً أو روحياً أو بكليهما. وعندما أراد الله تعالى أن يهون الأمر على المسلمين بعد أحد أعطاهم القانون القرآني المهم الذي يؤكد { إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}، (آل عمران:١٤٠) ، أي أن الحروب سجال بين الأقوام يوم لك ويوم عليك

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والعبرة في النهاية لمن يطاول ويصابر لأن النصر مع الصبر.

يقول القرطبي في تفسيره (ج: ٣ ، ص: ٢٥٩ - ٢٦٠) حول قوله تعالى { وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}: (فيه مسألتان الأولى، قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - كذا قراءة الجماعة إلا نافعا فإنه قرأ دفاع وليس دفع - ويجوز أن يكون مصدرا لفعل كما يقال حسبت الشيء حسبانا وآب آيابا ولقيته لقاء ومثله كتبه كتابا ومنه كتاب الله عليكم. قال النحاس هذا حسن فيكون دفاع ودفع مصدرين لدفع وهو مذهب سيبويه، وقال أبو حاتم دافع ودفع بمعنى واحد مثل طرقت النعل وطارقت أي خصفت إحداها فوق الأخرى والخصف الخرز، واختار أبو عبد الله قراءة الجمهور ولولا دفع الله وأنكر أن يقرأ دفاع، وقال لأن الله عز وجل لا يغالبه أحد، قال مكي هذا وهم توهم فيه باب المفاعلة وليس به واسم الله في موضع رفع بالفعل أي لولا أن يدفع الله و دفاع مرفوع بالابتداء عند سيبويه. الناس مفعول، بعضهم بدل من الناس، ببعض في موضع المفعول الثاني عند سيبويه وهو عنده مثل قولك ذهبت بزيد فزيد في موضع مفعول فاعلمه الثانية، واختلف العلماء في الناس المدفوع بهم الفساد من هم؟. وقال ابن عباس ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد، وقال سفيان الثوري هم الشهود الذين تستخرج بهم الحقوق وحكى مكي أن أكثر المفسرين على أن المعنى لولا أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي لأهلك الناس بذنوبهم وكذا ذكر النحاس والثعلبي أيضا.. قال الثعلبي وقال سائر المفسرين ولولا دفاع الله المؤمنين الأبرار عن الفجار والكفار لفسدت الأرض أي هلكت وذكر حديثا أن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

النبي ρ قال (**إن الله يدفع العذاب بمن يصلى من أمتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما أنظرهم الله طرفة عين ثم تلا رسول الله ρ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)**، وعن النبي ρ قال **(إن لله ملائكة تنادي كل يوم لولا عباد ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا)**، أخرجه أبو بكر الخطيب بمعناه من حديث الفضيل بن عياض، وحدثنا منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله ρ **(لولا فيكم رجال خشع وبهائم رتع وصبيان رضع لصب العذاب على المؤمنين صبا)**، أخذ بعضهم هذا المعنى فقال لولا عباد للإله ركع، وصبية من اليتامى رضع، ومهملات في الفلاة رتع، صُبَّ عليكم العذاب الأوجع. وروى جابر أن رسول الله ρ قال **(إن الله ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم)**، وقال قتادة يبتلي الله المؤمن بالكافر ويعافي الكافر بالمؤمن. وقال ابن عمر قال النبي ρ (**إن الله ليدفع بالمؤمن الصالح عن مائة من أهل بيته وجيرانه البلاء)**، ثم قرأ ابن عمر ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، وقيل هذا الدفع بما شرع على ألسنة الرسل من الشرائع ولولا ذلك لتسالب الناس وتناهبوا وهلكوا وهذا قول حسن فإنه عموم في الكف والدفع وغير ذلك فتأمله ولكن الله ذو فضل على العالمين بين سبحانه أن دفعه بالمؤمن شر الكافر فضل منه ونعمة).

وعليه فإن من معاني هذه الآية المباركة هو أن من سنن وقوانين الله تعالى في هذه الحياة هو أن يدفع الفساد عن أهل الأرض بتدافع الأقوام وتصارعهم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن بين الدلائل القرآنية الكريمة على هذا القانون وهذه السنة الإلهية قوله تعالى { إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً}، (النساء:٩٠)، فجعل من أمره سبحانه أن لو شاء لسلط الكفار على المؤمنين إذا ما هم تخلوا عن تطبيق أوامره تعالى، ولكن أمره أن لا يجعل للكافر على المؤمن سبيلاً إذا ما تم تطبيق شروط الإيمان المعروفة والتي لخصتها الآيات الأولى من سورة المؤمنون.

استشهاد تاريخي:

التاريخ يحدثنا بأمثلة كثير يقصر المقام ويضيق لذكرها، لكنني سأستشهد بمثال من عهد قريب جداً لتبين كيف يسيِّر الله تعالى الأمم ويضرب بعضها ببعض كما تضرب دقائق الماء في مثال الشلال كي يتحقق في النهاية ما يجب أن يكون ولله الأمر من قبل ومن بعد.

كانت إمبراطورية اليابان منذ عهد سحيق وإلى حين دخولها الحرب الكونية الثانية تعتبر الإمبراطور إلهاً وهذا ما مثبت في دستورها، وحين خسرت الحرب أمام الحلفاء ووقعت وثيقة الاستسلام كان من ضمن شروط الاستسلام تلك أن تتخلى عن مسألة تأليه الإمبراطور وهذا ما حصل فعلاً. أنظر كيف ضرب الله ظالماً بظالم وكيف سلط كافراً على كافر لإزالة معتقد هو الأكثر ظلماً ألا وهو عبادة المخلوق للمخلوق، أي أن ملايين الناس تطاحنوا فيما بينهم طيلة ٦ سنوات من الحرب الدامية، فكانت النتيجة أن علت كلمة التوحيد بإزالة نظام تأليهي وهو النظام الامبراطوري الياباني المتأله حتى وإن كانت بيد كافر وظالم آخر، فالكافر أيضاً من

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جنود الله، أليست الدواب والحشرات كذلك؟.. فالكل من مخلوق وجماد في هذا الكون بيد الله يسلطه كيف يشاء ومتى يشاء, ولله جنود السماوات والأرض، وفي الحديث (**الظالم سيفي أقتص به وأقتص منه**).. والمتأمل لتاريخ اليابان يجد أن البداية الحقيقية لانتشار الإسلام في هذا البلد المهم بشكل واسع جاء بعد هذا التاريخ، أي تاريخ إزالة صفة الألوهية عن امبراطورهم بعد أن كان الناس يعتقدون بها يقيناً.

ثم ارجع إلى معنى قوله تعالى في نهاية الآية المباركة آنفة الذكر من سورة الأنعام الآية٦٥، {..انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}، أي تدبر يا عاقل كيف تترتب أمور الخلق والأمم والشعوب... وارجع فتدبر قوله تعالى {...لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ }، (الروم: من الآية٤)، وأيضاً قوله تعالى {...وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ }، (يوسف:من الآية٢١)، لتعلم كيف تسير الأحداث وتجري الأمور بين شعوب الأرض وأممها.

في مثل اليابان هذا استنتاج مهم وهو أن الشرك بالله ومحاولة تأليه البشر أبغض عند الله تعالى من غيره من الأمور ومنها الاحتلال البغيض إلى النفس، فتقرأ قول الله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}، (النساء:٤٨).. { إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً}، (النساء:١١٦) ، وتقرأ في وصية لقمان الحكيم لابنه في سورة لقمان { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}، (لقمان:١٣). من هذه الآيات نفهم أن عملية الإشراك بالله ومنها تأليه البشر عملية أكثر بغضاً وأكثر إجراماً من كل شيء بضمنه احتلال أمة لأمة أخرى، إذ {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً}، (مريم:٩٠)، لماذا يا ترى؟، لسبب { أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً}، (مريم:٩١). كذلك ترى مقدار التحقير الذي أولاه القرآن الكريم للمتألهين كفرعون والنمرود... بينما في حالة احتلال الهكسوس لأرض مصر في وقت سيدنا يوسف عليه السلام، وحصول الأحداث التي قصتها علينا السورة المباركة لم تتطرق بسوء إلى ملك مصر – وليس فرعونها كدليل أن الحالة حالة احتلال وليس حالة حكم وطني لأهل البلد- وهو محتل ومشرك، بل بعد تيقنه من أمانة سيدنا يوسف أعطاه وزارة المالية ومنها استطاع إدخال أهل مصر جميعهم في دين التوحيد.

على أن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال الرضا بحال الاحتلال، فمعلوم لدى حضراتكم أن هذه المسألة لا خلاف فيها ولا اختلاف عليها، إذ أنها من فطرة البشر بل وهي من فطرة حتى الحيوان أن يكون تواقاً للحرية من أي قيد، فكيف ببني البشر، وكيف بالمسلم الذي لا يعرف العبودية لأي شيء سوى ربه وخالقه، سواء أكان المتسلط محتلاً أجنبياً أم متجبراً محلياً. وقد وضع الشرع الحنيف تفاصيل واضحة لحالة جهاد المحتل والغاصب لأرض المسلمين وبكافة الوسائل المتاحة.

نخلص من ذلك إلى أن الاحتلال رغم مقته من النفس البشرية إلا أنه بالإمكان توحيد الصفوف لإزالته، ولكن مفسدة تأليه الذات البشرية أكثر وقعاً وتدميراً وبالتالي بغضاً وتحقيراً. لذلك فإذا كان احتلال بلد ما من قبل كافر بغيض فإن التأليه أبغض، لأن الاحتلال زائل لا محالة وتأثيره محدود إذا ما تضافرت الجهود لطرده وإزالته، لكن التأليه مفسد لكل شيء وهو ما حصل لعراقنا العزيز.

كذلك يقص الله تعالى كيف انتهت الحضارات السالفة بأنواع العذاب كافة التي فصلها قانون الآية ٦٥ من الأنعام، فما أغنى عنهم جمعهم ولا أموالهم ولا جنودهم ولا ثرواتهم،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن الطبيعي لم تغن عنهم كل معتقداتهم الفاسدة سواء أكانت أصناماً أو أشخاصاً أو حتى أفكاراً: { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣)} ، (هود).. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (شيبتني هود وأخواتها .....).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثانى

قوانين الاستثناء

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني
قوانين الاستثناء

على أن القوانين العامة تلك التي تحكم الحضارات حصل لها استثناء إلهي مدون عهده من قبل الله تعالى ومن أوفى بعهده من الله، وهو نوعان عام لكل الناس والأمم، وخاص بأمة الإسلام، وهو الأمر الذي سيكون من أمر المسلمين بعد البعثة الشريفة إذا ما هم التزموا أوامر الله تعالى، عندئذ فقط سيكون لهم عهد أن ينصرهم الله تعالى وينشر دينهم الذي ارتضى لهم ويهيئ لهم حياة رغيدة هنيئة حتى وإن كانوا قلة وكانت الأمور الفنية البحتة ليست في صالحهم.

فقد يقول قائل أليس هؤلاء الغربيون أو آباءهم من ذبح المسلمين في الأندلس وأنشأ محاكم التفتيش لقتلهم قبل ٥٠٠ عام، وهم من ذبح المسلمين في البلقان مؤخراً، فكيف يكون لك أن تدعي أو تزعم أن الله سخّرهم أو أحفادهم للقضاء على الألوهية في اليابان إبان الحرب الكونية الثانية...

فنجيب وبالله التوفيق، بل وأكثر من ذلك فإن لهم في كل زمان دم تسال به أبطح، ولكن الجواب يكمن في كون هذه الأمة لها شروطها التي تجعل من الله تعالى يدافع عنها، ألم يقل سبحانه { إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}، (الحج:٣٨). فخصّ الذين آمنوا، أي الذين يطبقون شرع الله تعالى، وهو ما نعبر عنه باستثناء الأمة من القوانين العامة إن هي تمسكت بتطبيق أوامر الله تعالى، وهو ما سنذكره في هذا الفصل.

أما أنواع الاستثناءات للقوانين العامة التي ذكرناها فهي اثنتين، استثناء عام لكل البشر، واستثناء خاص لأمة الإسلام، ولكل شروطه وأسبابه:

١ - قوانين الاستثناء العام لكل الأمم:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهو استثناء عام لكل البشر ، يقول الله تعالى: { ... وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ، (آل عمران: من الآية ١١٧) ...{ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، (التوبة:٧٠)... { إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، (يونس:٤٤).. { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، (النحل:٣٣) .. والأهم من هذا التأكيد المستمر هو قانون {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}، (هود:١١٧)، أي أنه تعالى لا يمكن أن يعذب أمة من الناس وأهلها يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصلحون المفسد، وهنا وقفة مع كلمة مصلحون ولماذا لم يقل صالحون .

المصلح أعلى من الصالح لأن الصالح لنفسه بينما المصلح يصلح نفسه وغيره وبالتالي يصلح المجتمع بأسره، وهذا هو بالضبط مراد الشرع الحكيم. وعملية الإصلاح هي إحدى أهم العمليات الخيرية على الأرض في جميع الأمم وهو ما نص عليه الكتاب العزيز: {لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}، (النساء:١١٤)، قال المفسرون رحمهم الله تعالى أن النجوى التي نزلت بسببها الآية وهي الكلام الخافت كانت لتجريحه ρ وللطعن في دعوته الشريفة ، وهذا من فعل كل كافر فاجر على مر الأزمان.

فالقانون هو أن الله تعالى لا يظلم الناس بعذابهم إلا بعد إنذارهم مغبة غيهم وظلمهم، كما أن القرآن الكريم ثبّت

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قانوناً ينص على أن وجود فئة قليلة ضمن المجتمع تمنع نزول العذاب إذا ما هي قامت بمنع الفساد، فيقول الله تعالى: { فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُون(١١٧) }، (هود).

كما وأسس القرآن الكريم قانوناً آخر يمنع العذاب وهو الدعاء والتضرع إلى الله تعالى عند الخطوب والملمات، والذي إذا ما لجأ إليه العباد منع أو خفف عنهم العذاب { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ:٤٣)}، (الأنعام).

ولكن واقع الحال يقول أن الناس أنفسهم يظلمون بعدم امتثالهم لأوامر ربهم، فأهلكت القرى لأسباب عدة منها فسادها وظلمها وبطرها ووحشيتها وتكبرها. وتحدثنا آيات الله في كتابه الكريم أن الأمم التي عذبت لم تكن لتعذب إلا بعد أن يصروا على العصيان والتكذيب إلا استثناء واحد هم أهل نينوى أصحاب سيدنا يونس عليه السلام الذين بعد أن كذبوه وكادت تنزل بهم الطامة خرجوا تائبين إلى الله تعالى مستغفرين له فمنع عنهم العذاب { فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} ، (يونس:٩٨).

وحيث أن عملية تحول الناس جميعاً من أهل تلك الأمة أو القرية إلى مصلحين عملية شبه مستحيلة إلا بمشيئة الله تعالى، لأن الناس أصناف منها:

- أكثر الناس لا يحبون اتباع الحق {...وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}، (المؤمنون: من الآية٧٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- أكثر الناس لا يؤمنون حق الإيمان {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}، (يوسف:١٠٣) .
- من الناس من هو مفسد غير مصلح {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}، (البقرة:٢٠٤) .
- من الناس من يدعي الإيمان لغرض دنيوي في نفسه وهم المنافقون {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}، (البقرة:٨) .
- من الناس من يأخذ من الناس إلهاً يطيعه وهم أهل العقائد الحزبية النفعية وما أكثرهم {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}، (البقرة:١٦٥) .
- من الناس من هو هوائي المزاج {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ}، (الحج:٣).
- من الناس من هو جاهل ويحب أن يظل جاهلاً {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ }، (الحج:٨) .
- من الناس من هو مذبذب بطبعه { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}، (الحج:١١) .
- من الناس من لا يستطيع تحمل مشاق الإيذاء في سبيل الله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ}، (العنكبوت:١٠) .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- من الناس من هو مضلِلٌ بطبعه {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}، (لقمان:٦) .
- وفي السير نتذكر قصة سيدنا موسى مع القوم الذين طلبوا منه الاستسقاء فلم يسقون لوجود شخص واحد مذنب في القرية، وفي قصة معركة أحد وكيف أن أربعين رجلاً عصوا الرسول ρ فكانت النتيجة تحول النصر إلى هزيمة.

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم (التوبة ٤٩٣٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ : **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ)**، هذا الحديث يؤكد أن البشر فطروا على العصيان والتهرب من الالتزام.

فإن ذلك يعني وجوب قيام مجموعة بواجب الإصلاح والتذكير كي يكفوا هذا الأمر عن الباقين. على أن هذه القوانين القرآنية للبشر لا تمنع من أن يكون الناس مصلحون، إلا أن المشكلة تكمن في عدم إمكانية أن يصبح عدد المصلحين من القرية أو الدولة ما يكفي لمنع الفساد والانحراف أو عدم توفر إمكانات توصيل خيرهم للناس. لذلك فإن هذا الاستثناء العام صعب التحقيق إن لم يكن مستحيلاً.

ولكن الاستثناء جعل لهذه الأمة الإسلامية المرحومة بشكل خاص دون غيرها من القوانين العامة للأمم وخصوصاً قوانين العذاب المطلقة بالإهلاك{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}، (لأنفال:٣٣).

٢- قوانين الاستثناء الخاص بأمة الإسلام:

وهو ما جعل خاصاً لهذه الأمة إن هي اتبعت أوامر ربها، فالاستثناء العام الذي سبق وأن ذكرناه صعب التحقيق، لذلك

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قرر القرآن الكريم أن يمكن أن تكون مجموعة معينة من الناس تقوم بمهمة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ما جاء في قوله تعالى{ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }، (آل عمران:١٠٤)، والأمة هنا تعني المجموعة، فالحرف (من) يستخدم لتبعيض جزء من كل كما في قوله تعالى { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}، (التوبة:١٢٢)، فضلاً عن أن مفهوم التبعيض هذا يفهم من سياق الآيات التي سبقت والتي تلت الآية الكريمة من سورة آل عمران، فخطاب الآيات السابقة واللاحقة جاء للمجموع، فبدأ بـ (يا أيها الذين آمنوا) في الآية ١٠٢ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.. ثم (واعتصموا) في الآية ١٠٣ وكما ذكرناها آنفاً { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} .. وبعد الآية ١٠٤ جاء الخطاب بـ (ولا تكونوا) في الآية ١٠٥ { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) }.. بينما الآية ١٠٤ جاء خطابها (ولتكن منكم) .

كما وأن شروط خيرية هذه الأمة فيما لحق من آيات مباركات، فجاءت لتعطي الأولوية لهذه المهمة العظيمة مهمة الإصلاح {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(آل عمران:١١٠) .

لكن الاستثناء الخاص الذي يميز الأمة الإسلامية في الواجبات يوازيه ما يميزها في الأجر والثواب الدنيوي والأخروي، لنتدبر القانون أو المعادلة القرآنية التالية:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } ،(محمد :٧)، إن – شرطية - أقمتم دين الله وشرعه بكل تفاصيله فإن لكم من الله عهد أن يتدخل لنصرتكم، وهذا التدخل يكون بأسباب خارجة عن حسابات البشر التقليدية كحصول الخرق والخلاف في صفوف أعداءكم أو تدخل جنود السماوات والأرض من الكوارث الطبيعية سابقة الذكر أو التدهور الاقتصادي أو غير ذلك مما يدفع الأذى عن المسلمين. وإذا ما كان ذلك النصر فإنه لن يغلبكم أحد مهما كان قوياً بالحسابات المادية البحتة، وهو معنى قوله تعالى في قانون قرآني آخر يكمل المعادلة السابقة { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، (آل عمران:١٦٠).

هذا الاستثناء نجده أيضاً في قوله تعالى: {... وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}، (الحج: من الآية٤٠)، أي لولا قانون الله في تقاتل وتصارع الأمم لهدمت العبادة في الأرض ولكن الله تعهد بنصر من يقيم دينه حق الإقامة لأن الله تعالى أقوى من كل القوى الأرضية لا يقهر إرادته شيء. كذلك نجده مشخصاً بجلاء في الآية المباركة {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}، (النور:٥٥).. أي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أن الله تعالى وعد بأمر لا يخلف وهو أنه يمكن الأمة لتستخلف الأرض وما فيها من أمم وقرى وينقلهم من الخوف والذل إلى الأمن والعز بالنصر، ولكن لمن؟ للذي يطبق شروط النصر وإقامة الدين بكل حيثياته التي ذكرنا، ثم قال ومن كفر أي لم يطبق ذلك فإن النتيجة ستكون الهزيمة لكل فاسق أدار ظهره لأوامر ربه. وقوله تعالى كما استخلف الذين من قبلهم مستمرة إلى يوم القيامة فلا يظنن أحد أن الآية تقتصر على من سبقنا من الأمم حسب، بل أن الأمر يتعدى إلى كونه قانوناً آخر يتعلق بالأجيال المتلاحقة من هذه الأمة. وكأن الله تعالى يقول لنا قد تعهدت لكم بالنصر وتركت لكم مفتاح ذلك، فإن طبقتم الشرع جاءكم النصر ولو بتغيير النواميس الكونية، وإن أبيتم ذلك فلا تلومن إلا أنفسكم.

لندخل في تفاصيل تفسير هذا القانون القرآني المهم في هذه الآية الكريمة التي تحمل البشارات لهذه الأمة ونركز عليها لأن لنا عودة لها عند الحديث عن قانون النصر.

١. **مناهل العرفان: (ج ٢ /ص (٢٧١-٢٧٢)**

المثال الخامس تنبؤ القرآن بأن المستقبل السعيد ينتظر المسلمين في وقت لم تكن عوامل هذا المستقبل السعيد مواتية ثم إذا تأويل هذا النبأ يأتي على نحو ما أخبر القرآن في أقصر ما يكون من الزمان أجل إننا لنقرأ في سورة الصافات المكية {وإن جندنا لهم الغالبون }، وفي سورة غافر المكية أيضا {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}، وكذلك نقرأ في سورة النور المدنية {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا }، على حين

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أن سجلات التاريخ لا تزال تحفظ بين طياتها ما يشيب الوليد من ألوان الاضطهاد والأذى الذي أصاب الرسول ρ وأتباعه في مكة والمدينة على عهد نزول هذه الوعود المؤكدة الكريمة حتى لقد كان أكبر أماني المسلمين بعد هجرتهم وتنفسهم الصعداء قليلا أن يسلم لهم دينهم ويعيشوا آمنين في مهاجرهم كما يدل على ذلك ما صححه الحاكم عن أبي بن كعب قال لما قدم رسول الله ρوأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت الآية وكذلك روى ابن أبي حاتم. وقال البراء نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد أي قوله تعالى {وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات..}، هكذا كان حال الصحابة أيام أن وعدهم الله ما وعد وما أعجل تحقق هذا الوعد الإلهي رغم هذه الحال المنافية في العادة لما وعد فدالت الدولة لهم واستخلفهم في أقطار الأرض وأورثهم ملك كسرى وقيصر ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وأبدلهم من بعد خوفهم أمنا، يا لها نبوءة تأبى عادة أن يتحدث بها إلا من يملك تحقيقها ومن يخرق إن شاء عادات الكون ونواميسه من أجلها {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}، { ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}.

٢. <u>التبيان في إعراب القرآن (ج ٢ /ص ١٥٩</u>

قوله تعالى { ..كما استخلف..}، نعت لمدص محذوف أي استخلافا كما استخلف قوله تعالى يعبدونني في موضع الحال من ضمير الفاعل في { ..لـيستخلفنهم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

..}، أو من الضمير في ليبدلنهم لا يشركون يجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى وأن يكون حالا من الفاعل في يعبدونني أي يعبدونني موحدين.

٣. **تفسير البيضاوي (ج ٤ /ص ١٩٧- ١٩٨)**

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول ρ وللأمة أوله ولمن معه ومن للبيان { ..ليستخلفنهم في الأرض ..}، أي ليجعلنهم خلفاء متصرفي في الأرض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو الوعد في تحقيقه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام ببعد الجبابرة وقرأ أبو بكر بضم التاء وكسر اللام وإذا ابتدأ ضم الألف والباقون بفتحهما وإذا ابتدءوا كسروا الألف وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت { ..وليبدلنهم من بعد خوفهم.. }، العداد وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف { ..أمنا ..}.. وكان رسول الله ρ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكان يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب، وفيه دليل على صحة النبوة للإخبار عن الغيب على ما هو به وخلافه الخلفاء الراشدين إذ لم يجتمع الوعود والوعود عليه لغيرهم بالإجماع، وقيل الخوف من العذاب والأمن منه في الآخرة، يعبدونني حال من الذين لتقيد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والأمن، لا يشركون بي شيئا حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين من كفر ومن ارتد أو كفر هذه

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

النعمة بعد ذلك بعد الوعد أو حصول الخلافة فأولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مصل هذه الآيات، أو كفروا تلك النعمة العظيمة. { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول..}، في سائر ما أمركم به ولا يبعد عطف ذلك على {.. أطيعوا الله.. }، فإن الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول ρ لتأكيد وتعليق الرحمة بها أو بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى

٤. **تفسير القرطبي (ج ١٢ / ص ٢٩٩ - ٣٠٠)**

{ ..ليستخلفنهم في الأرض..}، وقوله { ..كما استخلف الذين من قبلهم..}، يعني بني إسرائيل وإذ أهلك الله الجبابرة بمصر وأورثهم أرضهم وديارهم فقال وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها، وهكذا كان الصحابة مستضعفين خائفين ثم غن الله تعالى أمنهم ومكنهم وملكهم فصح أن الآية عامة لأمة محمد ρ غير مخصوصة، إذ التخصيص لا يكون إلا بخبر ممن يجب له التسليم ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم. وجاء في معنى تبديل خوفهم بالأمن أن رسول الله ρ لما قال أصحابه أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام **(لا تلبثون إلا قليلا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس عليه حديدة)**، وقال ρ (**والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)**،أخرجه مسلم في صحيحه، فكان كما أخبر ρ فالآية معجزة النبوة لأنها إخبار عما سيكون.. فكان قوله تعالى { ..ليستخلفنهم في

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الأرض..}، فيه قولان أحدهما يعني أرض مكة لأن المهاجرين سألوا الله تعالى ذلك فوعدوا كما وعدت بنو إسرائيل، قال معناه النقاش، الثاني بلاد العرب والعجم قال ابن العربي وهو الصحيح، لأن أرض مكة محرمة على المهاجرين كما قال النبي ρ، لكن البائس سعيد بن خولة يرثي له رسول الله ρ أن مات بمكة وقال في الصحيح أيضاً **(يمكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا)** واللام في ليستخلفنهم جواب قسم مضمر لأن الوعد قول مجازها، قال الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات والله ليستخلفنهم في الأرض فيجعلهم ملوكا وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني إسرائيل أهل الجبابرة بمصر والشأم وأورثهم أرضهم وديارهم.. وقراءة العامة كما استخلف بفتح التاء واللام لقوله وعد وقوله ليستخلفنهم، وقرأ عيسى بن عمرو وأبو بكر والمفضل عن عاصم استخلف بضم التاء وكسر اللام على الفعل المجهول { ..وليمكنن دينهم الذي ارتضى لهم..}، وهو الإسلام كما قال تعالى { ..ورضيت لكم الإسلام دينا }.. وروى سليم بن عامر عن المقداد ابن الأسود قال سمعت رسول الله ρ يقول (**ما على ظهر الأرض بيت حجر ولا مدر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل أما بعزهم فيجعلهم من أهلها وأما بذلهم فيدينون بها)**، ذكره الماوردي حجة لمن قال إن المراد بالأرض بلاد العرب والعجم وهو القول الثاني على ما تقدم آنفا وليبدلنهم.. قرأ ابن محيصن وابن كثير ويعقوب وأبو بكر بالتخفيف من أبدل وهي قراءة الحسن واختيار أبي حاتم الباقون بالتشديد من بدل وهي اختيار أبي عبيد لأنها أكثر ما في القرآن الكريم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٥. تفسير ابن كثير (ج ٣ / ص ٢٠٢ - ٢٠٣)

يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى { إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين}، وقال { إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}، وقال { وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم..} ، وأخبر تعالى أن هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدرية وهو كائن لا محالة ولهذا قال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر. قال الأعمش سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ..}، فقال الزبور التوراة والإنجيل والقرآن، وقال مجاهد الزبور الكتاب، وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد الزبور الذي أنزل على داود والذكر التوراة، وعن ابن عباس الزبور القرآن، وقال سعيد بن جبير الذكر الذي في السماء، وقال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر والذكر أم الكتاب عند الله، واختار ذلك ابن جرير رحمه الله، وكذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول، وقال الثوري هو اللوح المحفوظ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الزبور الكتب التي أنزلت على الأنبياء والذكر أم الكتاب الذي يكتب فيه الأشياء قبل ذلك، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أخبر الله سبحانه وتعالى في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السماوات والأرض أن يورث أمة محمد ρ الأرض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون، وقال مجاهد عن ابن عباس {

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إن الأرض يرثها عبادي الصالحون}، قال أرض الجنة وكذا قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وأبو صالح والربيع بن أنس والثوري، وقال أبو الدرداء نحن الصالحون، وقال السدي هم المؤمنون وقوله { إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين}، أي إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ρ لبلاغاً لنفعه وكفاية لقوم عابدين وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم.. وقوله { ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }، يخبر تعالى أن الله جعل محمدا ρ رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى { ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار}، وقال تعالى في صفة القرآن { قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد }، وقال مسلم في صحيحه ٢٥٩٩ عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال ρ (**إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة**)، انفرد بإخراجه مسلم، وفي الحديث الآخر (**إنما أنا رحمة مهداة**)، رواه عبد الله بن أبي عرابة وغيره عن وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا، وكذا قال البخاري، قال الحافظ بن عساكر وقد رواه مالك بن سعير بن الخمس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا ثم ساقه من طريق أبي بكر ابن المقرئ وأبي أحمد الحاكم كلاهما عن بكر بن محمد بن إبراهيم الصوفي..

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وعن ابن عمر قال قال رسول الله ρ (**إن الله بعثني رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض آخرين**). قال أبو القاسم الطبراني عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال أبو جهل حين قدم مكة منصرفه عن خمره يامعشر قريش إن محمدا نزل يثرب وأرسل طلائعه وإنما يريد أن يصيب منكم شيئا فاحذروا أن تمروا طريقه وتقاربوه فإنه كالأسد الضاري إنه حنق عليكم لأنكم نفيتموه نفي القردان عن المناسم والله إن له لسحرة ما رأيته قط ولا أحدا من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين وإنكم قد عرفتم عداوة ابني قيلة يعني الأوس والخزرج فهو عدو استعان بعدو، فقال له مطعم بن عدي يا أبا الحكم والله ما رأيت أحدا أصدق لسانا ولا أصدق موعدا من أخيكم الذي طردتم وإذ فعلتم الذي فعلتم فكونوا أكف الناس عنه، قال أبو سفيان بن الحارث كونوا أشد ما كنتم عليه إن ابني قيلة إن ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة وإن أطعتموني ألجأتموهم خير كنانة أو تخرجوا محمدا من بين ظهرانيهم فيكون وحيدا مطرودا وأما ابنا قيلة، فوالله ما هما وأهل دهلك في المذلة إلا سواء وأكفيكم حدهم وقال سأمنح جانبا مني غليظا على ما كان من قرب وبعد رجال الخزرجية أهل ذل إذا ما كان هزل بعد جد، فبلغ ذلك رسول الله ρ فقال (**والذي نفسي بيده لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم وهم كارهون إني رحمة بعثني الله ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قومي وأنا العاقب**). قال أحمد بن صالح أرجو أن يكون الحديث صحيحا، وقال الإمام أحمد عن عمر بن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أبي قرة الكندي قال كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء قالها رسول الله ρ فجاء حذيفة إلى سلمان فقال سلمان يا حذيفة إن رسول الله ρ خطب فقال (**أيما رجل سببته في غضبي أو لعنته لعنة فإنما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تغضبون وإنما بعثني الله رحمة للعالمين فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة)**، ورواه أبو داود ٤٦٥٩ عن أحمد بن يونس عن زائدة فإن قيل فأي رحمة حصلت لمن كفر به فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}، قال من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف. وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث المسعودي عن أبي سعد وهو سعيد بن المرزبان البقال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بنحوه والله أعلم. وقد رواه أبو القاسم الطبراني ١٢١٢٣٥٨ عن عبدان بن أحمد عن عيسى بن يونس الرملي عن أيوب بن سويد عن المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }، قال من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف.

والمتدبر للنص يجد الأفعال المضارعة (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ.. وَلَيُمَكِّنَنَّ.. وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ) فيها توكيدان، لام التوكيد في أولها ونون التوكيد في آخرها، وهذا يعني أنها تفيد المستقبل واجبة الحدوث، وأنها ليست مقصورة على زمن معين، وإنما مشروطة بالشرطين اللازمين لتحقيقها وهي (يعبدونني)، و (لا يشركون بي شيئاً). والشرك هنا ليس

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شركاً عقائدياً بالضرورة وإنما شركاً تعاملياً بعدم تطبيق الشرعية. فالله تعالى هو الإله الخالق الموجب للعبادة (إله الناس) وهذا هو توحيد الألوهية، وهو الرب الصاحب (رب الناس) وهو توحيد الربوبية، وهو الملك الحاكم الذي يسن القوانين الواجبة الطاعة والتنفيذ (ملك الناس) وهو توحيد الحاكمية { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ...} ، (النساء: من الآية١٠٥).

هذه المعاني تتلخص في معنى قوله تعالى في سورة الناس { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ(٣)}، والمعروف في علم العقائد بتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية والحاكمية. فشرك الألوهية هو الشرك الأعظم والظلم الأكبر ولكن الشرك الأصغر هو شرك المعاملات ومنه الرياء الذي حذر منه النبي ρ هو شرك الحاكمية، أي أنك تطيع أوامر وقوانين وضعية بشرية وتدير ظهرك لأوامر ملك الملوك الحاكم الأعظم الله تبارك وتعالى. إذ كيف نفهم الخطاب الرباني لله تعالى لرسوله ρ وهو تعليم للأمة وليس موجهاً لعصمة الرسول ρ بقوله تعالى في سورة الزمر (٦٥): { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، فهل يعقل أن رسل الله تعالى يشركون، حاشاهم عليهم السلام جميعاً فهم من حمل مسؤولية الدعوة إلى التوحيد فكيف يشركون، ولكن المقصود هنا، والله أعلم، هو شرك النية وهو موجه للأمة ولكن بخطاب مباشر لنبيها ρ حتى تعلم أن الأمر من الخطورة بمكان كي لا يستهان به، فنيّة العمل الخالصة لله تعالى هي مفتاح كل نجاح وتفوق.

ألم تسمع إلى قوله تعالى في سورة يوسف {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (يوسف:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٠٧)}.. قال بعض العلماء أن الآية نزلت في قريش التي كانت تؤمن بوجود الله تعالى ولكنهم يشركون معه أصناماً ابتدعوها ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، فكانوا يقولون عند طوافهم بالكعبة: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك..

يقول العلامة الشيخ ابن السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) حول هذه الآيات الكريمات: فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، فإنهم يشركون في إلوهية الله تعالى وتوحيده، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال لم يبق عليهم إلا أن يحل بهم العذاب، ويفجأهم العقاب وهم آمنون[١].

وفي زبدة التفسير من فتح القدير نقرأ حول هذه الآية المباركة: أي وما يصدق ويقر أكثر الناس بالله تعالى من كونه الخالق الرازق المحيي المميت (إلا وهم مشركون) بالله تعالى، يعبدون معه غيره، كما كانت تفعله الجاهلية، فإنهم مقرون بالله تعالى بأنه هو الخالق لهم، لكنهم كانوا يثبتون له شركاء فيعبدونهم ليقربوهم إلى الله، ومثل هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله تعالى، ومثلهم المعتقدون في الأموات بأنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فيعتقدون فيهم الضر والنفع فيصرفون إليهم شيئاً من عبادتهم، فذلك هو الشرك بعينه[٢]

وإذن الشرك الذي عنته الآية قد يكون في الإلوهية كما يفعل الكفرة والملحدون، وقد يكون في الربوبية كما يفعل أصحاب

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة الشيخ ابن السعدي ص ٤٠٦.الطبعة المنقحة عن دار الرسالة.

(١) تفسير زبدة التفسير من فتح القدير، محمد سليمان عبد الله الأشقر، ط/٢، ص ٣١٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العقائد المنحرفة والمشركون من أهل الكتاب.. لكن الشرك في الآية جاء عاماً، وقد يكون في الحاكمية أيضاً، فرغم علم الناس أن الله تعالى بيده كل شئ إلا أنهم مع ذلك لا يطيعونه في تطبيق أوامره وشرعه، أو أنهم يشركون معه أنداداً فيفسدون نيتهم في الإخلاص.

ومما يؤيد أن فساد النية تودي بصاحبها إلى فساد عمله وسخط الله والخسارة في الآخرة الحديث الذي أخرجه مسلم والنسائي رحمهما الله تعالى ورضي عنهما، والذي يبين ذلك بوضوح. فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه (كتاب الإمارة ٣٥٢٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρيَقُولُ (**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**).

وهناك أحاديث تؤكد ذلك منها الحديث الذي أخرجه الترمذي وكذا الإمام مسلم في الزهد والرقائق (٥٣٠٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**).. وفي حديث الإمام أحمد

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(باقي مسند الأنصار ٢٢٥٢)٣ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ (**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**)، قَالُوا وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ (**الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**)..

لقد تم تطبيق هذا القانون المهم خلال عدة مراحل من مسيرة الإسلام، ولعل أهم تطبيق له هو ما كان من أمر الفتوحات الإسلامية في بقاع الأرض، ففي فترة وجيزة تم فتح أصقاع العالم القديم. ولكن أهم درس يوظف لفهم هذا القانون هو ما حصل في معركة أحد، وما كان من النصر في بداية المعركة ثم تحوله إلى هزيمة لمجرد أن ثلة من المسلمين قد تركوا أمر رسول الله ρ وراءهم ظهرياً، وفي هذا نزل القرآن الكريم ليؤكد هذه الحقيقة، إذ يقول الله تعالى { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}، (آل عمران:١٥٢).. قال محمد بن كعب القرظي (لما رجع رسول الله ρ وأصحابه من أحد إلى المدينة وقد أصابهم ما أصابهم في يوم أحد، قال ناس من الصحابة: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذلك أن الظفر كان للمسلمين في الابتداء فحقق الله لهم وعده بالنصر، فلما خالفوا أمر رسول الله ρ وطلبوا الغنيمة هزموا، فنصرهم الدائم كان مشروطاً بلزوم طاعة رسول الله ρ)[١]. وهناك تأكيد آخر في نفس الموضوع، وهو قوله تعالى{ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

(١) روائع البيان لمعان القرآن، أسباب النزول، ٧٤-٧٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }، (النحل:٩٧)... { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }، (العنكبوت:٦٩).

رحلة تاريخية مكوكية.

هذا الاستثناء نجده أمامنا شاخصاً في التاريخ الإسلامي منذ عهد البعثة الشريفة وإلى يومنا وسيستمر إلى قيام الساعة، إذ تجد أن الأمة مرت بمراحل من الصعود وتسلق قمة المجد والسؤدد لما كانت متبعة لشرع الله في العبادات والمعاملات من عدل وخلق وتسامح وأخوة وغيرها فاستحقت القوانين الخاصة بها، ثم تنزل عند تركها لمنهج الله وارتماءها في الدنيا والملذات والشهوات فتخرج من القوانين الخاصة لتعود إلى القوانين العامة فتنطبق عليها سنن الأمم الأخرى كغزو أمة أخرى لها مثلاً.. فمن الصعود في بداية الرسالة في الأجيال الثلاثة الأولى لحضارة الإسلام تبعه نزول في القرن الرابع والخامس الهجريين بسبب ارتماء خلفاء بني العباس في أحضان الدنيا وركونهم إليها، فكانت الهجمات الصليبية على مدى قرنين من الزمن يقتلون ويذبحون الناس في المساجد، وتلك مساجد الشام تشهد على تلك المجازر البشعة، ومما يروى أن الشامي كان يأتي إلى بغداد حاملاً كيس من الرؤوس ليلقيها أمام الخليفة قائلاً له هؤلاء كانوا أهلي عسى أن يحرك هذا في نفس الخليفة الغيرة المعهودة على الدين، فما كان من الخليفة إلا أن يقول (إليك عني فإن لي طيراً أحمر ذهب وأخذ معه عقلي)[1].. تخيلوا أين وصلت المهانة بهذا الحاكم!!، فلا تستغربوا فقد مرت الأمة بمثل تلك النماذج التي نراها اليوم من الحكام .

(١) راجع كتاب (هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس) للدكتور ماجد عرسان الكيلاني.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثم يقيض الله تعالى رجالاً مثل الغزالي والكيلاني وغيرهما رحمة الله عليهم ليعيدوا الأمة إلى دينها وسبب عزها فيربوا الجيل الصاعد على الإسلام النقي، ليصعد جيل يبني دولة إسلامية هي الدولة الزنكية في الشام والتي ظهر منها جيل المحررين من أمثال صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى..

ثم نزول آخر تبعه هجمات التتار بقيادة هولاكو واحتلال أمصار إسلامية عديدة توجت بسقوط بغداد، والتي بسقوطها انتهت الخلافة الإسلامية العباسية، ثم ترتفع الأمة من جديد بعد عودتها للدين – وبعد سنتين فقط من تاريخ سقوط بغداد- خصوصاً المماليك في مصر على يد العلماء الأجلاء كالعز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه الذي وحد الصفوف على كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله من جهة ، ليعود التتار إلى ديارهم مسلمون بعد هزيمتهم النكراء في عين جالوت بأرض فلسطين على أيدي قادة المماليك العظام كقطز وبيبرس، فارتفعت صيحات واإسلاماه وكلمات الله أكبر.. وعلى يد علماء الشام كالعالم الأمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ورضي عنه الذي كان له الدور الأبرز في إسلام التتار من جهة أخرى، وذلك بعد أن دخل خيمة قائد التتار بالشام ليناقشه ويقنعه بالإسلام فيسلم جيشه بالكامل، فكانت هذه أول حادثة في التاريخ البشري يعتنق فيها جيش غاز دين البلد أو الأمة التي غزاها.

بعد ذلك حصل أن أثرت أقوام التتار والمغول على أقوام أواسط آسيا، فلم يكتفوا بالدخول في الإسلام الذي هذبهم وحولهم لأمة متحضرة بعدما كانوا همجاً، بل سعوا لنشره في الأمصار، فهذا تيمورلنك الذي أصبح مسلماً أراد أن يكوِّن امبراطورية إسلامية في أوربا، وكاد لولا أنه لم يفقه الإسلام على حقيقته، فظلّ على عادات أجداده الهمجية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الشرسة، وتلك دول إسلامية مغولية تكونت إثر ذلك في جنوب وشرق آسيا كما هو الحال في الهند وحالة الشاه المسلم المغولي الذي بنى البناء المشهور لحد اليوم أحد عجائب العالم القديم والمعروف بتاج محل.

من هذه الأقوام الذين تأثروا بعودة المغول مسلمين من حملتهم الأخيرة، أولاد عمهم الترك(الذين كان قد أسلم بعضهم إبان الفتوح الإسلامية الأولى) فتم نزوحهم لبلاد الأناضول عبر حقب متعاقبة وصعودهم لحمل لواء الإسلام وبعد أن تخلى العرب عن حملها ليكونوا نواة الدولة الإسلامية الجديدة والعظيمة، الدولة العثمانية.. تلك الدولة العظيمة التي حملت راية الإسلام لتنشرها في أرجاء أوربا، فتفتح دولاً وتدخل أمماً في الإسلام مثل هنغاريا وبلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا وأجزاء من اليونان، بل وصلت جيوشهم إلى حدود فينا عاصمة النمسا، حتى إنك لتقرأ في كتب التاريخ أن من هؤلاء الأقوام من كان يأتي ليدرس الفقه الإسلامي في دول الشرق كبغداد، فيذكر المؤرخون أنه كان أناس يدرسون في مدارس بغداد والشام حمر الوجوه، حمر اللحى والشوارب، كانوا من الهنغار. ثم بعد ركون سلاطين الإستانة اللاحقين إلى الدنيا بدأت الأمة تشهد تراجعاً ليبدأ النزول من جديد ولنفس السبب الأول "الركون إلى الدنيا".. وهكذا تتحرك الأمة بين القوانين الخاصة بها عند تطبيقها الشرع، وبين القوانين العامة التي تخرج إليها عند تركها تطبيق الشريعة.

يتبين لك أخي الكريم من الاستعراض السريع السابق، أن الله تعالى يسير الأمور بما يمكن هذا الدين من الانتصار والعزة ولو بعد حيز زمني معين.

ومما يعزز الاستثناء الخاص بأمة محمد ρ ما جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (باب

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفتن وأشراط الساعة ٥١٤٤) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ :(**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا**). هذا الحديث القدسي المبارك يؤيد ما ذهبنا إليه من أن سنن العذاب العامة التي كانت على الأمم الأخرى قد استثنيت منها أمتنا كرامة لرسول الله ρ عندما تطبق الشريعة التي أمرت بها، ولكن الابتلاء سيكون في الاختلاف والاقتتال فيما بينها.

٣- قانون الاستبدال.

من الاستعراض السابق نجد أن من قام على إعادة الأمة على طريق العز والمجد في المرات الثلاثة التي استعرضناها هم أقوام ليسوا عرباً، فالدولة الزنكية وبطلها صلاح الدين الأيوبين، ومن ثم المماليك، والمغول، وأخيراً وليس آخراً العثمانيون لم يكونوا عرباً، ولكنهم كانوا على الدين غيارى، فعرّبهم الإسلام وفتحوا الأمصار ونشروا الدين وأقاموا شرع الله واستحقوا وعده. وفي ذلك دليل قاطع بل تحقيق فعلي للقانون القرآني المهم الذي ثبته كتاب الله تعالى وهو ما يعرف بقانون الاستبدال.

خلاصة هذا القانون هو أن الإسلام يحمله من كان أهلاً له ويعطيه من وقته وجهده ما يؤهله لذلك ولا يقتصر على قوم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

دون أقوام آخرين – عرباً كانوا أم غيرهم- وهو ما نصت عليه الآيات المباركات الآتية:{هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ }، (محمد : ٣٨). وكذا ما جاء في الآية السابقة الذكر من سورة الحج {..وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} ، (الحج: من الآية٤٠)، أي أن الله تعالى ينصر من يطبق شروط النصر التي بينتها المعادلة السابقة وهي تطبيق الشريعة ولا يقتصر ذلك على أقوام معينين.. ويدخل في نفس الموضوع قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، (المائدة:٥٤).

لذلك فإن القوانين الخاصة التي تخص الأمة إذا لم تنفذ فإن الله تعالى غني عن العالمين، وبوسعه أن يأتي بقوم لا يعصونه وينفذون ما أمر ليستحقوا رضوانه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، (المائدة:٥٤)

هذا القانون يثبت ما أشّرناه في سمات الحضارة الإسلامية في الباب الأول، ويدل على أن التعصب لعنصر دون آخر ليس له سند شرعي، بل هو ممقوت ممجوج.

وتحدثنا أهل السنن بما يؤكد ذلك، ففي حديث البخاري (تفسير القرآن٤٥٢٧)عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهم عَنْهمَا يَقُولُ كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لِلْمُهَاجِرِينَ فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ ρ قَالَ : (**مَا هَذَا**) فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ ρ : (**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**).. وفي مسند أحمد (المكثرين١٤١٠٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَاجْتَمَعَ قَوْمُ ذَا وَقَوْمُ ذَا وَقَالَ هَؤُلَاءِ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَقَالَ هَؤُلَاءِ يَا لَلْأَنْصَارِ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ρ فَقَالَ : (**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**) قَالَ ثُمَّ قَالَ : (**أَلَا مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ أَلَا مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ**).

وإذن يفهم من الحديث أن الولاء لله ورسوله فوق الولاء للعشيرة والقوم، وأن القومية والعشائرية شعور في داخل الإنسان يعتز به، أما إذا سُيِّسَ وتم إقحام المفاهيم السياسية فيه ومحاولات الوصول للحكم عن طريقه فإنه سيكون عنصرية بغيضة، فهذه القومية إذا ما سيست فإنها ستحتاج إلى استعارة نظام يسيرها لأنها بالواقع انتماء وشعور وليست نظام متكامل للحياة عليه أن يضع القوانين الاجتماعية والاقتصادية للحياة، وهذا ما حصل فعلاً فتراها تستعير فكرها تارة من الشيوعية وتارة من الإسلام وتارة من الاقتصاد الحر وغير ذلك.

على أساس هذا الفهم يمكننا أن نعرف أن مفهوم القومية الأشمل هو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}، (الزخرف:٤٤)، فحصر مسؤولية خدمة الكتاب بقوم الرسول ρ وهم كل المسلمون وليس العرب فقط. ويحدثنا التاريخ أن كل المذابح والحروب الحديثة في أوربا ومنها الحربين العالميتين وكذلك حروب منطقتنا جاءت جراء العنصرية القومية لأنها تعمي أبصار الناس باتجاه ولاءهم القومي عن ولاءهم الرباني وانتماءهم القومي عن انتماءهم الإنساني. من هنا جاء التعبير القرآني

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }، (الحجرات:١٣)، أي أن الأفضلية عند الله تعالى ليس بحساب النسب والجنس والعشيرة بل بحسن الخلق وعظيم الإيمان، ومن هنا أيضاً جاء التعبير النبوي أنها – أي التعصب العشائري والقومي- منتنة لأنها تعمي البصيرة عن أوامر ربها وتقود الناس إلى الانغلاق عن القوميات والأجناس الأخرى فتقودهم إلى المهالك بالضبط كما عشناها في عصرنا هذا.

وهنا نستشهد بتاريخنا المجيد للاستدلال على أن الإسلام ينبذ التفاخر بالنسب والتعصب للقبيلة والعشيرة ليكون الحسم للعمل واتباع الكتاب والسنة.. وحيث أن تاريخ هذه الأمة زاخر بالعبر والعظات التي تذرف لها الدموع حتى أننا نحتاج لمجلدات لسردها، فسنختار إحداها للفائدة، فقد حكى الأصمعي وقال بينما أنا في الحرم أطوف بالبيت الحرام، إذ رأيت شاباً متعلقاً بأستار الكعبة يدعو ربه متضرعاً متوسلاً إليه وهو يقول:

يا من يجيب دعى المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حي ويا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزيناً هائماً قلقاً
فارحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفه
فمن يجود على العاصين بالكرم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثم بكى وقال:

ألا يا أيها المقصود في كل وجهة
شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي
فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح كثيرة
وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقتي بالنار يا غاية المنى
فأين رجائي ثم أين مخافتي

ثم سقط مغشياً عليه فدنوت منه فإذا هو زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين. فرفعت رأسه في حجري وبكيت فسقطت دمعة على وجهه فانتبه، وقال: من الذي هجم علينا بدمعه؟، قلت خادمك الأصمعي يا سيدي، ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة، ألم يقل الله فيكم { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}. قال هيهات .. هيهات يا أصمعي، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حراً قريشياً. أما سمعت قول الله تعالى { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣)} .. ثم أما سمعت قول رسول الله ρ لابنته فاطمة رضي الله عنها **(يا فاطمة اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً)**... وهذا ابنه باقر العلم وإمام زمانه الإمام محمد

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباقر عليه الرضوان والسلام يقول بحق صحابة رسول الله ρ ومنهما الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: (ما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما ويقتدي بهما رضي الله عنهما), ويقول في موضع آخر: (من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل سنة جدنا رسول الله).. ويقول أيضاً : (من أساء الظن بهما وبغيرهما من صحابة رسول الله فقد هلك!!).. ثم يأتي حفيده صاحب المذهب المعروف بمذهب أهل البيت الإمام الصادق عليه الرضوان والسلام، فيقول مفتخراً بانتسابه لجده من أمه سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه (أولدني أبا بكر مرتين)، ويقصد نسبه إليه من أمه وجدته رضي الله تعالى عنهم أجمعين... هكذا الإسلام وأهله لا تعصب لنسب أو فئة، بل هو العمل لمرضاة الله ومنها حسن الظن بالأخوة والعمل مجتمعين كالبنيان المرصوص بما يريد الله تعالى ويرضى

وإذن كلما طبقت الأمة قوانينها الخاصة استحقت التكريم بها، أما إذا أبو ذلك فسيخرجون من القانون الخاص لأمة الإسلام ويعودون للقانون العام لبقية الأمم والذي ذكرناه في البداية ألا وهو تصارع الأقوام فيما بينهم وتسليط القوي مادياً وإن كان كافراً على الضعيف وإن كان مسلماً. وهذا ما نلاحظه في تسليط الله تعالى لأمم كافرة على المسلمين في حقب ضعفهم وابتعادهم عن منهج الله تعالى وعدم تطبيقهم لأوامره ومنها الاتحاد والوحدة، لأن الإسلام بني على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة: كما جاء في آية الاعتصام في آل عمران:١٠٣..{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}، (الأنعام:١٥٩) .. { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، (الأنفال:٤٦).

استشهادات أخرى.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

نجد في تاريخنا الإسلامي على اختلاف حقبه ما يطبق معادلة وقوانين الاستثناء الخاصة هذه، وكيف أن الأمة عندما تطبق الشرع تتحول جنود العذاب من ريح وبحار ودواب معها بدل أن تكون عليها، ولعل أهم حادثة هي واقعة الأحزاب التي خص ّ الله تعالى ذكرها بسورة كاملة، وكيف أن الرياح التي هي من جنود العذاب قد تحولت إلى جنب الجيش الإسلامي، هذا فضلاً عن الملائكة والجنود المخفية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً}، (الأحزاب:٩).

والقصص العجيبة من هذا القبيل والتي تتحدث عن حصول أمور تعتبر غريبة على المنطق العادي تملأ مجلدات التاريخ الإسلامي والفتوحات الإسلامية، بل أن الحسابات العسكرية والفنية التقليدية تتغير تماماً، فيصبح العدد القليل والعدة الضعيفة تغلب العدد الكثير والعدة المتطورة وفق قانون قرآني مهم واستراتيجي آخر { ...كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}، (البقرة: من الآية٢٤٩).. { قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} ، (آل عمران:١٣).

وفي التاريخ الحديث نلاحظ كيف أن الأفغان إبّان الاحتلال السوفياتي كانوا على قلب رجل واحد وكانوا مطبقين للشرع تطبيقاً كاملاً حتى سموا بصحابة العصر فنصروا دين الله بتطبيقه ولم يركنوا للدنيا فأعزهم الله بنصره على أكبر جيوش الأرض، حتى أن أحد الجنرالات الروس ألف كتاباً يشرح فيه أعاجيب ما رأى من الأمور الغريبة التي حصلت أثناء المعارك ومنها مساعدة الجو والرياح للجنود الأفغان على قواته، بل وأن الأمريكان أنفسهم أعدوا فلماً وثائقياً خاصاً بذلك أسموه (هنا تسقط الأرقام) بينوا فيه ما كان من بعض أعاجيب قتال الأفغان في تلك الفترة. ومن هنا كان أغلب المحللين الرياديين - أي الستراتيجيين من الريادة واستشراف

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المستقبل - سواء كانوا من السياسيين أو العسكريين أو الاقتصاديين يعزون سقوط الدولة السوفياتية لاحقاً إلى عدة أسباب من أهمها الفشل العسكري للجيش الأحمر على يد هؤلاء الناس البسطاء من الأفغان(*).

بينما في منظر آخر وعلى نفس الساحة الجغرافية، وعندما تفرق الأخوة الأفغان على أمور منها دنيوية تمكن منهم أعداءهم من الأمريكان كما حصل لاحقاً... ولكن قد يقول البعض أن هذه مبالغات وخلط أوراق واجتزاء ليس في محله، فنقول وبالله التوفيق:

إن موضوع نقل صورة ما حدث من نصر عظيم للمسلمين على الروس وتأثير ذلك على مصير دولة السوفيات حق لا ينكره أحد من المتابعين سواء أكان محللاً عسكرياً أو سياسياً ومن أي خلفية فكرية أتى، كما وأن بطولاتهم اعترف بها حتى الأمريكان والروس أنفسهم وكما ذكرنا. أما موضوع المبالغات فليس هناك من أمر دنيوي يعتمد في أغلب أحداثه على نقل سمعي أو بصري دون توثيق مكتوب أو مصور على الأقل إلا واعتراه مدخل من المبالغات، فهذا يعتمد على حالة البشر النفسية وأمانتهم في النقل وهو الأمر الذي يكون في الغالب حاملاً لصفة دخول الهوى والتمنيات بنسبة مئوية معينة مع النسبة الأكبر لواقع الحدث. لكن الأعمال بنتائجها، فالنتيجة هي كما علمتم.

وأما القول بأن هذا الانتصار هو بسبب مادي دنيوي جاء جراء دعم أمريكا فقط فقول مردود لا يقبله عقل ولا يتحمله منطق، إذ لو كان الأمر كذلك فكيف نفسر فشل الأمريكان بكل ثقلهم المباشر في فيتنام

(*) رغم أن هناك كما يذكر المحللون مساعدات جاءت للمجاهدين من الولايات المتحدة لخوفها من التغلغل الشيوعي في مناطق النفط والثروات، وكذلك بعض ما حدث من خلافات ونزاعات بين بعض فئات المجاهدين، إلا أن كل ذلك لا يمنع من الوصف الحقيقي لهم بالشكل الذي نقل من واقع ما حصل فعلاً على الأرض، فتداخل المصالح بين عدوين تجاه عدو آخر لا يمنع من إعطاء حق الوصف لكل طرف بما يستحق.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكوريا وغيرها، هذا وهم طرف مباشر، فكيف وهم خارج الحَلبَة ويقومون بالدعم من بعيد وعن طريق أطراف أخرى في مقابل جيش عرمرم له من الأمكانات والدعم اللوجيستي والسوقي ما لا يخفى على أحد؟!.

وأما تحول المجاهدين من صانعي هذا الانتصار فيما بعد إلى فعل أخطاء ناتجة عن سوء تقدير أو فهم ناقص للشرع الحنيف فهذا أمر آخر له أسبابه وتحليله الموضوعي.

على أساس التحليل السابق مع المثال لحالة الأفغان، فإن الفتن والابتلاءات كما قرر القرآن الكريم لا تنزل بالناس على أساس العقيدة حسب بل أنها تنزل بمجموعة من البشر منهم الصالح ومنهم الطالح، فتكون ممحصة للصالح ومعاقبة للطالح، وهو قوله تعالى مخاطباً الصحابة ومن خلالهم للأمة بأجمعها: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}، (الأنفال: ٢٥)...

~~~~~~~

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com
~~~~~~~

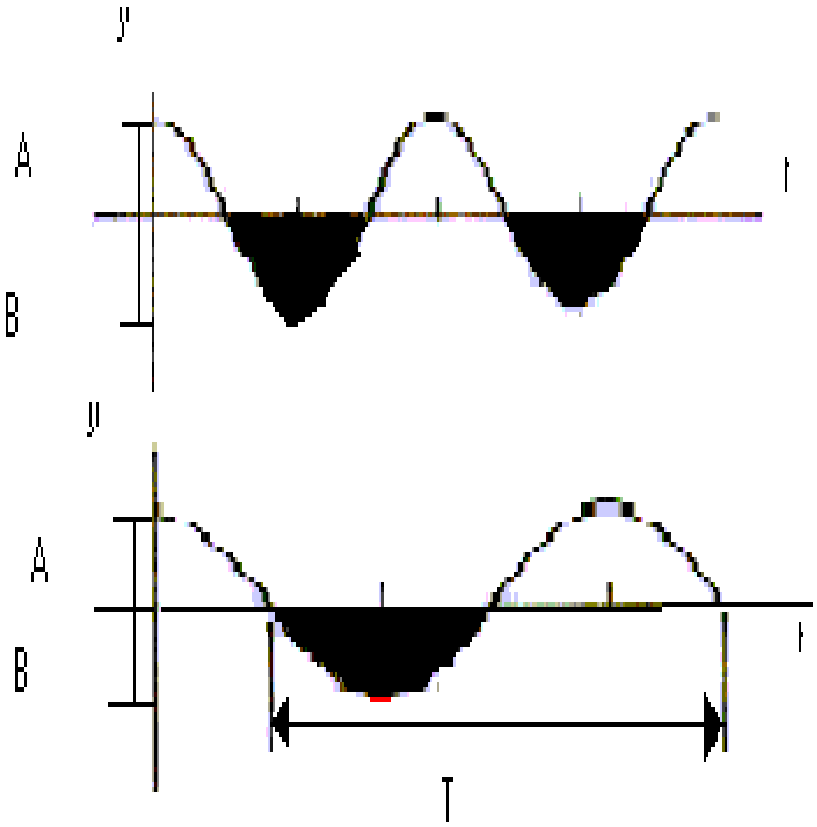

y= صعود الحضارة ونموها أو نزولها وتدهورها

A=قمة ازدهار الحضارة B=قمة تدهور الحضارة وانحطاطها

t= الزمن T=الفترة الزمنية لعودة الازدهار

الصعود والنزول من سمات الحضارة الإسلامية تحديداً

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

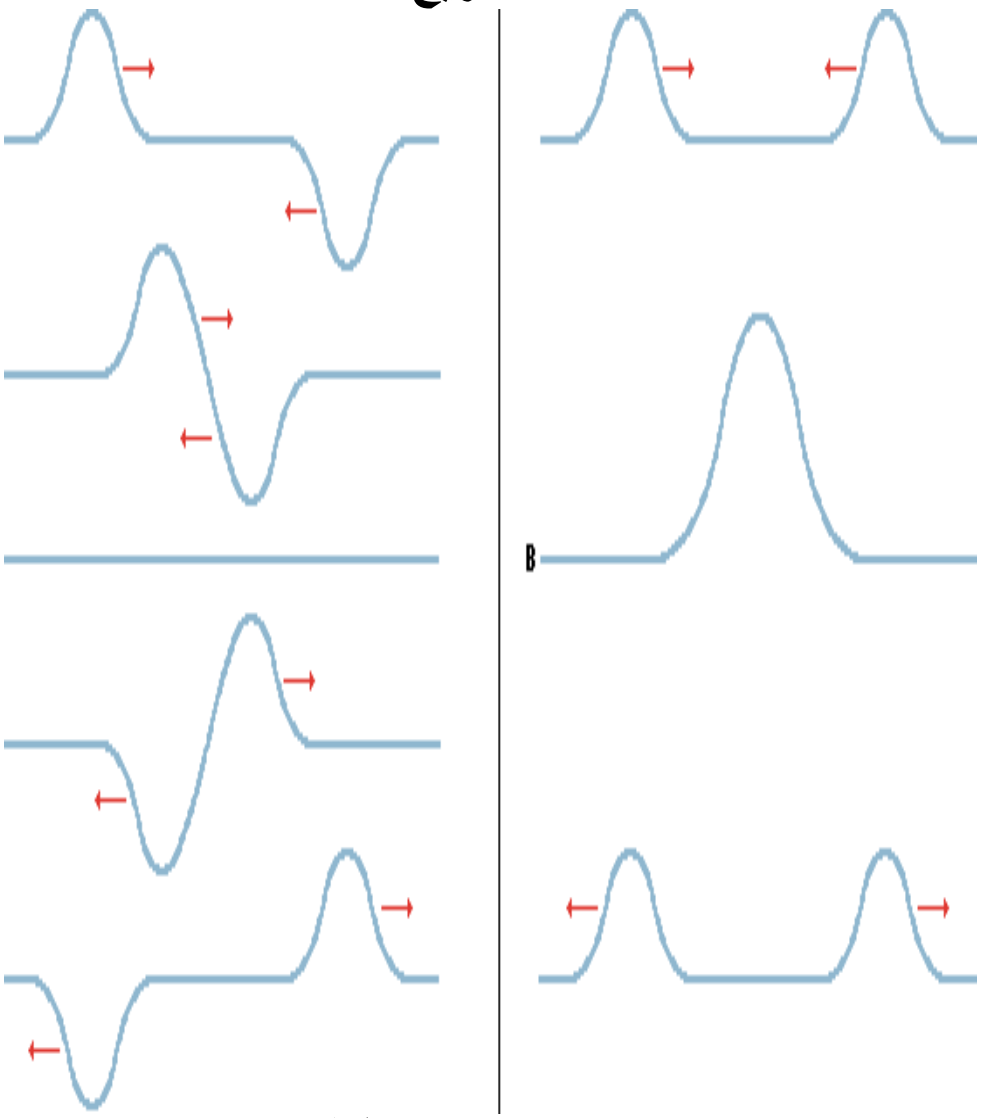

قد يكون الصعود والنزول غير منتظماً فيعتمد على عدة عوامل

(لاحظ تشابه مخطط الصعود والنزول بحالة موجات المياه

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وعلى هذا الأساس لم يكن خوف رسول الله ρ على أمته في أمور الصلاة والعبادات بل كان خوفه ρ عليهم من التنافس على الدنيا والحرص على العروش والكراسي والمال دون الحرص على التفاني في سبيل العقيدة، ففي الحديث الذي رواه أغلب أهل السنن ومنهم الشيخان عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ:(**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**) قَالَ فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ρ.. وفي حديث آخر أخرجه البخاري ومسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ρ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ فَوَافَتْهُ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ρ فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ρ حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ:(**أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ**)، قَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:(**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ**).

وكان من خطبته ρ يوم النحر في حجة الوداع كما جاء عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρ يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ لِلنَّاسِ:(**أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بِلَادِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا وَلَكِنْ سَتَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَسَيَرْضَى بِهِ) [1].

على أنه ρ بشرنا بأن الله تعالى يقيض لهذه الأمة على رأس كل مئة عام من يصلح لها أمر دينها، ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه (٣٧٤٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَا أَعْلَمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ρ قَالَ :(**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**). والتجديد هنا يعني إعادته إلى سابق عهده، ناصع، متألق، خال من كل بدعة ضالة فاسدة، فكان أول مجدد سيدنا عمر بن عبد العزيز τ، ثم استمر المجددون كما ذكرنا في حالة أبو حامد الغزالي وعبد القادر الكيلاني وابن تيمية والعز بن عبد السلام رضي الله عنهم أجمعين.

إن رسم الدالة الرياضية للتاريخ الإسلامي وما بها من صعود ونزول يحدثنا عن حقيقة مهمة مفادها أن الإسلام كلما تعرض لنكسة تعصف به في مرحلة ما, أدى ذلك إلى زيادة صلابته وقوته فيعود إلى مسرح الأحداث أكثر قوة ومنعة في المرحلة اللاحقة, وهذا لعمري ما يحدث اليوم بالضبط, فهذه العاصفة ستنتهي بانتصار الإسلام في نهاية المطاف كما انتصر عقب هجمات الروم والمغول والتتار والحملات الصليبية والغزوات الاستعمارية وغيرها, لأن ذلك هو وعد الله الذي لا يخلف إذا ما التزمنا بشروط ومقومات العودة لشرع الله تعالى.

وقد يسأل سائل لماذا هذا الاستثناء؟، الجواب يكمن في فلسفة نشر عقيدة التوحيد بين الناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور. فكما أن الأب ينصح ولده وفق خبرته في الحياة كي لا ينزلق الولد إلى مهاوي الشر والرذيلة حتى قد يصل به الأمر إلى القطيعة الاقتصادية تأديباً له أو حتى العقوبة الجسدية لمنعه من الوقوع في التهلكة، كذلك المسلم فهو لا يجاهد بماله وعقله وعلمه وفكره ونفسه لدنيا وإنما ليدخل عدوه الجنة، بينما تجد جميع الحضارات الأخرى همها

(١)أخرجه الترمذي في الفتن ٢٠٨٥، وابن ماجه في المناسك ٣٠٤٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المصالح الدنيوية، ولك أن تقدر أخي الكريم الفرق الشاسع بين الفريقين.. {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}، (آل عمران:١١٠).

ولأن هذه الأمة بهذه المواصفات وهذه المسؤوليات فإن الله تعالى قد منّ عليها بكل هذه الأفضال والمنن، ومن ذلك أنه قد ألف بين قلوب أهلها بهذا القرآن العظيم، {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، (لأنفال:٦٣).

كما منّ على أولها بإزالة الأحقاد فيما بينهم بعد أن قضوا عشرات السنوات من الضغائن والأحقاد والحروب، {.. وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}، (آل عمران:من الآية ١٠٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثالث

قوانين البناء الإنسانى والدعوة للخير

وما ينتج عنها

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثالث

قوانين البناء الإنساني والدعوة للخير وما ينتج عنها

ذكرنا في الباب الأول بعض خصائص الحضارة الإسلامية، وبينا أنها حضارة تعتمد الموضوعية والمنطقية في كل جوانبها، بل أنها حضارة استوعبت كل الأمم على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم، ولعل من الضروري التطرق إلى أهم القوانين القرآنية في البناء الحضاري للبشر في مجتمعاتهم وتنظيم علاقاتهم الداخلية والخارجية، ولا يعني هذا أن ما سنبينه من قوانين بنائية تعني أن الكتاب العزيز لم يتطرق لغيرها في تفاصيل الحياة وما يهم الناس في دنياهم وآخرتهم، بل أن الحق هو أن هذا الكتاب لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وبينها للناس حسب أهميتها بالنسبة لهم، لكننا سنختار ما هو أهم في حياة ومصائر الأمم والشعوب والأفراد. كما سنتطرق أيضاً إلى قوانين القرآن الكريم في ما ينتج من ابتلاءات ومحن تعصف بأهل الخير والبناء من قبل أهل الشر والدمار من شياطين الإنس والجن لغرض ثنيهم عن محاولات الخير والبناء، ومنعهم من نشر الفضيلة والعدل في أرجاء الأرض بما يرضي الله تعالى ويحقق العدالة بين الناس منطلقين من مصالح ومنافع خاصة وأحقاد وأمراض وعقد اجتماعية تدفعهم لفعل كل قبيح .

أ- قوانين البناء الإنساني والدعوة للخير

لأن الدعوة إلى الله تعالى خالق الأكوان وما فيها هو أسمى وأعظم الأمور في حياة الناس لأنه طريق كل خير ونمو وعدالة واستقرار واطمئنان، فقد كلن ذلك من أهم ما وصى بها الله تعالى الناس عن طريق الأنبياء لأن الناس قد ينسون ربهم في خضم هموم الحياة، أو قد تأخذهم الدنيا وشهواتها عن ذلك، أو قد يشركون بالله في النية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والعمل حتى وإن آمنوا عقيدة وكما ذكرنا آنفاً { وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)}، (يوسف).

إلا أن الدعوة للخير دائماً ما تواجه بمقت وكراهية شرائح كثيرة، لأن الناس أكثرهم للحق والخير والعدل كارهون، والله تعالى يريد الخير للناس ولكن الناس يظلمون أنفسهم باتباعهم مناهج تتقاطع مع منهج الله الذي خلق الناس وأراد لهم الخير { ..أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }، (البقرة: من الآية٢٢١)...{ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً }، (النساء:٢٧).

هذا الفصل يبين قوانين القرآن الكريم في كيفية تكوين الأمم الصالحة بقيام مجموعة منها بالدعوة للخير، كما ويبين ما ينتج عن ذلك من مؤامرات وفتن تلحق بمن يريد الصلاح والإصلاح.

١- قانون الدعوة بالحكمة

لقد جعل الله تعالى لكل مجموعة بشرية تدعو لإقامة أمة الخير ومجتمع الفضيلة طريقاً لتعليم البشرية وهدايتها إلى أقوم السبل لتحقيق العدالة والمساواة وخيري الدنيا والآخرة، وهو طريق التفاهم مع كل البشر حتى وإن كان من الكفار بأسلوب العقل والحكمة والحجة والدليل، ومن الطبيعي أن يكون على رأس هذه المجاميع الداعية للخير هذه الأمة، أمة الإسلام لأنها التي حملت كل تعاليم الخير والعلم والخلق والعدل والفضيلة والحرية والحكمة ممثلة بالذكر الحكيم وسنة الهادي البشير صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين.

فهذا نبي الله موسى وأخاه هارون عليهما السلام يؤمران من ربهما بالذهاب إلى شر خلق الله الذي ادعى الألوهية فرعون ونقاشه أولاً

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بالحكمة والدليل والوعظ والإرشاد لعله يتذكر أو يخشى {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) }، (طه). وقصة الأسلوب العقلي الذي استخدمه سيدنا إبراهيم عليه السلام مع القرى ذات العقائد الفاسدة في عبادة الأفلاك والتي مر بها خلال رحلته من العراق إلى الشام معروفة.

نفس هذا الأسلوب في التعامل أمر الله تعالى به نبيه الكريم سيدنا محمد ρ مع من يجهل الأمر من أهل الشرك فما بالك بمن هم مسلمين حتى وإن كانوا بالاسم فقط { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ }، (التوبة:٦). لذلك كان من دعاءه ρ رغم كل ما عاناه من أذى وتعذيب له من قبل قومه **(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)**، والذي على إثره أعطاه الله تعالى تلك المنزلة التي لم تعط لأحد من قبله ولا من بعده وهو أعلى ما يوصف به إنسان أنه على خلق عظيم { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }، (القلم:٤).

فالأصل إذن هو استخدام الحجة والنقاش الهادئ لكل مكابر ومعاند وتعليم الجاهل وإرشاد وتذكير الغافل، الأمر الذي ثبته القانون القرآني الواضح الآتي سواء على مستوى الفرد أو الأمة:

{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }، (النحل:١٢٥).. {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، (العنكبوت:٤٦).. فإن تكبروا وازداد عنادهم لأسباب ثبتها القرآن الكريم منها {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ، (البقرة : ١٠٩).. { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }، (النمل:١٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فإن الرد هو : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }، (التوبة:١٢٩)... { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)} ، (الكافرون).

صحيح أن هذا الأمر قد نسخ بأمر الجهاد، ولكن المتدبر لفلسفة الجهاد يجدها تمر بثلاث خيارات قبل القتال، وهي الدخول في الدين اختياراً، فأن أبو فالجزية وهي ضريبة مادية قليلة جداً أمام ما تقدمه الدولة الإسلامية من خدمات لأهل الذمة من رعيتها، فإن أبو فالقتال.. كما وأن المنسوخ من القرآن له مرحلته الزمنية وأسبابه الواقعية والظرفية التي يمر بها ويتطلب تطبيقها مما يعني فهم هذه الظرفية والمرحلية من تطور الأمة.

والمتأمل لآيات الله تعالى يجد أن في القصص القرآني ما يبين أن الدعوة إلى الله تعالى يعمل بها حتى وإن استيأس الداعي ممن يدعوهم ولكنه يعمل بمقتضى إسقاط الفرض، فيقول تعالى حاكياً عن هذا المعنى { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}، (الأعراف:١٦٤)، فالسبب للدعوة هنا رغم اليأس من القوم هو لإسقاط الحجة عنتهم أمام ربهم مع بصيص أمل بإمكانية النجاح.

ولعل من أهم أساليب الدعوة هي كما علمنا القرآن الكريم:

١- النية والرغبة بالإصلاح في المجتمع.
٢- الاستطاعة والإمكانية والعمل بالأسباب.
٣- الأهم هو أن العمل بهذا المجال هو من توفيق الله أولاً وأخيراً.

وهذا هو معنى قوله تعالى { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}، (هود:٨٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد ذكر الأستاذ الفاضل والداعية الكبير الأستاذ محمد أحمد الراشد ذلك في محاضرة مختصرة أسماها ثلاثيات في فقه الدعوة – عناوين التعارف الواعي- نوجزها بما يلي:

١- ثلاثية الإيمان:النية الصالحة- كل توفيق وخير من الله تعالى- التفويض لله تعالى بكل النتائج.
٢- الثلاثية الإيجابية: الإحساس بالمسؤولية- العمل بالأسباب- تراكم الخبرة والبناء على ما سلف.
٣- ثلاثية المغايرة والتمايز.
٤- ثلاثية الإتقان.
٥- الاقتداء بالمنهجية الشرعية وأصحابها من السلف الصالح.
٦- ثلاثية التربية.
٧- ثلاثية التزكية ولغة القلوب.
٨- ثلاثية التخصص والتعمق.

وغير ذلك من تفاصيل مهمة للدعاة بإمكان القارئ الكريم العودة لها.. وإذا كان من نصيحة للدعاة الشباب فإننا ننصح بقراءة كتب مهمة في ذلك منها (أصول الدعوة) للأستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان، (منهجية التربية الدعوية) للأستاذ محمد أحمد الراشد، (أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية) للدكتور زياد العاني، وغيرها من كتب منهجة الدعوة.

٢- قانون التغيير والنقد الذاتي

لقد سنّ الله قانوناً مهماً للفرد والمجتمع والأمم على اختلاف انتماءاتها، ولكنه تعالى حثّ هذه الأمة على تطبيقه والمداومة عليه، هذا القانون هو قانون النقد الذاتي للنفس كلما أخطأت لغرض تعديل مسارها وتقويم وإصلاح حالها، فأمر الناس أن يغيروا ما بأنفسهم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويزيلوا كل ما علق بهم من عادات سيئة ورثوها من مجتمعاتهم التي أخذتها بدورها بطرق مختلفة تعتمد على عوامل بيئية واجتماعية واقتصادية وسياسية وأخلاقية وغيرها.

يقول الله تعالى تعبيراً عن هذا القانون الحيوي {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}، (الرعد:١١). فجعل الله تعالى خيار التغيير والإصلاح مرهوناً بالإرادة البشرية قبل إرادته هو، وفي هذا تكريم للبشر من جهة، وامتحان ومسؤولية من جهة أخرى. ومعلوم أن العودة للنفس سواء على مستوى الفرد أو الجماعة لنقد ذاتها وتقويم مسارها يعتبر من أهم خطوات تجاوز بحار الفشل والمعوقات والعقبات إلى شواطئ النجاح والفوز والتقدم والسؤدد، وكما أثبتت كل تجارب الشعوب والأمم سابقها ولاحقها.

وقد جعل الله تعالى لهذه الأمة امتياز العودة لجادة الصواب والحق بالاستغفار والإنابة إليه سبحانه، فيقول تعالى في هذا المجال {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، (آل عمران:١٣٥).. كما وجعل الله تعالى من خصائص أهل الإيمان والتقوى وسماتهم أنهم إذا نسوا أو قصروا تبعاً لجبلتهم البشرية ثم ذُكّروا ونُصحوا تذكروا وانتصحوا، يقول تعالى { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}، (الأعراف: ٢٠١).. {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ}، (الزمر:١٨)، وآيات أخرى كثيرة.. وفي الدعاء المأثور عن النبي ρ (**اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا**).

أرأيت إلى أوامر الشرع في الاستغفار، وتواتر الأحاديث عن النبي ρ أنه أمر الناس بالاستغفار وكان هو نفسه ρ يستغفر الله في اليوم سبعين مرة وفي حديث مائة مرة، أكان يحتاج ρ إلى ذلك وهو

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

صاحب أطهر قلب وأنقى سريرة وأعظم خلق؟، أم هو إبلاغ للناس على أهمية الاستغفار في جلب مرضاة الله تعالى والتجاوز عن ما سبق من جهة، وكذلك فإن الاستغفار يعتبر أسلوب عملي لتعويد وتدريب الأنفس على العودة عن غيها واجتثاث أمراضها من جهة أخرى. فعملية الاستغفار وميكانيكيتها خصوصاً في جوف الليل وحصول السكون والتركيز الذهني الذي يصاحبه، وكما كان الرسل الكرام عليهم السلام يفعلون كما جاء على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام عندما أراد الاستغفار لبنيه عن فعلتهم مع أخيهم يوسف عليه السلام، فاستغفر لهم عند السحر كما ذكر أغلب المفسرين، بل وصرّح القرآن الكريم بذلك بقوله تعالى محدثاً عن صفات المؤمنين {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}، (آل عمران:١٧)، {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}، (الذريات:١٨).

وبذلك يكون الإسلام العظيم قد ثبّت مفهوم النقد الذاتي ومن بعده البدء بالتغيير نحو الأفضل في كل جوانب الحياة سواء على مستوى الأخلاق التي هي عماد المجتمعات، أم على مستوى التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي وغيره، وبشقي المسألة الفردية الجماعية، وهذا القانون القرآني جاء قبل كل الدساتير والقوانين الوضعية في مشارق الأرض ومغاربها.

سنفصل أكثر في كيفية استفادة الأمة من هذا القانون في الباب الثالث عند حديثنا عن الإصلاح وسبل الحل.

٣- قانون التناصح والتشاور

تطرقنا في الباب الأول عند حديثنا عن خصائص الحضارة الإسلامية إلى أهمية هذا الموضوع بالذات في بناء الفرد والمجتمع على أسس قويمة سليمة. ولعل من الإنصاف أن نعطي حصة إضافية للقانون القرآني في بناء الفرد والمجتمع على أسس منطقية موضوعية تحاورية مبينة على قبول الآخر، ومن نافلة القول أن نقول أن لهذا القانون علاقة وطيدة بالقانون الأول الذي بدأنا به هذا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل وهو قانون الحكمة والدعوة إلى الله تعالى بالأسلوب الفكري التحاوري.

يعلمنا رسول الله ρ رغم ما أوتي من علم لا يدانيه فيه أحد لأنه من لدن حكيم عليم أن التشاور في الأمر مهما صغر أو عظم هو من أهم أساليب نيل النجاحات في الدنيا والآخرة، فكان كلما ألم به خطب يقول لأصحابه (**أشيروا علي أيها الناس**)، وقد قيل (ما خاب من استخار وما ندم من استشار). كما ويأمرنا الشرع الحنيف بالتناصح والنصيحة فيما بيننا لتقويم سلوكنا وأفعالنا، فالدين النصيحة والمسلم مرآة أخيه كما يعلمنا المصطفىρ .

موضوع التناصح والتشاور هذا جعله الإسلام الحنيف في كل شؤون الحياة بدءاً من الأسرة وانتهاء بالحكم والسياسة، وفي هذا يطول بنا المقال والمقام إذا أردنا التفصيل لأن كتب الفقه الإسلامي عامرة بذلك وهو ما لا يغيب عن كل متتبع. بل وإنك لتجد في تاريخ الحضارة الإسلامية ما يبعث على العجب في كيفية تبادل الآراء والتناصح والتشاور رغم ما دب في جسد الأمة من خلاف واختلاف.

يقول الله تعالى في قانون التشاور والشورى { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}، (آل عمران:١٥٩).. { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، (الشورى:٣٨). وتجد في السيرة العطرة للنبي ρ وللخلفاء الراشدين أحداث تدل على أهمية المسألة في كل شؤون الحياة، وما حصل للأمة من نزول بعد عهد الراشدين إلا جراء تخليها عن مبدأ الشورى في الحكم إلى الاستبداد والاستئثار.

لقد سبقت الأمة في تطبيقها للشورى واحترام الآراء في مجال الحكم خصوصاً كل ما يطرح اليوم من الديمقراطية أو ما يعرف بحكم الشعب وكما أوضحنا في الباب الأول، على أن رأي الشعب في الإسلام يتصدى له علية القوم وخيرتهم من العلماء والمفكرين وأهل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التقوى والصلاح لا عامة الناس عالمهم وجاهلهم، إذ من المعروف أن غالبية العامة لا تكون مستوى ثقافتهم وعلمهم علة درجة تؤهلهم لاختيار الأصلح والأنسب للمجتمع والأمة، بينما تتوفر هذه الصفة في نخبة المجتمع من أهل الرأي والفكر والسداد والحل والعقد، ولكم أن تتخيلوا حال المجتمعات إذا وسّد الأمر لغير أهله من جهال القوم ورعاعهم.

ولعل روعة الإسلام في قبول الرأي الآخر والفكر المضاد بل وحتى الجهال والسفهاء تتجلى بأبهى صورها في عدة آيات مباركات نذكر منها قوله تعالى { وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، (الأنعام:١٠٨).. نزلت هذه الآية كما قال عبد الرزاق: (أنبأنا معمر عن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله، فأنزل الله: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله}، الآية). أي أن الإسلام لا يقبل بأن تكون أساليب الطرح حتى وإن حملت الحق كله مبنية على فكرة الإقصاء والتنكيل والاستهزاء والتكفير للمقابل حتى وإن حمل الشر والباطل كله، لأن ذلك ببساطة يتنافى مع الرقي المطلوب للشخصية المسلمة.

يقول تعالى {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، (الأعراف:١٩٩). يذكر أن سيدنا عمر بن الخطاب ذلك العملاق الوقّاف عند كتاب الله تعالى غضب مرة على أحد الناس من الجهال في أمور الدين فأمر بدرعه ليضربه، وكان رجل من الصحابة قريباً لهذا الرجل موجوداً في المجلس، فذكر هذه الآية المباركة لأمير المؤمنين بعدما رأى أن الغضب لدين الله أخذ منه كل مأخذ، وقال له بعدها (يا أمير المؤمنين و هذا منهم - أي من الجاهلين-)، فتذكر سيدنا عمر واغرورقت عيناه وعفا عن الرجل.

كما وإن من صفات المسلمين أنهم لا يلتفتون للسفهاء والجهلاء وأهل اللغو والترهات: { وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}، (المؤمنون:٣).. {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً}، (الفرقان:٦٣).

صورة أخرى زاهية من صور القبول بالآخر بل والإحسان إليه إن كان من أهل الرحم يعطينا إياها القرآن العظيم وسنة رسوله الكريم ρ . فكما سبق وأن ذكرنا في الباب الأول أن منزلة الوالدين في الإسلام عظيمة إلى حد كبير بحيث جعل برهما ملتصقاً بالإيمان بالله تعالى ومن أسباب دخول الجنة وعقوقهما من الموبقات المقتضية والمحتمة لغضب الله تعالى ودخول النار والعياذ بالله. وكما هو معلوم أن أصل العقيدة في كل الأديان وآخرها الإسلام هو الإيمان بالله تعالى رباً وإلهاً لا شريك له ولا ولد، وجعل مجرد الكلام بذلك تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً، وأن الله تعالى جعل ظلم الشرك به سبحانه أعظم الظلم الذي لا يغفر إلا بالعودة عنه { إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}، (النساء:٤٨)، وأن من يقول ويعتقد بوجود مثل هذا الكلام –أي بالإشراك- فقد ارتد وأوجب إقامة الحد عليه إن لم يعد عن غيّه. ولكن اسمع إلى الأسلوب القرآني في القبول بالآخر رغم أنه قد وصل إلى النقيض الكامل للشريعة والعقيدة بل وإلى الحد الذي يجعله يكون على القمة المتطرفة المعاكسة لأصل الوجود الذي بينه الإسلام. يقول الله تعالى آمراً المسلم ببر وحسن معاملة ومصاحبة والديه وإن كانا مشركين، بل وإن كانا مجبرين له أن يشرك بالله وهو أعظم الظلم، {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، (لقمان: ١٥)، أي لا تطعهما في قبول الدعوة للشرك ولكن برهما وصاحبهما وجالسهما وادع لهما واصبر عليهما وحاورهما بالمعروف حتى يأذن الله لهما بالخير والصلاح، وما ذلك إلا لمنزلتهما وفضلهما من جهة، ولعدالة الإسلام وصبره على الناس في الدعوة لهما بالخير والصلاح والعودة إلى الله من جهة أخرى.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والإسلام بقبوله بحمايته أهل الذمة في بلاده رغم ما يحملون من عقائد منافية للتوحيد الذي هو أصل الشرع والتشريع ليضرب المثل الأعلى في تقبله للآخر والسماح له بتطبيق مناسكه وأفكاره رغم الاختلاف البين مع ما جاءت به فطرة الله وصبغته.. فأي ديمقراطية وضعية أو شمولية فكرية أحكم وأعمق وأعدل وأرحم من شمولية الإسلام وقبوله للآخر كما بينت هذه الآيات الكريمات وغيرها من الأحكام والسلوك الذي أمر به الشرع الحنيف.

ب- القوانين القرآنية في ما ينتج عن النوع الأول

أما ما ينتج عن الإصلاح والبناء والدعوة للخير من عقبات وابتلاءات لأهل الخير والإصلاح فنجد أن القرآن الكريم قد جعل ذلك في القوانين التالية:

١ - قانون الابتلاء للأمة

ينتج عن النوع الأول من القوانين – قوانين الخير والبناء والإصلاح والدعوة- أن الأمة التي تدعو إلى الصلاح والعدل وقيم الخير تكون معرضة لابتلاءات شتى، فهذا هو طريق الأنبياء والمرسلين والمصلحين والدعاة من قبل ومن بعد... وحيث أن الأمة الإسلامية مأمورة بذلك فمن الطبيعي أن تمر بهذه السنّة وهذا القانون، ولن تجد لسنّة الله في خلقه تبديلاً ولا تحويلاً.

كما وأن قانون الله في هذه الأمة هو الابتلاء في الدنيا ليكون الجزاء الجنة وهي سلعة غالية كما وصفها المصطفى ρ في الحديث الذي انفرد به الترمذي في سننه في وصف القيامة وقال عنه حديث حسن غريب عن أبي هريرة τ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ : (**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ**)، وهذا الوصف في التمحيص والاختبار المستمرين تجده في قوله تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}، (البقرة :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢١٤).. وكذلك ما جاء في سورة التوبة {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، (التوبة:١١١).. وكذلك قوله تعالى في سورة محمد { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُم ْ}، (محمد:٣١)، وما جاء في سورة الصف {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)}، (الصف)..

فكان هذا العهد والقانون بمثابة صفقة تجارية بين الله وعباده الصالحين ويالها من صفقة لا يفهمها إلا عباد الله الصادقين الذين بهم بني مجد هذه الأمة لأنها ليست صفقة أموال وكراسي ولكنها صفقة سمو عن كل ما هو دنيوي، وكأن المسألة باختصار هي (أسموا أيها المسلمون عن الدنيا وبهرجها وابنوا نفسكم روحياً وعلمياً وخلقياً كي تملكوا الدنيا وتفوزوا برضا الله تعالى والآخرة).

كذلك الابتلاء بكل أنواعه في الدين والجسد والمال والولد والوطن إنما هو من التمحيص الذي يشبه تمحيص الذهب والفضة لجعلها أكثر إشراقاً {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}، (البقرة:١٥٥)... { وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ}، (آل عمران:١٤١)... {... وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، (آل عمران: من الآية١٥٤)... { أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)} ، (العنكبوت).

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود في الجنائز (٢٦٨٨) عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ قَالَتْ عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ρ وَأَنَا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مَرِيضَةٌ فَقَالَ : (**أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ خَطَايَاهُ كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**)، ولعل من الذنوب ما لا يكفرها إلا السعي على الرزق وهم العيال.. فإذا أحب الله عبداً ابتلاه بحسب دينه وإيمانه، يقول النَّبِيِّ ρ: (**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**).. (**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى**).. (**إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ الْعَبْدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُكَفِّرُهَا مِنَ الْعَمَلِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْحُزْنِ لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُ**).. وعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ الْمَوْتُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ρ فَقَالَ رَجُلٌ هَنِيئًا لَهُ مَاتَ وَلَمْ يُبْتَلَ بِمَرَضٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**وَيْحَكَ وَمَا يُدْرِيكَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ ابْتَلَاهُ بِمَرَضٍ يُكَفِّرُ بِهِ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ**)[1].

وقد تصل حالات الابتلاء بالمؤمنين إلى حد اليأس والإحباط عندما تعيا السبل المادية البحتة بهم فيلجئوا إلى ربهم بالدعاء كي ينقذهم مما هم فيه، فعندئذ - وعندئذ فقط- يأتيهم النصر خارج حدود وسياقات النواميس والقوانين المعتادة لدى البشر وهو ما يحدثنا به القرآن الكريم في قصة سيدنا موسى عليه السلام وقومه عندما أحاط بهم جيش فرعون: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)}، (الشعراء).

هذا القانون تعبر عنه الآية الكريمة:{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ

---

(١) الأحاديث عن: الترمذي (الزهد ٢٣٢٠)، أحمد (باقي مسند الأنصار ٢٢٥٢٥). أبى داود (الجنائز ٢٦٨٦).. أحمد (باقي مسند الأنصار ٢٤٠٧٧).. موطأ مالك (الجامع ١٤٧٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}، (يوسف:١١٠)، ولنلاحظ الفعل استيأس كيف بني أو صرّف بزيادة في المبنى لإفهام المتلقي عن المعنى الكبير والواسع والمبالغ فيه في حالة اليأس، فلم يقل يأس بل قال استيأس، وذلك تعبيراً عن المبالغة في اليأس والإحباط لما يلقوه من أذى، مع الانتباه أنه ليس قنوط أو جزع لأن الرسل الكرام أكبر من أن يكون ذلك منهم، ولكنه القرآن الكريم وبلاغته التي تجعلك تعيش مع الحدث..وكذا ما جاء في الآية السابقة من سورة البقرة (٢١٤): { ...حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} .

وقد جُعِلَ هذا القانون العام في الابتلاء بشتى صوره أصلاً لهذا الوجود، فإنك لا تجد كائناً حياً إلا وقد ابتلي برزق أو نفس أو هم أو صحة أو أمر آخر من صنوف الابتلاء، وجعل الله تعالى السلاح المقاوم لقانون الابتلاء هذا قانون الصبر الذي خص به المؤمنون من عباده، إذ لا يستطيع تحمل مشاق الابتلاء وفهم فلسفته وضروریاته وما يقابله من صبر وتحمل إلا من عمُرَ قلبه بالإيمان، وهم خاصة الله وأحباؤه أهل القرآن والإيمان { وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}، (فصلت:٣٥).وهذا المفهوم للابتلاء نجده في ما جاء في الآية ١٥٥ من سورة البقرة والتي ذكرناها آنفاً { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}، (البقرة:١٥٥).

وإن مما ذكرناه آنفاً من الابتلاء هو تضارب وتصارع المصالح والأفكار أو ما يعرف بقانون التدافع بين الأمم، والذي جعل امتحاناً للمؤمنين ولصبرهم وتحملهم مشاق الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن قوانين الدعوة والخير التي نبينها في هذا الفصل، فكان أمر الله تعالى بأن ابتلاء التدافع هذا هو مما يؤهل المؤمن ويمحصه لدخول رضوان الله تعالى والجنة:{... ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥)وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)}، (محمد).

وإن من الابتلاءات ما ذكرناه في الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام مسلم والذي ذكرناه فيما يتعلق بالاستثناءات الخاصة بالأمة وطلب المصطفى أن لا يعذب الله الأمة بالعذابات العامة ولا يسلط عليها عدواً من خارجها ولا يجعل بأسها بينها، فأعطاه اثنتان ومنع الثالثة، فكان من قضاءه المحتوم أن بأس هذه الأمة سيكون فيما بينها.

٢- قانون المؤامرة

هناك قانون قرآني آخر يعضد قانون الابتلاء هو قانون المؤامرة التي بدأت وستبقى مستمرة على الإسلام وأهله منذ البعثة الشريفة وحتى قيام الساعة، فقد قرر القرآن الكريم أن هناك ابتلاء سيدوم مع عمر هذه الأمة وهو ما ستعانيه من أهل الكتاب خصوصاً من اليهود، وهذا موضح في الآيات المباركات:

١. {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، (البقرة:١٠٩).

٢. {وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}، (آل عمران:٦٩).

٣. {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}، (البقرة:١٢٠).. وقد نزلت كما أخرج الثعلبي عن ابن عباس قال: «إن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ρ إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا أن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يوافقهم على دينهم فأنزل الله {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى} الآية».

٤. {..وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، (البقرة: من الآية٢١٧).

٥. { لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، (آل عمران:١٨٦)... أسباب نزول الآية : روى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، بسند حسن عن ابن عباس: «أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وفنحاص من قوله: {إن الله فقير ونحن أغنياء} .. وذكر عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: «أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ρ وأصحابه من الشعر».

٦. { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}، (الأنفال:٣٦).. أسباب نزول الآية: قال ابن إسحاق حدثني الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد قالوا: لما أصيبت قريش يوم بدر ورجعوا إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أبي أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم، فكلموا أبا سفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا أن ندرك منه ثأرا، ففعلوا، ففيهم، كما ذكر عن ابن عباس ـ أنزل الله: {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم}

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إلى قوله: {يحشرون}.. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن عتبة قال: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين أربعين أوقية من ذهب... وأخرج ابن جرير عن ابن أبزى، وسعيد بن جبير قالا: نزلت في أبي سفيان استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله ρ... ولكن تأمل أخي الكريم دقة الوصف مع البشارة في هذه الآية الكريمة وكما سنفصل لاحقاً.

على أن المتأمل في ما ذكره القرآن الكريم من آيات تتعلق بمؤامرات أهل الكتاب ليجد أنها تنطبق على المتطرفين والمغالين من أصحاب الأغراض السيئة والقلوب القاسية من أهل الكتاب سواء أكانوا أهل فكر أو مصلحة أو سياسة، وليس على أصحاب الفكر الوسيط المعقول من العقلاء والموضوعيين وخصوصاً بعض فئات النصارى والذين امتدحهم القرآن الكريم:

١. {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}، (آل عمران:١١٣)... وقد نزلت هذه الآية كما أخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن منده في الصحابة، عن ابن عباس قال: "لما أسلم: عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك: {ليسوا سواء من أهل الكتاب} الآية»... وأخرج أحمد والنسائي وغيره عن ابن مسعود قال: «أخر رسول الله ρ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، وأنزلت هذه الآية: {ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة} حتى بلغ: {والله عليم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بالمتقين}"[1].

٢. {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }، آل عمران: ١٩٩)... وقد نزلت هذه الآية كما أخرج النسائي والبزار، قالوا: عن أنس، قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ρ: **(صلوا عليه)**، قالوا يا رسول الله نصلي على عبد حبشي؟، فأنزل الله تعال الآية.. وعن جابر، قال: قال لنا رسول الله ρ حين مات النجاشي: (**إن أخاً لكم قد مات)**، فخرج رسول الله ρ فصلى عليه كما يصلي على الجنائز فكبر أربعاً، فقال المنافقون: يصلي على علج مات بأرض الحبشة؟، فأنزل الله تعالى الآية –رواه ابن جرير-.. وقد ثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نعاه النبي ρ إلى أصحابه وقال (**إن أخاً لكم بأرض الحبشة قد مات، فصلوا عليه)**، فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه[2].

٣. {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ(٨٣) }، (المائدة).. وقد نزلت هذه الآية كما أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، قالوا: بعث رسول الله ρ عمرو بن أمية الضمري، وكتب معه كتابا إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله ρ ثم دعا جعفر بن أبي طالب

---

(١) الموسوعة الميسرة في علوم القرآن، قرص مدمج.
(١) روائع البيان لمعان القرآن مع أسباب النزول، ص ٨٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والمهاجرين معه، وأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين، ثم أمر جعفر بن أبي طالب فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، فهم الذين أنزل الله فيهم: {ولتجدن أقربهم مودة} إلى قوله: {فاكتبنا مع الشاهدين} .... وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: بعث النجاشي ثلاثين رجلا من خيار أصحابه إلى رسول الله ρ، فقرأ عليهم سورة يس فبكوا، فنزلت فيهم الآية... وأخرج النسائي عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: {وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع}.. وروى الطبراني عن ابن عباس نحوه أبسط منه[1].

معلوم أن القاعدة التفسيرية الذهبية التي تحكم علم أسباب النزول تذكر أن المعنى لعموم اللفظ لا لخصوص السبب. وفي ذلك يقول الزركشي رحمه الله تعالى في كتابه (البرهان في علوم القرآن) ما نصه:(وقد يكون السبب خاصاً والصيغة عامة، لينبه على أن العبرة بعموم اللفظ)، وقال الزمخشري في نفس سورة الهمزة (يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه، فإن ذلك أزجر له، وأنكى فيه).. فالتخصيص هنا لطائفة من أهل الكتاب من اليهود كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم، أو من النصارى كالنجاشي وأصحابه لا يمنع مِن أن مِن أهل الكتاب في كل زمان ومكان مَن يستحق هذا الثناء القرآني على أن تنطبق عليه شروط الآيات الكريمات كالتصديق بما جاء به الإسلام من كتاب وسنة عقيدة و شريعة، أو بنزول الدمع والبكاء إذا ما سمعوا القرآن، فتلك هي القاعدة التي من اجلها نزلت الآيات الكريمات.

---

(١) الموسوعة الميسرة في علوم القرآن، قرص مدمج.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لذلك تجد في كل الأزمنة والأمكنة وحتى في وقتنا الراهن هذا أن أهل الكتاب يختلفون في نضرتهم للإسلام والمسلمين، فمنهم من يصدق، ومنهم من تفيض أعينهم من الدمع، ومنهم من يوقنون ولكنهم يتكبرون {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ..}، (النمل: من الآية١٤)، ومنهم من يحسدنا على عظمة هذا الدين {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، (البقرة:١٠٩)، ومنهم من لا يقبل الظلم على المسلمين منطلقاً من نواحي إنسانية أو موضوعية أو لرقة في قلبه، ومنهم من يعادي ويظلم ويتمنى القضاء على الإسلام وأهله، ومنهم، ومنهم، وهكذا... فيجب التفرقة بين كل هؤلاء وإعطاء كل ذي حق حقه لأنهم كما وصفهم كتاب الله تعالى ليسوا سواء.

ومن هنا كانت جميع الفتن على هذه الأمة بعد انتهاء ما كان يجمعها من دولة بنهاية الدولة العثمانية كانت نتيجة لهذا القانون المستمر، وكل ما ابتلينا به من حكام هو بالواقع لمنع استلام المسلمين الصادقين السلطة لأنهم يعلمون إذا ما استلم المسلمون زمام الحكم أقاموا دولة الإسلام فتعاد عندئذ تجربة صلاح الدين وكل الأبطال والمحررين والمصلحين، وهذا ما لا يريدونه... ومن واقعنا الراهن المؤلم تطل تجربة العراق المريرة مع زمرة الجهال والمتاجرين بشعارات الأمة الذين حكموه طيلة أربعة عقود، فرغم ما كان يدعيه النظام العبثي السابق من شعارات المعاداة للصهيونية ومشروعها، نراه قد طبق الأوامر والتعليمات الصهيونية الأساسية الثلاث التي تنص على ما يلي: (إذا أردت أن تحتل بلداً فانشر فيه الفساد)، (إذا أردت أن تدمر جيشاً فسلمه بيد المدنيين)، (إذا أردت أن تدمر أمة فسلمها بيد جهالها)، فكانت النتيجة ما علمتم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نظرية المؤامرة إذن هي نظرية مطبقة ومشخصة بشكل جلي على

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أرض واقعنا الإسلامي المرير، ولكنها تأخذ أشكالاً وأحجاماً مختلفة هنا أو هناك، أو قد تشترك مع معطيات وظروف أخرى في تشكيل الحدث كتقصيرنا نحن المسلمون. وإني لأعجب لقول بعض المثقفين العرب والمسلمين ومنهم من يُصنَّف على التيار الإسلامي، عندما يذكرون أن الرأي بنظرية المؤامرة مجرد وهم أو أنه ليس شرط الحدوث أو التطبيق، وكأنني بهم كذلك المخلوق الذي يضع رأسه في الرمل ظاناً أن العدو لن يراه، لأنه ببساطة لا يرى شيئاً. فنظرية المؤامرة هذه كما يطلقون عليها هي في الواقع تشخيص وقانون قرآني لا يبدل ولا يحرف ولن تجدي محاولاتهم في التغطية والتعمية والتورية. كما وأن أحداث التاريخ تثبت لكل من بقي له ذرة من شك هذا القانون على أرض الواقع، فضلاً عن أن أمراض النفس الخبيثة في الحسد والتنافس غير الشريف وتمني زوال النعمة عن الآخرين بل وتمني إقصاء الآخر حقيقة مشخصة في أغلب المجتمعات والأشخاص إلا ما رحم ربي، فهل لكم أيها المتفيقهون من باقية؟..

٣- قانون الفتن المتلاحقة

يثبّت لنا الإسلام بشقيه القرآن والسنة حقيقة مفادها أن الفتن بهذه الأمة ستستمر بأشكال وأنواع مختلفة على هذه الأمة حتى نهاية العالم وقيام الساعة... وقبيل قيام الساعة ستكون هناك فتن وعلامات تحصل أنبأ بها القرآن الكريم وسنة المصطفىρ، ومن خصائصها المميزة لها أنها مستمرة دون انقطاع ولن تنتهي إلا بقيام الساعة.

وإن من العلامات الدالة على الفتن التي ستلحق بالأمة في آخر الزمان كما أنبأنا المصطفى ρ عنها ما سنذكره في هذا المبحث، على أن أهم علامة من علامات الساعة هو بعثته ρ وهو ما نص عليه القرآن الكريم: { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ }, (محمد : ١٨).. { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢)فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣)

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

}, (النازعات), أي لماذا يسألونك عن الساعة فأنت من أكبر علاماتها, وهو معنى قول رسول الله ρ في الحديث الذي أخرجه البخاري, في تفسير القرآن (رقم ٤٨٨٩) قال:عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ρ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ **(بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ كَهَاتَيْنِ وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى)**..

هذه العلامات التي تسبق قيام الساعة تقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- **العلامات الصغرى:** وهي مما ألفه الناس ولكنه يكثر بشكل عجيب, كقبض العلم وكثرة الجهل بالدين وازدياد الزنى والمعازف والخمور والظلم والهرج –أي القتل- والخسف وغيرها مما سنستعرض لاحقاً.

٢- **العلامات الأرضية الكبرى:** وهي مما لم يألفه الناس, كظهور الدجال ونزول سيدنا عيسى υ والمهدي υ وظهور يأجوج ومأجوج والدابة التي تكلم الناس وغير ذلك.

٣- **العلامات الكونية الكبرى:** كشروق الشمس من مغربها, والزلازل والرج وغيرها.

وفي كل هذه الحالات على المسلم أن لا يستلم للإحباط واليأس, فيكون مصلحاً, هادياً, نافعاً, له موقف واضح، فلا يكون جاهلاً بحجة قبض العلم, ولا زانياً أو سامعاً لمعازف بحجة كثرتها قرب الساعة, وقس على ذلك جنبك الله الشبهة.. وعموماً إليك بعض الأحاديث الشريفة التي جاءت في هذا الموضوع الهام والتي تعد من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به النبي ρ ... ففي العلامات الصغرى وردت أحاديث كثيرة منها الصحيح ومنها الحسن, إليك بعضها:

١. أخرج الإمام أحمد في مسنده حديثاً عن النبي ρ (باقي مسند الأنصار ٢١١٣٩) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ρ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قَالَ : **(لَيُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ)**.

٢. عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه الرضوان والسلام قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ:(**إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا الْبَلَاءُ)**, فَقِيلَ وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ :**(إِذَا كَانَ الْمَغْنَمُ دُوَلًا وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَا أَبَاهُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ وَلُبِسَ الْحَرِيرُ وَاتُّخِذَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفًا وَمَسْخًا)**,(الترمذي/الفتن- حديث برقم٢١٣٦- وقال حديث غريب).. وكل هذه الأمور حصلت وتحصل أمامنا اليوم.

٣. وكما أنبأنا الصادق الأمين ρ في معرض حديثه عن آخر الزمان وعلامات يوم القيامة، **فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ قَالَ هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ** [١].. وفي سنن سنن الترمذي (الفتن ٢١٢٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ρ قَالَ : **(تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنٌ**

(١) أبو داود (الملاحم والفتن٣٧٠٤)، مسند أحمد (مسند المكثرين ٥٨٩٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا).. وفي مسند أحمد (المكثرين٨٧١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ : (**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ الْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ أَوْ قَالَ عَلَى الشَّوْكِ) ..** وفي مسند أحمد (المكيين ١٥٤٢٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ρ قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ρ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ: (**إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ فَانْطَلِقْ مَعِي فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللَّهُ مِنْهُ أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى)** ، قَالَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ **: (يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةِ)**، قَالَ قُلْتُ بِأَبِي وَأُمِّي فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ قَالَ **: (لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةَ)**، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَبُدِئَ رَسُولُ اللَّهِ ρ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَضَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ.

٤. حديث الـ (خمس بخمس) الذي ذكرناه في الباب الأول في موضوع الذوق والسلوك الإسلامي الراقي.

٥. أخرج الترمذي في باب الزهد (٢٢٢٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ:(**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)**، قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٦. أخرج ابن ماجه في الفتن (٣٩٦٩) عن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**يَكُونُ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**)، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ، (**هُمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**)، قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ، قَالَ (**فَالْزَمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ كَذَلِكَ**).

٧. هناك علامات صغرى لقرب الساعة التي تكثر عندها الفتن المتلاحقة ومنها ما مختصره أن أجزاء الأرض ستتقارب.. أن الإبل لن تستخدم للسفر وسيركب الناس على مياثر ينزلون بها على أبواب المساجد.. الحركة التجارية ستتسع ويزيد دخل الفرد.. سيكثر شرب الخمر.. سيكثر الزنا حتى أنه ليرى الفاعلون على قارعة الطريق فيقول أكثر الناس أدباً لو واريتها وراء هذا الحائط.. أن الناس سيأكلون الربا ويصيبهم من غباره, فمن لم يأكله فقد أصابه من رشاشه.. سيأتي جيل يحيي بعضه بعضاً بالتلاعن.. سيكون السلام بالمعرفة, أي لا يسلم الإنسان إلا على من يعرف فقط.. سيختلف الأخوة بالدين.. سيكثر القتل ويكثر الموت بالسكتة القلبية.. الناس سيحسنون القول ويسيئون العمل.. أن السيف سيعطل بالجهاد.. أن الفتن ستكثر.. يقدم النساء على الرجال في الخطاب, وهذا ما نسمعه اليوم من مقدمي البرامج بقولهم "سيداتي آنساتي سادتي"، وهذا قد يظنه البعض تحقيراً للمرأة إلا أنه في الواقع قمة التكريم، لأن المرأة كالدرة التي تحفظ من عيون وأياد السراق ومرضى الأنفس..

ولا تزال طائفة من أمة محمد ρ على الحق ظاهرين أجر المتمسك بسنة الرسول ρ كأجر الشهيد عند بدء الفساد وكأجر مئة شهيد عندما يبلغ أقصاه.. اليهود سيقاتلون المسلمين

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وسينصر الله المسلمين عليهم, وأن معارك تدور بين المسلمين واليهود على نهر الأردن والمسلمون شرقه واليهود غربه [١] .

٨. أخيراً وليس آخراً فإن المصطفى ρ قد تنبأ بحصار العراق وأهل الشام، هذا الحصار اللئيم الذي يعيشه أهل فلسطين اليوم، وعاشه أهل العراق منذ عام ١٩٩٠ ميلادي (والله أعلم)... فعن زهير بن حرب وعلي بن حجر (واللفظ لزهير). قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن الجريري، عن أبي نضرة، قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال:(**يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم)**، قلنا: من أين ذاك ؟ قال (**من قبل العجم. يمنعون ذلك)**[٢].. ومعلوم في لغة العرب أن كلمة العَجَم تعني كل جنس غير فصيح، أو خلاف العربي. قال في المعجم الوجيز الأعجم غير الفصيح، والعَجَم خلاف العرب، الواحد: عَجمي، والعُجْمُ خلاف العرب[٣].. بينما الروم يعني أهل الغرب ومن حالفهم.

٩. وهناك أحاديث كثيرة أخرى في الفتن التي ستكون عند آخر الزمان يطول الحديث في تفاصيلها.

العلامات الكبرى وظاهرة الدجال

أما **العلامات الكبرى الأرضية والكونية** فهي عشرة كما أخبر المصطفى ρ، ففي الحديث الذي يروى عن حذيفة قال: اطلع النبي ρ علينا ونحن نتذاكر الساعة قال:(إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات)، فذكر:(**الدخان، الدجال، الدابة، طلوع الشمس من مغربها, نزول عيسى بن مريم ρ، يأجوج ومأجوج، ثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب, وآخر ذلك نار**

---

(١) عن كتاب توحيد الخالق، عبد المجيد الزنداني، ص٢٨١.
(٢) أخرجه مسلم، باب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٧٢٦٠.
(٣) المعجم الوجيز مادة (عَجَم)، صفحة ٤٠٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)[1]. وفي أحاديث أخرى ذكر المهدي, وريح من اليمن, ونار تخرج من عدن. وإليكم بعض الآيات والأحاديث في العلامات الكبرى:

١.قال الله تعالى: { حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ}, (الأنبياء:٩٦-٩٧).

٢.وعن سيدنا عيسى عليه السلام قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}, (الزخرف:٦١), أي يكون نزوله υ علامة لقرب الساعة وهي القيامة. ففي الحديث الذي أخرجه البخاري /أحاديث الأنبياء - ٣١٩٢) قال: عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)** ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا }.

٣.وعن الدابة قال تعالى: { وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ}, (النمل:٨٢).. وهو ما سيكون من الأمر قبل القيامة, فتخرج للناس وهم شرار الخلق, جيل (لكع ابن لكع) كما أخبر المصطفى ρ أي كافر متوالد من جيل كافر, تخبرهم أن الناس أصبحوا كلهم كافرون وأنهم كذبوا بآيات الله فيجب أن

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأبو داود بمسنده.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تقوم عليهم القيامة, وهي من العلامات الكبرى.

٤. وعن الدخان يقول الله تعالى في سورة الدخان: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (الدخان:١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (الدخان:١٢) }, (الدخان).. وقد حصل في عصر البعثة الشريفة عذاب لأهل مكة بالدخان, فطلبوا أن يكشف عنهم هذا العذاب, ولما كشف عنهم عادوا لكفرهم فحصل كما أخبر القرآن الكريم {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) } ,(الدخان:١٥).

٥. أما عن المهدي فقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الموضوع، كما فصل أهل العلم فيه. فإن المهدي من أهل بيت النبي ρ ومن ذرية سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما. اسمه هو نفس اسم النبي ρ واسم أبيه إذن هو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني.. يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تاريخه في الفتن والملاحم: والدليل على هذا قوله ρ (**يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً)**، رواه الحاكم ووافقه الذهبي... وعن الإمام علي كرم الله وجهه قال : قال النبي ρ (**المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة)**، رواه الإمام أحمد وابن ماجه وإسناده صحيح.. وروي عن أم سلمة زوج النبي ρ قالت: سمعت رسول الله ρ يقول (**المهدي من عترتي من ولد فاطمة)**، رواه أبو داود وابن ماجه.. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ (**لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي)**، رواه أحمد في مسنده.. كما وذكر أبو داود في كتاب المهدي(٣٧٣٣) عَنْ عَاصِمٍ عَنْ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ (**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ثُمَّ اتَّفَقُوا حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي**)، زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ (**يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**)، وَقَالَ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ (**لَا تَذْهَبُ أَوْ لَا تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي**). وذكر أبو داود في سننه في كتاب المهدي (٣٧٣٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ أَقْنَى الْأَنْفِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ**).

كما جاء ذكره تلميحاً في عدة أحاديث كما جاء في صحيح البخاري (أحاديث الأنبياء ٣١٩٣) عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**)،تَابَعَهُ عُقَيْلٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ، وذكره مسلم في كتاب الإيمان.. كما وجاء في صحيح مسلم (كتاب الإيمان ٢٢٥) عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ρ يَقُولُ (**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلِّ اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**). فأميرهم هذا هو المهدي رضي الله عنه، وتواضع سيدنا عيسى عليه السلام للمهدي دليل على مكانته الكبيرة من جهة، ودليل لمكانة هذه الأمة وأئمتها عند الله تعالى من جهة أخرى..

وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن الرسول ρ بذكر المهدي، وأنه من أهل البيت الكرام عليهم الرضوان والسلام، وأنه يبقى في الأرض سبع سنين يملؤها عدلاً بعد جور ونوراً

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بعد ظلام، وأن سيدنا عيسى يساعده في قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي سيدنا عيسى عليه السلام خلفه. جاءت هذه الأخبار من كبار علماء الأمة كالعلامة محمد السفاريني، والإمام الشوكاني، في كتابه (التواضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح).

وأما ما اعترض من قبل بعض العلماء على ذلك محتجين بحديث النبي ρ الذي أخرجه ابن ماجه في الفتن (٤٠٢٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ:(**لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**).. فإن شيخ الإسلام ابن تيميه قد أجابهم بأن هذا الحديث ضعيف، وهو حديث منكر ومردود عند أغلب المحدثين كما ذكر الذهبي، إذ قال الأزدي منكر الحديث، وذكر الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال) هذا الحديث خبر منكر أخرجه بن ماجه. أما الإمام القرطبي فقد بين الأمر بقوله: يحتمل أن يكون قوله ρ في هذا الحديث أن لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى عليه السلام، وبهذا يزول التعارض وتجمع الأحاديث[١].

٦. أما عن الدجال فهناك أحاديث كثيرة, فتذكر لنا الأحاديث الصحيحة أن الدجال سيظهر في اليهود وأن عيسى υ سينزل في المسلمين وسيقتل المسيح الحق سيدنا عيسى υ المسيح الدجال. فقد روى البخاري في الجهاد والسير حديثاً برقم ٢٨٢٩ يقول فيه: قَالَ ابْنُ عُمَرَ ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ρ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: (**إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ تَعْلَمُونَ**

(١) هذه التفاصيل جاءت لمقالة في مجلة إقرأ (العدد الأول)، ص ٢١-٢٢، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ). وفي أحاديث الأنبياء ذكر البخاري –حديث رقم ٣٠٩٠- قال: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ **(أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ)**... وفي حديث برقم ٣١٨٤ في باب أحاديث الأنبياء قال: حَدَّثَنَا مُوسَى عَنْ نَافِعٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَكَرَ النَّبِيُّ ρ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ:(**إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ رَجِلُ الشَّعَرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطَطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ)**... وفي كتاب التوحيد ذكر البخاري حديث برقم ٦٨٥٩ قال: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهم عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ:(**مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ**).

وفي كتاب الفتن وأشراط الساعة ذكر الإمام مسلم في صحيحه (٥٢١٥) قال: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ρ فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الْحُلُمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ρ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رَسُولُ اللَّهِ ρ لِابْنِ صَيَّادٍ:**(أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ")**, فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ρ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ ρ وَقَالَ : **(آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ)**, ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ρ:**(مَاذَا تَرَى)**, قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ρ :**(خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ)**, ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ρ: **(إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا)**, فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ الدُّخُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ρ :**(اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ)**, فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ρ:**(إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ)**, وَقَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ρ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى النَّخْلِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ حَتَّى إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ρ النَّخْلَ طَفِقَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَهُوَ يَخْتِلُ أَنْ يَسْمَعَ مِن ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْنُ صَيَّادٍ فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ρ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشٍ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا زَمْزَمَةٌ فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللَّهِ ρ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ يَا صَافِ وَهُوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّادٍ هَذَا مُحَمَّدٌ فَثَارَ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: **(لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ)**, قَالَ سَالِمٌ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ρ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ :**(إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ تَعْلَمُوا أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ)**, قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ρ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ يَوْمَ حَذَّرَ النَّاسَ الدَّجَّالَ : **(إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَقَالَ تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ)**.

وروى الترمذي في سننه حديث برقم ٢١٦٦ قال: عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ρ لِدَجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ قَالَ فَانْصَرَفْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ρ ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَيْهِ فَعَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ **(مَا شَأْنُكُمْ)**, قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ قَالَ : **(غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ لِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ شَبِيهٌ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ رَآهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ قَالَ يَخْرُجُ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَشِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ اثْبُتُوا)**, قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ: (**أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**), قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ الْيَوْمَ الَّذِي كَالسَّنَةِ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قَالَ: **(لَا وَلَكِنِ اقْدُرُوا لَهُ)**, قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا سُرْعَتُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ :**(كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيُكَذِّبُونَهُ وَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَتَتْبَعُهُ أَمْوَالُهُمْ وَيُصْبِحُونَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ وَيُصَدِّقُونَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ كَأَطْوَلِ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَمَدِّهِ خَوَاصِرَ وَأَدَرِّهِ ضُرُوعًا قَالَ ثُمَّ يَأْتِي الْخَرِبَةَ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَيَنْصَرِفُ**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مِنْهَا فَيَتْبَعُهُ كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا شَابًّا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هَبَطَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام بِشَرْقِيِّ دِمَشْقَ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَّانٌ كَاللُّؤْلُؤِ قَالَ وَلَا يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ يَعْنِي أَحَدًا إِلَّا مَاتَ وَرِيحُ نَفْسِهِ مُنْتَهَى بَصَرِهِ قَالَ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلَهُ قَالَ فَيَلْبَثُ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ ثُمَّ يُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ حَوِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ فَإِنِّي قَدْ أَنْزَلْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ قَالَ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ (مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) قَالَ فَيَمُرُّ أَوَّلُهُمْ بِبُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ فَيَشْرَبُ مَا فِيهَا ثُمَّ يَمُرُّ بِهَا آخِرُهُمْ فَيَقُولُ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ بَيْتِ مَقْدِسٍ فَيَقُولُونَ لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مُحْمَرًّا دَمًا وَيُحَاصَرُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ يَوْمَئِذٍ خَيْرًا لِأَحَدِهِمْ مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ قَالَ فَيَرْغَبُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِلَى اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ قَالَ فَيُرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى مَوْتَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ قَالَ وَيَهْبِطُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَلَا يَجِدُ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا وَقَدْ مَلَأَتْهُ زَهَمَتُهُمْ وَنَتَنُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ قَالَ فَيَرْغَبُ عِيسَى إِلَى اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ قَالَ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ قَالَ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ بِالْمَهْبِلِ وَيَسْتَوْقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّهِمْ وَنُشَّابِهِمْ وَجِعَابِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ قَالَ وَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَطَرًا لَا يُكَنُّ مِنْهُ بَيْتُ وَبَرٍ وَلَا مَدَرٍ قَالَ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ فَيَتْرُكُهَا كَالزَّلَفَةِ قَالَ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَخْرِجِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا وَيُبَارَكُ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فِي الرِّسْلِ حَتَّى إِنَّ الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ لَيَكْتَفُونَ بِاللِّقْحَةِ مِنَ الْإِبِلِ وَإِنَّ الْقَبِيلَةَ لَيَكْتَفُونَ بِاللِّقْحَةِ مِنَ الْبَقَرِ وَإِنَّ الْفَخِذَ لَيَكْتَفُونَ بِاللِّقْحَةِ مِنَ الْغَنَمِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا فَقَبَضَتْ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى سَائِرُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ كَمَا تَتَهَارَجُ الْحُمُرُ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ), قَالَ أبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

كما وأخرج الترمذي في الفتن (٢١٧٩) عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ρ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَضَحِكَ فَقَالَ:(**إِنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ حَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ فَفَرِحْتُ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ رَكِبُوا سَفِينَةً فِي الْبَحْرِ فَجَالَتْ بِهِمْ حَتَّى قَذَفَتْهُمْ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ فَإِذَا هُمْ بِدَابَّةٍ لَبَّاسَةٍ نَاشِرَةٍ شَعْرَهَا فَقَالُوا مَا أَنْتِ قَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ قَالُوا فَأَخْبِرِينَا قَالَتْ لَا أُخْبِرُكُمْ وَلَا أَسْتَخْبِرُكُمْ وَلَكِنِ ائْتُوا أَقْصَى الْقَرْيَةِ فَإِنَّ ثَمَّ مَنْ يُخْبِرُكُمْ وَيَسْتَخْبِرُكُمْ فَأَتَيْنَا أَقْصَى الْقَرْيَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُوثَقٌ بِسِلْسِلَةٍ فَقَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ قُلْنَا مَلْأَى تَدْفُقُ قَالَ أَخْبِرُونِي عَنِ الْبُحَيْرَةِ قُلْنَا مَلْأَى تَدْفُقُ قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ الَّذِي بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ هَلْ أَطْعَمَ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ أَخْبِرُونِي عَنِ النَّبِيِّ هَلْ بُعِثَ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ أَخْبِرُونِي كَيْفَ النَّاسُ إِلَيْهِ قُلْنَا سِرَاعٌ قَالَ فَنَزَّى نَزْوَةً حَتَّى كَادَ قُلْنَا فَمَا أَنْتَ قَالَ أَنَا الدَّجَّالُ وَإِنَّهُ يَدْخُلُ الْأَمْصَارَ كُلَّهَا إِلَّا طَيْبَةَ وَطَيْبَةُ الْمَدِينَةُ)**، قَالَ أبو عِيسَى وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ .

نريد أن نتوقف مع ظاهرة الدجال، تلك التي كتب عنها الكثير وقيل فيها الكثير. هناك من العلماء من قال بأن الدجال ليس شخصاً، بل هو ظاهرة مستندين إلى المجاز في الحديث كما حال المجاز في القرآن. ولكن الغالبية العظمى ذكرت أنه شخص لأن الأحاديث الصحيحة التي ذكرناها آنفاً تثبت ذلك، والحقيقة دائماً مقدمة على

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المجاز... فنظرة إلى الولايات المتحدة التي ترعى قتل المسلمين في كل مكان وتعادي الإسلام جهاراً نجد أنها جزيرة، والأعور يسكن جزيرة كما في الأحاديث. وهي تنظر للدنيا نظرة مادية بحتة دون الجانب الروحي، فهي لا ترى إلا جانب واحد من الحقيقة أي أنها عورة العين مجازاً. وواضح لكل مؤمن أنها تكفر بالله لأنها تحادّ نبيه والذين يأمرون بالقسط من الناس، والأحاديث تذكر أن الدجال مكتوب على جبينه كافر يقرأه كل مؤمن... وهكذا فإننا نستطيع أن نتلمس بعض من حال الدجال وظلمه خصوصاً أن النبي ρ ذكر أنه يسبق الدجال ثلاثون دجالاً صغيراً كما بينت الأحاديث التي ذكرها أهل السنن.

وعلى كل حال سواء أكانت ظاهرة أم شخصية فإن وصية المصطفى ρ لنا هي **(ألا يا عباد الله فاثبتوا)**... فالفكرة هو الابتلاء، ومن لم يثبت في فتن زمننا التي قد تبدو صغيرة أمام فتنة الدجال أو قد تكون مقدمة لها، فأنّى له الثبات مع تلك الفتن التي استعاذ منها كل نبي ورسول.

صحيح أن بعض الأحاديث المذكورة في موضوع تواتر الفتن والعلامات الصغرى لا يصل إلى درجة الصحيح، إلا أن أغلبها حسن أو صحيح لذاته أو غيره ومنها ما يصل إلى المتواتر، وصحيح أن بعضها يعطي معنى عاماً لا يحدد زمناً معينً كما يقول بعض أهل الحديث، إلا أن حصولها بنفس دقة الوصف مع الأخذ بنظر الاعتبار الجمع وليس الإفراد مع استمرارها دون توقف وانقطاع يدل على أن وقت حصولها قد يكون زماننا هذا والله أعلم.

أما وقد حصلت كل تلك الفتن التي حدث عنها الصادق الأمينρ في العلامات الصغرى، فإن كل ما يحصل في الأرض وعلى كافة الأصعدة لهو تحقيق لوعد الله وقرب الساعة. إذ تحققت علاماتها الصغرى وها نحن على أعتاب علاماتها الكبرى، فكل ما أمامنا من مظاهر وفساد واقتتال وانكباب على الدنيا والهوى والشهوات وترك الدين وتحلل المجتمعات وكثرة الزلازل والبراكين والحروب

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وانفلات الشباب والنساء بدون واعز خلقي بهذا الشكل المخجل وتحول الحق إلى باطل والباطل حقاً لهو بالضبط ما وصف في ظاهرة (الأعور الدجال) الذي استعاذ منه كل الأنبياء وخاتمهم ρ عدا أن شخص الدجال لم يظهر بعد، ولعل ذلك هو بداية ظهوره لتتبعه بقية العلامات الكبرى الأخرى خصوصاً أن من أمارات ظهوره علو اليهود وكثرة الظلم في الأرض والذي سنفرد له فصل قادم، والله أعلم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الرابع

قوانين الأمم والتاريخ (سنة الله فى الأرض)

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الرابع
قوانين الأمم والتاريخ
(سنة الله في الأرض)

١ - قانون الروم والفرس

كما سبق وأن أشرنا إلى قصة سورة الروم[١] تبين السبق القرآني في موضوع معركة حدثت بين الفرقتين، وهو قوله تعالى في سورة الروم { الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) }. لكن السنة النبوية ممثلة بالحديث الشريف فصلت ما كان وسيكون من أمرهم. فالروم لا يقتصر معناهم على رومان العصر القديم بل سيمتد تأثيرهم في الأرض وسيكونون مناطحين للمسلمين حتى قيام الساعة، وأما الفرس فسينحسر تأثيرهم ويدخلون الإسلام ويصبحون في صفه. وأما كلمة العجم فهي الأخرى لا تقتصر على الفرس كما يعتقد خطأً عند العامة بل يتعداه لكل ما هو غير عربي، وكما بينا في تعليقنا على معنى العجم في حديث المصطفى ρ حول حصار العراق والشام.

ولو تدبرنا الآية الكريمة نجد أنها تنتهي بقوله جل وعلا { ... لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ...} ، أي أن تقلب أحوال الأمم عند الله تعالى، وليس كما يقيسه البشر قبل وقوع الحدث أو وقته أو خلاله أو بعده. الأمر الذي يؤكد ما سبق وأن أشرناه في كلامنا في فصل الاستثناء العام والخاص.

لقد سنّ لله تعالى للبشرية سنناً ونواميس وقوانين، منها أن قيادة الحضارة والمجتمعات البشرية تكون لأمة أو جماعة تملك من مقومات تشكل القيادة الحضارية كالمقومات المادية أو الروحية أو

---

(١) تجد في الكتاب الأول من سلسلتنا (ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية)، كتاب التاريخ والآثار، ما يفصل لك قصة هذه السورة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الاثنين معاً وكما ذكرنا في البداية. فتشكل تلك الأمة حضارة لتفعل وتسن القوانين التي تكون شخصيتها فإن كانت توافق أوامر الله تعالى في العدالة فإنها ستسمر كما كان من أمر حضارتنا الإسلامية التي دامت لأطول فترة حضارية كونتها أمة في التاريخ، وكان ذلك طوال ١٣٠٠ عام عدا بعض سنوات النزول والتي يتبعها صعود وكما أسلفنا، مصداقاً لقوله تعالى: { قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}, (الأعراف:١٢٩).. { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}, (القصص:٥). أما لو أدارت ظهرها لعدالة الله في خلقه فإنها تستحق العقوبات التي تنزل بها بالأشكال التي بيناها.

أما بقية الأمم الكبيرة في فترة البعثة الشريفة فقد قرر الإسلام زوال إحداها وبقاء الأخرى في صراع مع المسلمين حتى قيام الساعة.

والرسول ρ وجه لذلك حين قرر في أحاديث عديدة إن بلاد الشام ((رباط)) المجاهدين، وأن أهل الشام في جهاد دائم إلى قيام الساعة.

وهذا التوجيه النبوي يمكن ربطه بتوجيه نبوي آخر هو قوله ρ: **((فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا والروم ذات القرون، كلما هلك قرن خلفه قرن أهل صبر، وأهله أهل لآخر الدهر. هم أصحابكم ما دام في العيش خير))**(*).. وفي حديث آخر رواه موسى بن علي عن أبيه قال: ((قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ρ يقول: (**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاس** فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو أَبْصِرْ مَا تَقُولُ قَالَ أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ρ قَالَ لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ

(*) كنز العمال، ج١٢، ص٣٠٣، حديث رقم ٣٥١٢٧، ومصنف ابن أبي شيبة، ج٤، ص٣٠٦، ومسند الحارث، ج٣، ص٧١٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ))(*). والناظر في هذا التوجيه النبوي يلاحظ أمرين: الأول، قوة الارتباط بين موقع بلاد الشام كرباط دائم للمجاهدين إلى يوم القيامة، وبين استمرار المواجهة مع الغرب الذي يشير إليه الحديث بلفظ الروم. فالغرب هو التحدي الأكبر لدار الإسلام، وهو تحد عنيد مستمر كلما هلك جيل من الغرب خلفه جيل آخر ذوي صبر على متطلبات المواجهة وتكاليفها. والأمثلة لهذا العناد والصبر الغربيين أمام المد الإسلامي كثيرة ومتنوعة. ولقد تمثلت مظاهرها في الأندلس وصقلية وشرق أوربا، وفي الكرات والهجمات المتوالية على دار الإسلام عبر ثغور بلاد الشام ومصر والمغرب العربي، وفي معابر البحر الأحمر والمحيط الهندي.

أما الخطر الشرقي الذي كانت تمثله فارس فقد انهار بعد نطحة أو نطحتين: مواجهة في القادسية وأخرى في نهاوند ثم لا فارس بعد وإنما تحولت إلى منعطف جديد استمر إلى أيامنا الحاضرة. والشعوب التي تلي فارس من الصين ومنغوليا وغيرها لم تكن خطراً حقيقياً. والهجمات التي قامت بها جماعات المغول على العالم الإسلامي إنما كانت هجمات بدائية جذبتها روائح الخلافة الميتة والمجتمع الإسلامي الميت فقاموا بدور دابة الأرض التي أكلت منسأة سليمان المتوفي وأسقطت جثته على الأرض. أي أن هذه الدول الشرقية دخلت في الأسلام وتحولت من رقم ضده إلى رقم يقف إلى جانبه... ولكن السؤال الأهم الذي يشمل جميع الأرقام – الدول – عربيها وعجميها والمحسوبة في صف الإسلام الواحد كيف يمكن تحويلها إلى جهة اليمين لتصبح فعالة بدلاً من بقاءها أصفار على اليسار لا قيمة لها.

وثمة أمر آخر يشير إليه التوجيه النبوي وهو إيجابية النظر في

(*) صحيح مسلم، ج١٨، باب الفتن (القاهرة: المطبعة المصرية ومكتبتها، بلا تاريخ)، ص٢٢. مسلم، ج٤، ص٢٢٢٢، مسند أحمد، ج٤، ص٢٣٠، معجم الأوسط ـ الطبراني، ج٨، ص٣٩١ . معجم الكبير ـ الطبراني، ج٢٠، ص٣١٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تحدي الغرب رغم عناده واستمراره. فهم ((لأصحابكم ما دام في العيش خير)). ولعل العيش المقصود هنا أسلوب الحياة في المجتمع الإسلامي. فما دام هذا المجتمع يلتزم منهج الله في العيش وفي توفير أسباب المنعة فسوف يقدر الغربيون الخير في هذا المنهج ويسعون لمصاحبة أهله. أما حين ينتكس هذا المنهج في حياة المسلمين فسوف ينظر الغرب إليهم نظرة استخفاف ويعاملونهم بما يستحقون. وهذا يعني إن حسم المواجهة مع الغرب يجب أن تقوم على ركني الخير في الإستراتيجية الإسلامية. الركن الأول إعداد ما يستطاع من قوة ومن رباط الحاملات العسكرية حتى لا يستسهلوا مهاجمة دار الإسلام والركن الثاني هو حسن عرض الإسلام بالفكر والتطبيق وهو ما يتفق مع مستوى التفكير الغربي. الذي يتمتع بكثير من الخصائص الإيجابية في هذا الميدان.. وسواء كانت الإشارة في القسم الثاني من الحديث الثاني من الرسول ρ أو من عمرو ابن العاص فإنها تشير إلى أمر ثالث وهو أن العقل الإسلامي هنا لا يبحث في الغرب عن السلبيات فحسب وإنما يرى الإيجابيات ويعترف لهم بها: فهم أحلم الناس في مواجهة المشكلات، وأسرعهم نهوضاً بعد النكسات، وأوشكهم كرة بعد هزيمة، وخيرهم في توفير الضمان الاجتماعي للمساكين والأيتام والضعفاء. ويتوج هذه الصفات الأربعة صفة خامسة جميلة وهي تمسكهم بالحرية والديمقراطية ومناعتهم ضد استبداد الملوك والرؤساء. وهذا منهج في النظر إلى الغرب يفيد في أوقات الحرب والسلم سواء. فهو يوجه المسلمين في أوقات الحرب أن يبصروا جانب القوة فيمن يواجهونهم فيتقونه، وأن يبصروا في زمن السلم مزايا الآخرين فلا يغمطونهم حقوقهم ويكسبون مودتهم[1].

في وقتنا الراهن تمكنت الولايات المتحدة والتي تسمي نفسها روما

---

(١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، د. ماجد عرسان الكيلاني، ص٣٠٧-٣٠٩، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الجديدة وتحمل في شعارها نفس النسر التي كانت روما تحمله، وتطلق على منتسبي حكومتها نفس الألقاب التي كانت تطلقها روما على كبار وأمراء دولتها وهو (السيناتور)، بل وحتى مجلس الدولة الكبير (الكونغرس) يحمل من معاني تلك الحضارة الغابرة. نقول تمكنت هذه الدولة الحديثة من تشكيل تلك المقومات لصالحها، ولكنها غير قادرة على الحفاظ على تلك القيادة فتراها صعدت ووصلت للقمة واليوم هي ففي طور النزول كما يحدد ويحذر الكثير من مفكريها ومنظريها.

فعندما أرادت الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر من بناء دولة قوية ليست لها مثيل في بقية الدول، وذلك بعد انتهاء حرب الاستقلال من السيطرة البريطانية وبعدها الحروب الأهلية، بحثت في التاريخ البشري ودرسته جيداً فوجدت أن تاريخ المسلمين ودولتهم العظيمة كانت المثل الذي يحتذى به لبناء دولتهم الحلم، فسنت القوانين التي لا ينفذ منها على غرار ما فعله المسلمون الذين لم يتركوا أمراً في الشريعة والأحكام والمعاملات إلا وأثروا فيه إثراءً عظيماً، فوضعوا لكل شيء قانون سواء أكان ذلك الشيء أمراً من أمور الدين أو الحياة أو علماً من العلوم الوضعية تماماً كما جاء به القرآن والسنة الذي وضع لكل شيء قانون ولكل أمرٍ تصرف.

بل وإنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا حين استقطبوا كل علماء الدنيا ومن كافة الجنسيات ليبنوا بنائهم العلمي ودولتهم المتقدمة علمياً، وهو بالضبط ما نسخوه من المسلمين حينما بنى الخليفة العباسي المأمون دار الحكمة ببغداد واستقطب أكثر من خمسمائة عالم من شتى بقاع الدولة الإسلامية وفي كافة العلوم الطبيعية من فلك وكيمياء وهندسة ورياضية من رياضيات وحساب وجبر وعددية وطب ونبات وحيوان وغيرها، ثم حذا حذوه فيما بعد أمراء آخرون في الأندلس والقاهرة واستنبول.

إلا أن الفرق الجوهري بين الحالتين أن حضارة الإسلام وازنت بين الكفتين المادية والروحية, ولم تنتكس إلا عندما تركت كفة الروح والأخلاق تسقط. بينما أخذ هؤلاء القوم الكفة المادية فقط بناءً على ما

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يحملوه من اعتقاد منحرف, وضنوا أن رأسماليتهم وعولمتهم ستحميهم من قانون التأريخ وسنة الله في الأقوام الذين خلوا.

لقد ضرب القرآن الكريم مثلاً لأولي الألباب في آل فرعون والذين من قبلهم الذين كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم، وينطبق هذا المثل في واقعيته مع أهل حضارة الغرب في زماننا هذا. هؤلاء الذين أخذوا من حضارة الإسلام العظيمة كل شيء متقن عظيم إلا الأخلاق والشرف والقيم، أي أنهم استخدموا كفة الميزان المادية وأهملوا الكفة الأخرى، وهنا سيكون مقتلهم إن شاء الله تعالى وكما تنبأ الكثيرون من علماؤهم وفلاسفتهم، وهذه التنبؤات ليست بعيدة عن الصحة فهي سنة الله في عباده، حيث يقول الله تعالى في سورة (الأنفال): { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤) }, (الأنفال).

وهذه السنة إذا طبقت على أهل الحضارة الغربية الذين مكن الله لهم الأرض وسخر لهم قواها، وآتاهم من كل الثمرات وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، ووسع لهم الأرزاق، فأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنهم خانوا أمانة القيادة والمسؤولية، وطغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فهم أهلٌ لأن يعمل الله فيهم سنته فيغير ما بهم ويسحب القيادة منهم وينقلها إلى غيرهم كما سحبت القيادة من القوة الثانية –الاتحاد السوفيتي- فجأةً لأن الخراب كان في باطنها لا في ظاهرها وفي معنوياتها قبل مادياتها. والغرب المنفرد الآن بالقوة والتأثير في الساحة العالمية ليس أحسن حالاً من نظيره السوفيتي رغم ما يبدو للبسطاء من الناس من هالته الإعلامية الكبيرة, وها هي بدايات الانهيار يبدو واضحة لكل ذي لب. على أن شراسة المقاومة والمكابرة والعناد الأجوف سيكون أطول وأكبر لعوامل عديدة. هذا الانهيار تراه موجوداً في كتاباتهم هم لا نحن, ولكنها لا يسمح لها أن تنتشر مخافة انهيار المعنويات المنهارة أصلاً. كبار كتابهم يعترف بأن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حضارة الإسلام وفكره مستعصي عليهم رغم قرن كامل من السموم التي بثوها لنا, والحروب التي أشعلوها علينا, والتدمير الذي أحدثوه في دولنا, ورغم كيانهم المسخ الذي زرعوه في جسدنا وملئوه سماً زعافاً. فما كان منهم أخيراً إلا أن أعلنوها صراحة وبكل وقاحة ودون أغطية أن الإسلام هو الـ (**مطلوب حياً أو ميتاً Most Wanted**), وهجموا وضربوا ودمروا هنا وهناك وما زالوا وسيتمرون هكذا حتى يأذن الله بنصر دينه وعزة أمته, وما ذلك على الظالمين ببعيد.

فاعلموا أيها الأخوة أن أمريكا مهددة بفناء عظيم باعتراف كبار المفكرين والمحللين والمؤرخين وعلماء الاجتماع وكذلك علماء الفلك والجيولوجيا, وذلك من أوجه عدة:

١. أن كويكباً أو جزء من كويكب أو نيزكاً عملاقاً سيضرب الأرض يأتي من مجموعتنا الشمسية, وهو بحجم أكبر من ذاك الذي ضرب المريخ عام ١٩٩٨م وأحدث فيه أضرار هائلة، ويطلق على هذا النيزك العملاق عند أهل الفلك بـ -نيزك ١٩٩٧- ، وحجمه الهائل هذا سيمكنه من إحداث انفجار يعدل مئات المرات أقوى من أقوى انفجار نووي تمكن منه البشر. وقد تم إجراء حسابات على مكان ودقة الضربة المتوقعة فجاءت قسم منها أن النيزك سيمر بجانب الأرض وعلى مسافة قريبة جداً، مما سيؤدي إلى ارتفاع أمواج البحار والمحيطات لتغطي القارات ومنها قارتي الأمريكيتين.. وجاءت حسابات أخرى لتؤكد أنه سيضرب الأرض مباشرة, وأغلب الحسابات لمكان الارتطام هو قارة أمريكا الشمالية وقسم من الجنوبية, وذلك في الأعوام بين ٢٠١٩-٢٠٢٨م, حتى أنهم يفكرون منذ الآن أن يضربوه بصاروخ نووي أو نيوتروني لتفجيره جواً قبل أن يصل الأرض, ولكن كثير من العلماء يحذرون من أن ضربه بهذا السلاح قد تكون ضرره أكثر من نفعه لصعوبة السيطرة على مسار النيزك ولحسابات علمية أخرى، والله أعلم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢. أن خط الجرف القاري للساحل الغربي من الولايات المتحدة ذي الخاصية الانزلاقية بين صفيحتي القارة الأمريكية والصفيحة الباسيفيكية, والذي تقع عليه كبريات المدن الأمريكية (لوس أنجلوس, سان فرانسيسكو, سان دييغو وغيرها) وهو ما موضح في الأشكال أدناه – لا حظ الخط الذي يمر حول هذه المدن - سيحصل فيه انزلاق يؤدي إلى زلزال عظيم يفصل هذه المنطقة عن بقية صفيحة أمريكا الشمالية ويسكنها قاع المحيط. وهذا الزلزال متوقع بين عشية وضحاها كما يقول علماء الأرصاد الجيولوجية والزلزالية, والله أعلم.

المكان المتوقع سقوط الكويكب عليه هو الولايات المتحدة الأمريكية

وسبحان ربك القائل:{أأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ(١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)} (الملك). وصدق

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رسوله ρ الذي قال في الحديث القدسي نقلاً عن ربه (**افعل ما شئت كما تدين تدان**), وعقوبة ربك من صنف ما ظلموا به الأمم من ضرب بقنابل مرعبة مدمرة [١].

٣. كما وأن كبار منظريهم وفلاسفتهم يحذرون من التمادي بهذا التحلل الخلقي الذي أصاب مجتمعهم وما سيؤدي إلى خراب اجتماعي واقتصادي, وما مظاهر رفض العولمة الأمريكية, والمقت العالمي للهيمنة الأمريكية, وإفلاس كبار الشركات الأمريكية, وتراجع مستوى الصرف بالدولار بالمقارنة مع بقية العملات الأخرى إلا دليل على ما يقول هؤلاء المنظرين وهو ما نشاركهم به.. كل ذلك أدى إلى تعاظم الهوس الأمريكي لاحتلال منابع النفط والسيطرة على مصادر الثروات العالمية لضمان مستقبلهم المنهار... فهذا بول كينيدي واحد من كبار مؤرخيهم يذكر في كتابه (نشوء وتطور الامبراطوريات) بعد استعراضه لامبراطوريات التاريخ أن الولايات المتحدة أمامها ٥٠ عاماً كحد أقصى للبقاء في القمة.

٤. إن أمريكا قد بلغت ذروة تقدمها المدني وتفوقها الحضاري على غيرها من الحضارات الجاهلية. وأنها اليوم تواجه صعود العوامل الحضارية الإسلامية في جولتها الجديدة غافلة عن أنها تختلف اختلافاً جذرياً عن مواجهتها مع الآخرين، وستعود وحقائق النفس الإنسانية إلى العمل وتتكفل بتبديد الكبرياء والغطرسة الأمريكية. ذلك لأن ابن آدم يبقى محكوماً إلى بشريته، فيعطش عند وصول القمة، وتأخذه النشوة وتتملكه أحاسيس العجب فيفقد الاتزان، وهذه سنة الله في خلقه، ومن يقرأ التاريخ تتجسد أمامه هذه الحقيقة وهذا القانون بشكل جلي.

---

(١) لتفاصيل أكثر حول هذا الموضوع أحيل أخي القاريء الكريم لكتابنا (القوانين القرآنية للحضارات)، وكذلك كتاب الأستاذ الفاضل الدكتور سفر الحوالي (يوم الغضب، هل بدأ بانتفاضة رجب) .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والنخبة السياسية الأمريكية اليوم مرشحة جداً لأن تستولي عليها هذه السكرة الفطرية الملتصقة بكل مستنصر متفوق، وعن قريب سيكون القرار الأمريكي الخاطئ المتهور الذي يتسبب في نزول منحنى الخط البياني لهذه الحضارة التي سادت في هذا العصر، ثم يواصل النزول بفعل معارضة الأحرار في كل العالم، وتلك هي القصة القديمة الجديدة لصراع الحق مع الباطل والعدل مع الظلم والحرية مع الاستبداد، ولا يؤذن لجنرال يعيش في البنتاغون أن يعدو قدره [1].

قد يقول البعض إن هذا من باب الأماني، وأن الولايات المتحدة لا يمكن لها أن تنحسر بسهولة عن مسار الأحداث، فنقول وبالله التوفيق:إن الإلمام والفهم الصحيحين لمسيرة الأمم وتاريخ الحضارات البشرية يعتبران من أعظم الأسلحة اللازمة لاستنباط الدروس والعبر والعظات التي تمكن البشر من تصحيح مسارهم الحضاري إن أرادوا وصدقوا بذلك، ولكن مشكلة البشر أنهم لا يتعظون من دروس من سبقهم. اسمع لتحذيرات الله تعالى المتكررة في كتابه العزيز والموجهة لكل الناس وعلى مر العصور: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ }، (يوسف: من الآية١٠٩).. {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، (الروم:٩).. {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً}،

---

(١) هذا الكلام الرائع في هذه النقطة تحديداً للأستاذ الفاضل والمفكر والمحلل الإسلامي الكبير الأستاذ محمد أحمد الراشد، في لقاء معه أجرته جريدة البصائر العراقية، العدد ١١، الثلاثاء ١٨/ شعبان/ ١٤٢٤هـ - ١٤/ تشرين أول/ ٢٠٠٣م، الصفحة الأخيرة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(فاطر:٤٤).. {أوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ }، (غافر:٢١).. { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، (غافر:٨٢).. {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا}، (محمد:١٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

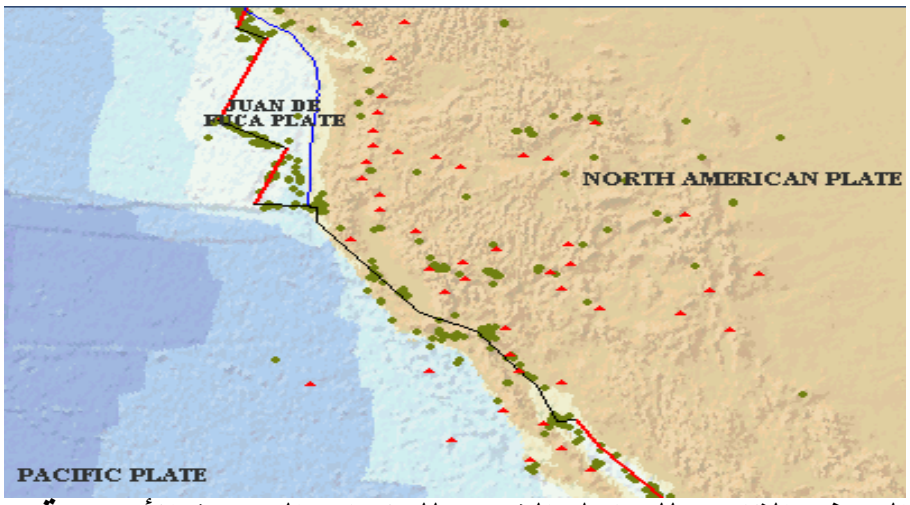

الجرف القاري للساحل الغربي للولايات المتحدة الأمريكية المتوقع انفصاله وغرقه في المحيط إثر الانزلاق الهائل الذي سيحصل في الصفيحتين التكتونيتين لغرب أمريكا والمحيط الهادئ (لاحظ الخط في الرسم الثاني)

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن التاريخ نستشهد بحضارة كان لها الأثر المشابه للولايات المتحدة اليوم من حيث ما وصلت إليه من بذخ وترف وفساد وبطر، فلقد كان الفلاسفة الإغريق ومنهم أفلاطون وأرسطو يتحدثون عن حضارة عظيمة وصلت بتقدمها إلى أنها أصبحت مضرباً للأمثال حتى من قبل أناس هم أصلاً من حضارات راقية في زمنهم وهم الإغريق. هذه الحضارة أطلق عليها اسم قارة أطلانطا أو حضارة أطلانطا أو الجزيرة المفقودة أطلانطا. كانت هذه الحضارة من التقدم والرقي والعمران والبذخ والإبهار ما صيغت وألفت عنه الحكايات والقصص في شتى الكتابات والكتب لحضارات العالم القديم. وقد ذكر الإغريق أنها امتد تأثيرها على كل حوض المتوسط، وكان لها تجارتها وعلومها وفنونها، ثم اختفت وفقدت لذلك سميت أيضاً بالحضارة المفقودة.

وحيث أن تلك الأوصاف والمواصفات لم يستطع الباحثون والمكتشفون من العثور على آثار تؤيدها فقد ساد الاعتقاد أنها كانت من ضروب الخيال والسرد القصصي، حتى جاء الاكتشاف المذهل لها مؤخراً في بحر إيجة وما حوله فشكل صدمة آثارية مدوية. لقد تم العثور وبالمصادفة المحضة على رسوم غاية في الدقة والروعة تمثل تدويناً رسمياً لحياة القوم تماماً كما وصفه الفلاسفة الإغريق، بذخ وترف ورقص ونساء متزينات وتجارة عامرة وبناء فخم، جنات وعيون وقصور ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين. وبعد فحص هذه الآثار وجدوا أنها كانت في نفس الفترة الزمنية التي تحدث عنها الإغريق في الألف الثاني قبل الميلاد.

ذكر الإغريق أنه حوالي عام ١٦٨٠ ق.م. حصل بركان عظيم استمرت حممه بالقذف لعدة أيام وعلت سحابة سوداء غطت السماء فحجبت الشمس حتى لم يعد يعرف الليل من النهار، وحصل زلزال شديد في الفترة أدى إلى انشقاق الأرض. هذه الأحداث تم العثور على أوصاف شبيهة لها في كتابات فرعونية، والعجيب وجدت كتابات صينية أيضاً ذكرت نفس مواصفات الأحداث المرعبة تلك

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تماماً كالسحابة السوداء وتغطية الشمس وغير ذلك رغم بعد المسافة بين المكانين كما هو معلوم.

الملاحظ أنه بعد هذه الفترة لم يعد هناك ذكر لحضارة أطلانطا في الكتابات القديمة.. وبعد تتبع المسألة تاريخياً وجيولوجياً وآثارياً وجد أن هذا العام فعلاً قد حصل فيه حدث أدى إلى حصول حفرة كبيرة نتيجة البركان والزلزال الهائلين تدفقت بسببها مياه المتوسط إليها لتغرق أراضي شاسعة ليصبح بحر إيجة الحالي بهذا الامتداد بعد أن كان لساناً بحرياً صغيراً من المتوسط، وكان من نتيجته القضاء على جزيرة أو حضارة أطلانطا فأصبحت أثراً بعد عين، ولتسمى مفقودة بعد أن كانت حاضرة[1].

إن هذه الاستشهادات توضح بما لا يقبل مجالاً للشك بأن أمر الحضارات البشرية لا يدوم على حال واحد، وأن البذخ والترف والبطر والتكبر مآلها جميعاً للزوال بأمر الله تعالى أما بفعل بشري أو بفعل طبيعي أو بفعل مادي، فهل من معتبر؟!..

٢- قانون بني إسرائيل.

لم يرد ذكر لأمة من الأمم في القرآن الكريم أكثر ما ذكر في بني إسرائيل، فيكفي أن نقول أن تكرار هذا المصطلح (بني إسرائيل) جاء ٣٣ مرة، وكلمة إسرائيل جاءت مكررة ٤٢ مرة. وقد تحدث الكتاب العزيز عن كل أحوال هؤلاء القوم وصفاتهم، وفصل في تبيان أساليب مكرهم وكذبهم ومحارتهم للفضيلة والخلق ممثلة بقتلهم الأنبياء والمصلحين { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً

---

(١) قدم هذه المعلومات الرائعة فريق بحثي علمي تتبع حضارة أطلانطا المفقودة ليعلن عن اكتشافها قبل أعوام قليلة، وتم عرض هذا الاكتشاف على الفضائيات العلمية ومنها فضائية دبي الاقتصادية، أواخر عام ٢٠٠٣م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تَقْتُلُونَ}، (البقرة:٨٧).. {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، (البقرة:٩١).. { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}، (آل عمران:٢١).

وبعدما يروي لنا القرآن الكريم قصة بني إسرائيل وكيف كفروا بنعمة الله تعالى وذلك من خلال آيات عدة، يقرر أن هؤلاء القوم سيفسدون ولكنهم سيعاقبون من أقوام آخرين، كما أن من خصائصهم العداوة والبغضاء رغم أن الناظر لهم يعتقد أنهم متوحدون.

هذا التحليل نجده واضحاً وشاخصاً أمامنا في الآيات المباركات التالية، إذ يقول الله تعالى:

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، (البقرة:٩٣)..{ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ }، (البقرة:٩٦)...{ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ }، (البقرة:١٠٠) .

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } ، (الأعراف: ١٦٧).. {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}، (المائدة:٦٤).. {لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ}، (الحشر:١٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فنستخلص من هذه الآيات بمجموعها عدة نقاط تخص خصائص القوم، منها:

١. أنهم يكرهون الفضيلة والخلق والخير وكل ما يشتق منها ويؤدي إليها.
٢. الحقد متأصل في تركيبتهم النفسية المعقدة المبنية على النظر للناس نظرة استعلاء وتكبر، فتراهم لا يتورعون عن فعل البشاعة والقتل لجميع البشر.
٣. أنهم ليسوا متوحدين حقيقة كما يبدو للبعض.
٤. أنهم كلما أرادوا تدمير الدين بحرب أو بفتنة سيفشلون لأن الله تعالى حافظ لدينه.
٥. أنهم متفرقون ويبغض بعضهم بعضاً لحسد أو لغيره من أمراض القلوب رغم محاولة الكثيرين تجميل صورتهم بعكس ذلك.
٦. أنهم جبناء غادرون لا عهد ولا كلمة لهم.
٧. لا يقاتلون مواجهة بأساليب أخرى لحبهم للحياة لأنهم أحبوا المال والدنيا وزينتها منذ حادثة العجل.
٨. أنهم سيعاقبون خلال مسيرة حياة أمتهم من قبل أقوام آخرين.. وهذه النقطة بالذات سنتوقف عندها كثيراً.

كل تلك التحليلات القرآنية أثبتتها أحداث التاريخ، كيف لا وهي من لدن حكيم عليم. فمواصفات الشخصية الإسرائيلية نجدها اليوم أمامنا شاخصة لكل ذي لب رغم محاولات التجميل التي يحلو للبعض أن يجمّل صورتهم بها، كما وأن حالة الجبن وحب الحياة والإفساد كلها من سماتهم الجلية. هذا فضلاً عن أنهم عجزوا رغم استقتالهم لمحو دين الإسلام بالفتن تارة وبالحروب تارة. ولكن ما يهمنا هو النقطة الأخيرة، وهي أنهم استهدفوا بالإزالة والتشريد والعذاب من قبل كل أقوام الدنيا.

نعم إن هذه الحقيقة لا يعلمها الكثيرون من بسطاء الناس. فهؤلاء القوم ذبحوا ذبح الشاة وقتّلوا وشرّدوا وعذّبوا من قبل الفرنسيين

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والإنجليز والألمان والأمريكان خلال فترات تاريخية مختلفة، ولكم أن تعودوا لكتب تاريخية عديدة ألفت لتبيان هذه الحقائق، فها هو جورج واشنطن يحذر الأمة الأمريكية من هذه الحشرات –وهي كنية أطلقها عليهم-، وها هم ملوك فرنسا وبريطانيا يقيمون المذابح لهم، وها هو هتلر يذبحهم ويسلخ جلودهم.

نحن طبعاً لا نقر بهذه الوحشية، ولكن تلك الحقائق التاريخية تبين أنهم قد آذوا المجتمعات التي سكنوا فيها مما دفعهم إلى الانتقام منهم شر انتقام أما بقتل أو تشريد أو تعذيب أو سلب ونهب أو غيره. وقصة تاجر البندقية لشكسبير خير دليل يبين الصورة القبيحة التي يتمتع بها اليهودي في أذهان أهل أوربا إبان العصور الوسطى وما بعدها حتى فترة السيطرة اليهودية على الأموال والثروات العالمية والتي تغير الحال من بعدها لصالحهم كما هو واضح اليوم. ولكن الأذى لم يقتصر على المال والمادة بل تعداه إلى إزهاق الأرواح وقتل الأطفال كما فعل اليهود من سكنة الدول الإسكندنافية وكذلك في إيطاليا في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، هذا فضلاً عن الفساد الخلقي الذي يتمتع به الأكثرية الساحقة منهم، مما تسبب في هيجان الناس وتعمدهم قتل اليهود وذبحهم وتشريدهم[1].

النقطة المهمة هنا أن كل تلك الآيات تتحدث عن حالات عامة لهم عبر التاريخ، وليس عمل يتميز بأنه عمل لدولة أو أمة أو حضارة، بل أن هذه الآيات تبين تشرذمهم في البلاد. ولكن هل من دولة يكونوها أو أمة وحكومة ومؤسسات تحكم؟!، بمعنى هل أن لهم في التاريخ من شأن يذكر أو علو لدولة ما ولحضارة ما؟!. هذا ما يخبرنا عنه القرآن الكريم بالتفصيل قي سورة الإسراء.

---

(١) للمزيد من التفاصيل للقارئ الكريم أن يعود لمراجع مهمة في هذا الشأن، كما أن للأستاذ الفاضل خالد طبانة المفكر والباحث الإسلامي محاضرات رائعة في هذا المضمار المهم، فهو من كبار المتخصصين بل هو فارس لا يبارى في هذا المضمار، إذ قضى جل حياته في متابعة الأمر.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

يقول الله تعالى في سورة الإسراء بعد الحديث عن رحلة الإسراء المباركة التي انتقل خلالها رسول الله ρ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس وصلى بالأنبياء عليهم السلام إماماً: { وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً (٨)} .. ثم يقول في نهاية السورة المباركة: { وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً }، (الإسراء:١٠٤).

هنا نركز على أن القرآن الكريم قد ثبّت ثلاث شروط لا بد منها لفهم زمان ومكان تطبيق ما أخبرت عنه الآيات المباركات. أولهما أن هناك وعدين لعلوين وصفا بأنهما كبيرين أي لا مثيل لهما عبر التاريخ وهو ما يدل على إقامة دولة وحضارة وليس الأمر متعلقاً بمجموعة بشرية هنا أو هناك، والثاني أن هناك فساداً خلال هذين العلوين، والثالث أنهما في الأرض أي أرض فلسطين وهو ما يفهم من سياق الآيات الكريمات. إذا اختل أحد هذه الشروط، فلا تنطبق المعادلة ولا ينطبق القانون.. التفاصيل أدناه توضح ذلك.

ذكر بعض المفسرون أن الوعدين الإلهيين بعلو بني إسرائيل قد حصلت ودليلهم قوله تعالى { .. وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا..}، قسم منهم قال أنهما حصلا في زمان بعيد في عهد ملك بابلي وآخر فارسي، ومنهم من قال أن الوعد الأول حصل قديماً والثاني حصل في عهد النبي ρ .. لكن عدد غير قليل ذكر أن الأول قد حصل في عهد بابل والثاني

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لم يحصل بدليل وصف الله تعالى له بأنه {.. وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً} ، بينما لم يصف الثاني بذلك .

إذا ما عدنا إلى التأريخ نجد حقيقة مفادها أن دولة بني إسرائيل لم تصبح ذات هيبة كبيرة بين أمم الأرض إلا في عهد النبيين الملكين داود وابنه سليمان عليهما السلام، وبعد وفاة سليمان υ سنة ٩٧٥ ق.م. خلفه ابنه (رحيعام) وبدأ الهزال في دولة بني إسرائيل نتيجة البعد عن طاعة الله ومقارفة الذنوب حتى اضطربت أجزاء المملكة ودب النزاع بداخلها مما أدى إلى انقسامها إلى قسمين:

١. القسم الشمالي ويسمى مملكة (إسرائيل) أو مملكة الشمال، ويضم الأسباط العشرة لبني إسرائيل وعاصمتها السامرة.
٢. القسم الجنوبي ويسمى مملكة (يهوذا) أو مملكة الجنوب، ويضم سبطي (يهوذا وبنيامين) وعاصمتها أورشليم.

وقد شهدت حياة كلتي المملكتين انحرافات نحو الوثنية وأصبح بيت الرب (الهيكل) مسرحاً للأصنام وإقامة الطقوس الوثنية ومظاهر الشرك وتعدد الآلهة.. واستمر الحال عليه داخل المملكتين حتى تعرضتا إلى غزوين متتاليين، كان الأول لمملكة الشمال على يد ملك من أهل العراق وهو الملك الآشوري (سرجون الثاني)، والآخر لمملكة يهوذا على يد ملك عراقي آخر هو الملك البابلي (نبوخذنصر) وقيل (نبوبلاصر) الذي قام بتدمير مدينة أورشليم وأحرق وسلب الهيكل ونقل أهلها وسباهم وقادهم إلى بابل مكبلين .. وتجد في توراتهم عبارات مؤسفة كان يرددها النبي (آرميا) أيام السبي البابلي يعتبر دليلاً قاطعاً على فساد القوم وابتعادهم عن ربهم وتشبثهم بدعاوى جاهلية وثنية أدت إلى نهايتهم المفجعة تلك [١].

نقرأ هذه الأسطر من موسوعة اليهود واليهودية عن الملك البابلي الذي سبا اليهود :

---

(١) الحقيقة التاريخية لعلاقة يهود الخزر والدونمة ببني إسرائيل، رشدي محمود العاني، ص٣٢-٣٣، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نبوختنصر (٦٠٥-٥٦٢ ق.م)، (Nebuchadnezzar): مؤسس الإمبراطورية الكلدانية (البابلية الجديدة) وأعظم ملوك الكلدانيين. أسقط الإمبراطورية الآشورية بمساعدة الحوريين (مملكة ميتاني)، وهزم القوات المصرية في معركة قرقميش عام ٦٠٥ ق.م. وقاد نبوختنصر حملتين ضد المملكة الجنوبية: الأولى في عام ٥٩٧ ق.م لإخماد التمرد فيها، فأحل صدقيا محل يهوياكين، ونفى ثمانية آلاف يهودي من الأرستقراطيين. وبعد بضع سنين، عندما أعاد العبرانيون الكرَّة بإيعاز من مصر، قاد نبوختنصر حملة أخرى عام ٥٨٦ ق.م. ورغم أن المصريين أرسلوا المساعدات للعبرانيين، فقد أسقط القدس ودمَّر الهيكل وأسر عدداً من اليهود ساقهم إلى بابل، وعيَّن جداليا حاكماً لفلسطين.. وقد كان نبـوختنـصر من كبار البنـاة، فهـو الـذي زيَّن بابل بالحدائق المعلقـة [١].

كذلك كان لهذا الملك شأناً كبيراً في عقائد أهل الكتاب، فالمتتبع لشؤون عقائد هؤلاء القوم يجد مسألة غاية في الأهمية، وقد نقلت دون تحريف على أغلب الظن لأن الأحداث أثبتت صحتها، وهي دليل نبوة سيدنا محمد ρ وانتصار دينه وغلبة أمته على الأمم، لكنهم حرفوا تفسيرها بما يلائم معتقداتهم المنحرفة، ألا وهي ما يعرف بنبوءة النبي دانيال العظمى، وسأنقلها كما جاءت في كتاب الأستاذ الدكتور سفر الحوالي (يوم الغضب "هل بدأ بانتفاضة رجب")، والذي نقلها بدوره من نصوصهم..

((فقد رأى الملك نبوخذ نصر (أو بختنصر) رؤيا أزعجته استدعى السحرة والعرافين لبيانها وتأويلها فعجزوا كلهم، ولكن دانيال تضرع إلى الله تعالى فألهمه الرؤيا وتفسيرها. ولما دخل على الملك قال له: (السر الذي طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة

---

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (د. عبد الوهاب المسيري)، مجلد٤ / ج١/ باب٤، مدخل.. وانظر كتباً أخرى مهمة في- هذا الموضوع مثل (موسوعة العرب واليهود في التارخ)، للعلامة الدكتور أحمد سوسة (يهودي عراقي أسلم وفضح كذب اليهود في مؤلفاته فحورب وأهدرت إسرائيل دمه).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولا المجوس ولا المنجمون أن يبينوه للملك، لكن يوجد إله في السماوات كاشف الأسرار وقد عرّف الإله الملك ما يكون في الأيام الأخيرة).. فقال له الملك أفصح يا هذا، فشرح ذلك قائلاً:

(أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم، هذا التمثال العظيم جداً قبالتك ومنظره هائل.. رأس هذا التمثال من ذهب جيد، صدره وذراعاه من فضة، وأما بطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه من حديد، بينما قدماه بعضها من حديد وبعضها من خزف. كنت تنظر إلى قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافة البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها.. هذا هو الحلم، فنخبر بتعبيره قدام الملك: أنت أيها الملك ملك الملوك لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً، وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعاً، فأنت هذا الرأس من ذهب. وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض. ثم تكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدك ويسحق كل شيء وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء. وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين. وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف، فبعض المملكة يكون قوياً والبعض قصماً. وبما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف. وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد. لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب.. الله

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العظيم قد عرّف الملك ما سيأتي بعد هذا. الحلم حق وتعبيره يقين.. حينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال وأمر بأن يقدموا له تقدمة وروائح سرور.. فأجاب الملك دانيال وقال: حقاً إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار إذ استطعت على كسف هذا السر).

هذه هي نص الرؤيا التي توصف دائماً بأنها أصدق وأشهر الرؤى الكتابية التاريخية، وتأويلها لا يحتاج إلى ذكاء، ولا يصح فيه الخلاف لأن النبي نفسه قد أوّلها، ولكن أهل الكتاب تعمدوا التلبيس وافتعلوا الاختلاف حسداً من عند أنفسهم بعدما تبين لهم الحق، فقد أقروا بهذه الرؤيا وتأويلها قروناً دون أن يدخلهم ريب في أنها على ظاهرها، وأن المملكة الأولى (الرأس الذهبي) هي مملكة بابل، وأن المملكة الثانية (الصدر الفضي) هي مملكة فارس التي قامت بعد بابل وسيطرت على العراق وبلاد الشام ومصر، وأن المملكة الثالثة (الفخذ من النحاس) هي مملكة اليونان الذيم اجتاحوا مملكة فارس بقيادة الاسكندر المقدوني ستة ٣٣٣ق.م.، وأن المملكة الرابعة (الرجلين من حديد ثم حديد وخزف) هي الامبراطورية الرومانية التي انقسمت إلى شرقية وعاصمتها (القسطنطينية) وغربية عاصمتها (روما).

لم يكن أحد من أهل الكتاب يشك في هذا إطلاقاً، بل كانوا جميعاً لشدة إيمانهم به ينتظرون المملكة الخامسة (مملكة الله) التي تدمر ممالك الشرك والكفر والظلم لا سيما المملكة الرابعة التي اضطهدتهم وأذاقت اليهود بالذات الذل والهوان ودمرت القدس سنة ٧٠ ميلادية، ونصبت الأصنام في المسجد كما اشتهر عدد من أباطرتها بتعذيب النصارى بألوان من البشاعة والفظاعة قل نظيرها في التاريخ، وظلوا كذلك طيلة ثلاثة قرون حتى دخل قسطنطين النصرانية المحرفة، واستمر الاضطهاد لليهود والموحدين من النصارى وسائر الفرق الأخرى..

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي ذلك الجو القاتم من الاضطهاد كان أهل الكتاب ينتظرون المملكة الخامسة بفارغ الصبر، وكانوا يعلمون يقيناً أنها ستقوم على يد نبي آخر الزمان المسمى عندهم (أركون السلام) الذي على كتفه خاتم النبوة، والذي بشر به الأنبياء كلهم حتى أن المهتدين من علماءهم جمعوا من سفر أشعياء وحده ٣٠ بشرى به، وكانوا يعرفون زمن بعثته بكثير من الدلائل النصية والعلامات الكونية، ويترقبون تلك الدلائل والعلامات حتى جاء اليوم الذي قال فيه الامبراطور المتعبد العالم بدينهم (هرقل): (قد ظهر ملك أمة الختان) وأيقن بذلك وشهد وهو زعيم الكفر الكتابي لزعيم الكفر الأمي أبو سفيان (بأن ملكه سيبلغ موضع قدمي)، كما ثبت في الحديث الصحيح المشهور.

وفعلاً قامت المملكة الربانية الخامسة وملكت موضع قدمي هرقل وغادر الشام وهو يقول (سلام عليك يا سورية، سلام لا لقاء بعده)!!.. قامت هذه المملكة فسحقت ممالك الوثنيين وسيطرت على معظم المعمورة بالعدل والسلام وكانت مساحتها تزيد على مساحة القمر، ودخل تحت لواءها من كل شعوب الأرض طائف عظيمة، وهنا فقط تفرق أهل الكتاب واختلفوا ، فمنهم من اهتدى وهم قلة، وأكثرهم كفر بالحق لما جاءه ظلماً وعلواً))[١]...

بعد هذه التفاصيل وكما يبين الجدول اللاحق أن العلو الأول ومعه الإفساد في أرض الحدث (فلسطين) قد حدث فعلاً، كانت بدايته علواً محموداً في عهد النبيين داود وسليمان عليهما السلام، ثم حصل التشرذم والإفساد الكبير بل وصل بهم الأمر إلى التلاعب والتحريف بشرع الله فشاع الظلم وكثرت المظالم بين العباد، خلال هذا الوقت سلّط الله تعالى عليهم قوماً وثنيين أشداء هم أهل بابل وتحديداً وقت الملك نبوخذ نصر.. بينما بقية الحالات أما أنهم كانوا في فلسطين

---

(١) يوم الغضب "هل بدأ بانتفاضة رجب"، د. سفر الحوالي، ص ٥٤-٥٨، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولكن دولتهم لم تشكل علواً، أو لم يكونوا متجمعين في أرض فلسطين أصلاً حين إفسادهم بل كانوا متشرذمين مشتتين كما حصل في عهد النبي ρ عندما كانوا بشكل مجموعات صغيرة في بلاد الحجاز والجزيرة...

الجدول أدناه يبين مراحل الممالك الخمسة التي هي من صلب عقيدة أهل الكتاب والمبنية على تفسير النبي دانيال لرؤية الملك البابلي نبوخذ نصر والتي تبين العلو الأول الذي حصل بالتحديد:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جدول يوضح الممالك الخمسة الواردة في نبوءة دانيال υ التي عبرت عنها
رؤيا نبوخذ نصر(١) وحالة العلو والإفساد والتدمير لليهود

الدولة أو المملكة	أهم ملوكها	موقعها من الرؤيا
الدولة الإسلامية التي حكمت بكتاب الله (التوراة) في أرض فلسطين **العلو الأول في أرض فلسطين**	داود υ (١٠١٣-٩٧٣)ق.م. سليمان υ (٩٧٣-٩٣٣)ق.م. كان علواً محموداً في عصر النبيين الكريمين، ثم انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى مملكة يهوذا وإسرائيل وبدأ الإفساد.	قبل دانيال υ
مملكة الآشوريين بأرض العراق وسوريا	الملك سرجون الثاني (٧٧٢-٧٠٥) ق.م. (أخضع الأراضي المقدسة لحكم الآشوريين).	قبل دانيال υ
مملكة بابل بأرض العراق	نبوخذ نصر أو بختنصر (٦٣٠-٥٦٢) ق.م. دمر القدس وأخذ اليهود أسرى إلى بابل **وقضى على العلو الأول**.. وقد عاصره دانيال وعبر رؤياه المشهورة.	المملكة الأولى (الرأس الذهبي)

(١) يوم الغضب "هل بدأ بانتفاضة رجب"، د. سفر الحوالي، ص ٥٧، بتصرف.. وانظر المصدر الرئيسي (دائرة المعارف العالمية ومنها (موسوعة كولومبيا)، موسوعة بارون، الموسوعة العربية الميسرة).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مملكة الفرس بأرض فارس	قورش (٥٥٠-٥٢٩) ق.م. الذي قضى على بابل	المملكة الثانية (الصدر الفضي)
مملكة اليونان ببلاد اليونان	الاسكندر الكبير الثالث (٣٣٦-٣٢٣) ق.م. استولى على الأراضي المقدسة عام(٣٣٣) ق.م.. **لم يكن هناك علو لبني إسرائيل.**	المملكة الثالثة (الفخذ النحاسي)
مملكة الروم في روما ثم روما والقسطنطينية	١- الامبراطور أوغسطين مؤسس النظام الامبراطوري الذي ولد المسيح υ في أيامه.. **وقد كانت هناك دولة لبني إسرائيل في هذا العصر ولكن دون علو بل كانوا مذلولين.** ٢- دقليديانوس (٢٤٨-٣٠٥)م الذي قسم الامبراطورية دولتين شرقية بالقسطنطينية، وغربية بروما لكل منها قيصر مستقل. ٣- قسطنطين الأول مؤسس القسطنطينية ومعتنق النصرانية (توفي عام ٣٢٧)م. ٤-هرقل وقد حكم عام ٦١٠ م وفتح المسلمون الأراضي المقدسة في عهده وودعها إلى الأبد.	المملكة الرابعة (الساقان الحديديان والأقدام من خزف وحديد)
الدولة الإسلامية التي فتح الله تعالى الأمصار على يديها وحكمت العالم القديم	رسول الله محمد ρ سيد الأولين والآخرين، وأشهر ملوكها –الخلفاء الراشدون- والبقية أكثر من أن	المملكة الخامسة (مملكة الله)

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بأسره بالقرآن	يذكروا.	

وعلى أساس الجدول أعلاه وما بيناه من تفاصيل لم يعرف التاريخ صعوداً لبني إسرائيل وعلواً كبيراً فتحت فيه الأمصار وسيطرت خلاله على دول أخرى عديدة إلا في فترة النبي الملك داود وابنه سليمان عليهما السلام، ثم تبعه فساداً وإفساداً في أرض فلسطين أدى بالنهاية إلى تدمير مملكتهم وديارهم تدميراً كاملاً التي لم تدمر إلا في وقت الملك نبوخذنصر، ومن قبله كان تدمير الملك الآشوري سرجون لهذه الأراضي جزئياً وقد حكمها ردحاً من الزمن ولم يقض عليها.. وأما دخول كل من الاسكندر القدس عام ٣٣٣ ق.م. وتدمير الرومان للقدس عام ٧٠ م، فلم يكن خلال هذين الحدثين علو وشأن كبيرين لدولة اليهود بين دول العالم القديم... وهنا تجدر ملاحظة أن كل المفسرين للآيات المذكورة من سورة الإسراء والتي تسمى أيضاً سورة إسرائيل أجمعوا أن الأولى كانت من فعل الملك البابلي، ولكن الاختلاف كان في الثانية.

معلوم أن التفسير مر بعدة مراحل وله عدة مدارس، منها مدرسة التفسير بالمأثور عن النبي ρ والصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، ومدرسة التفسير باللغة وعلومها وفنونها، ومدرسة التفسير بالرأي المحمود المستند للحقائق العلمية والتاريخية ومنها ما يعرف بالتفسير الموضوعي[١].

يعتبر سيدنا ابن عباس من أهم مصادر المدرسة الأولى لأنه حبر الأمة كما وصفه رسول الله ρ فهو خير من نقل عن المصطفى ρ.. يذكر رضي الله عنه في تفسير القوم الذين قاموا بالمهمة الأولى أي سبي بني إسرائيل بأنهم قوم من أهل العراق، وأن الثانية معطوفة على الأولى فالقوم نفس القوم في الأولى والثانية التي ستحصل في المستقبل.

---

(١) لمزيد من تفاصيل هذا الموضوع يمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى كتابنا (القرآن منهل العلوم)، التفسير والتأويل، ص ١٠٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أصحاب المدرسة الثانية انقسموا بين مقر بحصول الحالة الأولى فقط بينما الثانية لم تحصل بعد، وبين من قال أن الحالتين حصلتا وانتهى الأمر إلا إذا عادوا إلى فعلتهم فسيسلط الله تعالى عليهم من يخزيهم ويذلهم مرة أخرى واستندوا إلى قوله تعالى : {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} ، (الأعراف:١٦٧).

أصحاب المدرسة الثالثة اعتمد معظمهم على الحقائق التاريخية التي ذكرناها فتوصلوا مستندين أيضاً إلى أحاديث المصطفى ρ إلى أن الوعد الثاني لم يتحقق بعد... لنحاول أن نتدبر النص القرآني:

١- { وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً (٤)}.. أي كتبنا عليهم أنهم سيكون لهم علواً عظيماً وملكاً كبيراً فيفسدون ويقتلون ويدمرون، وكلمة (الأرض) في الآية هي أرض فلسطين لأن الآية تبعت آية الإسراء التي تحدثت عن المسجد الأقصى المبارك، وهذه من أساليب البلاغة القرآنية. وانظر إلى قوله تعالى (كبيراً) أي لم يكن له مثيل في أي حقبة أخرى، وقد حصل العلو الأول في أرض فلسطين بينما لم يحصل الثاني.

٢- {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً (٥)} ، أي إذا ما حصل موعد العلو الأول فإن عباداً لنا سيتولون تدميركم وقد كان من أمرهم مع أهل بابل كما ذكرنا، وتدبر قوله تعالى (عباداً لنا)، فأهل بابل كانوا كفاراً فسلطهم الله تعالى على أهل كتاب لابتعادهم عن منهجه تماماً كما يحصل لنا اليوم من تسلط الكفار علينا ونحن أمة المصطفى ρ، فالناس عباد الله كافرهم ومؤمنهم شاءوا أم أبوا.

٣- {ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) }، (ثم) أداة عطف تفيد التتابع بتراخي زمني وليس مثل (فـ) التي تعطف بدون تراخي زمني

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أي مباشرة أو بعد مدة قليلة. معنى ذلك أن الـ (ثم) هذه تعني أن هناك فترة زمنية ليست قصيرة بين العلّوين الأول والثاني الذي وصفه تعالى بأن فيه سوف يكون لهم مدد بالمال والسلاح والرجال من أمم أخرى لذلك قال (أكثر نفيراً) ولم يقل (أكثر عدداً)، وهو الأمر الحاصل اليوم بدولتهم المتغطرسة المفسدة المتعالية القاتلة التي أمدت بكل سبل العون والبقاء من أمم أخرى تحت الإرهاب الفكري والتفسخ العقائدي المتأتي من سيطرتهم على المال والإعلام في العالم الغربي.. وانظر إلى كلمتي (الكرة) و(عليهم). فالكرة تعني الرجعة وعليهم تعود على القوم الذين قاموا بالسبي الأول وهم أهل العراق، أي أنكم ستسبونهم كما سبوكم أول مرة وهو ما حصل اليوم باحتلال العراق من قبل منفذي الأوامر الصهيونية أصحاب البيت الأسود سود الله وجوههم ونواياهم، والله أعلم.

المتأمل بتصريحات القوم من الإدارتين الصهيونية والأمريكية المتصهينة يجد أن من عقائدهم الرئيسية التي لا جدال فيها أو مساومة عليها هو أن قيام دولة لإسرائيل ضرورة لنزول المسيح، وأن مشروع السلام هو تأخير لوعد الله، وأن القدس بكاملها يجب أن تكون تحت سيطرة إسرائيل المباركة والمبارك من يباركها والملعون من يلعنها أو يعاديها، وأن الفلسطينيون والمسلمون عموماً رعاع وثنيون وحزب يأجوج ومأجوج، وأن الألف سنة السعيدة يوشك أن تكون لكن بعد خطف المؤمنين إلى السحاب لملاقاة الرب عند نزوله ودمار كل الوثنيين في معركة هرمجدون الكبرى[1]... كما ويقول إحدى أهم عقائدهم "كلما قتلوا أكثر من العراقيين -أهل بابل كما مدون لديهم- كلما اقترب نزول المخلّص أو الرب كما

(١) يوم الغضب "هل بدأ بانتفاضة رجب"، د. سفر الحوالي، ص ١٢، بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يسمونه –الدجال عندنا- ليقيم دولة الرب"، وهو الأمر الذي يصرحون به علناً بل تجده أيضاً على صفحات الويب الخاصة بهم.

هذا يفسر لنا إصرار الإدارة الأمريكية المتصهينة البقاء في العراق لمدة طويلة لأنهم يعتقدون أنهم يجب الحفاظ على دولة إسرائيل المدللة لأن زوالها أصبح وشيكاً حسب توراتهم... وهذا ما يفسر أيضاً تصريحاتهم قبل وخلال وبعد احتلالهم الأخير للعراق من أن هذه الحرب إنما هي حرب عقائدية لأجل حماية العقيدة المنحرفة لهم والمتعلقة بما يؤمنون به من أن احتلال أرض فلسطين يؤدي إلى عودة المسيح عليه السلام، كذلك يفسر لك ذلك كل ما حصل لأهل العراق من مؤامرات تقتيل وتعذيب وتشريد وحروب غبية على يد مأجورهم نظام البعث المقيت ثم لعبة الحصار وأخيراً الاحتلال علي يدهم مباشرة.

٤- {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (٧)}، أي أنكم إذا ما عدتم للفساد - وهو الحاصل اليوم - فسوف يرجع القوم عليكم ليدمروا دياركم ويدخلوا الديار كما دخلوها أول مرة، والمتأمل للنص يجد أن العملية معطوفة بالأداة (فـ) بقوله تعالى (فإذا جاء)، والفاء تفيد التتابع المباشر أو بفترة زمنية قصيرة، أي بعد علوهم الثاني وإفسادهم سيكون عودة القوم عليهم سريعة دون الحاجة للوقت الطويل التي تمثله أداة العطف (ثم).. ويعضد هذا الرأي قوله تعالى في نهاية السورة { وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً }، (الإسراء:١٠٤).. أي إذا ما جاء الوعد الثاني فإنكم ستأتون مجتمعين إلى الأرض التي وعدتم بسكناها عندما كنتم مؤمنين تستحقون النصر ثم أزيل عنكم هذا الشرف بعدما كفرتم، وهي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أرض فلسطين وقد حصل ذلك اليوم. أما القول هنا بأن وعد الآخرة يقصد به القيامة، فإنه مردود من وجهين، الأول من سياق النص الذي يشير إلى السكنى في الأرض أي أرض فلسطين، والثاني أن جميع الناس سيحشرون لفيفاً في أرض المحشر يوم القيامة فلا داعي للتخصيص، والله أعلم.

٥- من سياق الآيات نجد أنها تتعلق بطرفين لا ثالث لهما، الأول بنو إسرائيل والثاني القوم الذين سبوهم أول مرة وخربوا ديارهم ومعابدهم، وهم أهل بابل على رأي الغالبية الساحقة من المفسرين من جميع المدارس..

يحتج البعض بقولهم أن نبوخذنصر البابلي كان موحداً على أساس أن الخطاب القرآني في الإسراء(الآية:٥) { فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً} تدل على عطف العملية بشخوصها وأحداثها على الذات الإلهية، وهذا خطأ فادح.. الرد على هؤلاء من كتاب الله تعالى في الآية ١١٤ من سورة البقرة، إذ يقول الله تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.. جاء في أسباب نزول هذه الآية الكريمة أنها نزلت في بعض أهل الكتاب ممن والى بختنصر البابلي الكافر وأعانه على تخريب بيت المقدس وتحريقه، وقيل المراد بهم مشركوا قريش ممن منع رسول الله ρ من دخول البيت الحرام. وقال العلماء : الصحيح أنها عامة في تحذير كل من يمنع ذكر الله في المساجد وسعى في خرابها على أساس أن المعنى لعموم النص لا لخصوص السبب، وتخريب المسجد قد يكون حقيقياً كما فعل بختنصر، وقد يكون مجازياً كمنع المشركين المسلمين حين صدوا رسول الله ρ عن المسجد الحرام، أو كما يحصل اليوم من منع اليهود أهلنا في فلسطين من أداء مناسكهم والعبث والتخريب الذي فعلوه ويفعلوه ببيوت الله تعالى

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في فلسطين أو أية بقعة في الأرض، فتعطيل المساجد عن الصلاة وإظهار شعائر الإسلام فيها تخريب لها[١].

والآن دعونا نتأمل الأحداث على النحو الذي يجعلنا نربط الأمور الآتية:

١) الآيات الأولى من سورة الإسراء حول الوعد الحق للقضاء على دولة اليهود.

٢) تفسير سيدنا ابن عباس للآية وقوله إن القوم أهل البأس الشديد هم قوم من أهل العراق. هذا الأمر شهد له التاريخ وكل من عرف أهل العراق، ومن أصدق من الله حديثاً، وها هو سيف الله المسلول سيدنا خالد بن الوليد يعطي أهل العراق هذا الشرف إبان فتوح العراق بقوله (ما قابلت قوماً أشد بأساً عند اللقاء من أهل فارس) ويقصد أهل العراق لأنه كان يومئذ جزءاً من الإمبراطورية الفارسية وكثير من الجند في الجيش الفارسي كانوا مجندين من قبائل العراق مكرهين عدا من كان منهم على الإسلام.

٣) قصة اليهودية نقلاً عن محاضرة الدكتور محمد أحمد الراشد التي ذكرت بأنهم يؤمنون بأن الفناء سيكون مصيرهم بعدما تقوم دولتهم الثانية بـ ٧٦ سنة وهي مدة مدار مذنب هالي، ونظرية الأستاذ بسام جرار والتي ذكر تفاصيلها الأستاذ الفاضل في محاضرة مسجلة[٢], وكذلك ما ذكره الأستاذ سفر الحوالي في بحثه عن (يوم الغضب) وما يعتقدونه في توراتهم من أن نهاية دولتهم في آخر الزمان ستكون من الآشوريين .

---

(١) روائع البيان لمعان القرآن، ص١١، بتصرف.

(١) انظر كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، وكتابنا (القرآن منهل العلوم). وكذلك كتاب (يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب) لفضيلة الأستاذ سفر الحوالي الذي يتحدث عن نهاية اليهود باعتراف توراتهم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٤) حديث رسول الله ρ السابق حول حصار العراق، والمؤامرة المحاكة ضد العراق وتدميره واحتلاله وإبادة شعبه، والتي لو قدر أن يطلع العالم عن حقيقة وحجم المأساة التي تكبدها هذا البلد لشابت الرؤوس من هول ما حصل له مما حدى بالكونغرس الأمريكي أن يرجئ فتح الملفات السرية لحرب الخليج الثانية إلى ١٥٠ عام بعدها بعد أن كانت الملفات السرية لحدث ما تفتح بعد ٣٠ ــ٥٠ عاماً فقط.. ولولا فضل الله ورحمته لما بقى من أهل هذا البلد العريق من أحد، فقد أصبحت التجارب المسرطنة والإشعاعية والفتك الجرثومي واليورانيوم المنضب في الطعام والشراب والملبس الذي يصدر إليه، فضلاً عن تلوث أجوائه بكل أنواع الملوثات، بل وحتى زراعته وأنهاره لم تسلم من ذلك.

٥) أن النفط سينفذ خلال مدة أقصاها ١٠٠ عام, وعدم وجود بديل ناجح وعملي آخر غيره للطاقة, وما يعكسه ذلك على كل معدات التقنية والأدوات الحديثة والتي تعتمد على الطاقة بما في ذلك الأسلحة.

٦) محاضرة الدكتور أحمد الكبيسي حول مدة الحضانة الإلهية لأي شعب لكي يتطهر مما علق به من السيئات لا تقل عن ٤٠ عاماً مستندة بذلك على قصة التوهان لبني إسرائيل بعد عبادتهم العجل حتى يصل ذلك الشعب إلى ما أراده الله له من الطهر والصلاح.

٧) مقارنة الفترة التي سبقت بعثة المصطفى ρ وما كانت أحوال العرب في الجزيرة العربية وحروبهم وأحوال الأقوام من حولهم وكيف أن الله تعالى هيئ كل الأحداث لتصب في النهاية في مصب نصرة الدين.

٨) حدوث أغلب علامات الساعة الصغرى وكما بينا في هذا الكتاب.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٩) بدء ظهور ما يدل على قرب العلامات الكبرى ومن أهمها كثرة الظلم في العالم خصوصاً لأمة الإسلام، وكذلك العلو الثاني لبني إسرائيل كما بينا.

١٠) أن دولة إسرائيل تقوم الآن بزراعة بساتين كثيرة من أشجار الغرقد وهي شجرة اليهود المقدسة فضلاً عن تجمعهم في مكان واحد من كل أرجاء الدنيا وكذلك ظلمهم وفسادهم وإفسادهم وقتلهم للمسامين والتنكيل بهم والذي فاق كل حدود الوصف خصوصاً بعد انتفاضة الأهل المباركة في أرض الرباط.. وهم كما وصفهم المصطفى ρ في الأحاديث التي يرويها أهل السنن.. ففي صحيح مسلم (الإمارة- ٣٥٤٤), عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**).. وفي حديث مماثل أخرجه الإمام الترمذي في الفتن برقم (٢١٥٥) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**), قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ يَخْذُلُهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ**) قَالَ أبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وفي مسند الإمام أحمد / باقي مسند الأنصار – رقم (٢١٢٨٦), عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ قال(**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**), قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ قَالَ (**بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**).

لو ربطنا ما سبق من نقاط وجمعناها مع بعض لعلمنا بعد كل ما ذكر أن حديث رسول الله ρ ((**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فتكونون شرق الأردن ويكونون غربه ويقاتلهم الشجر والحجر إلا شجرة الغرقد**...)) والذي ذكرناه سابقاً قد أقترب موعد

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تحقيقه بإذن الله تعالى ولكن علينا قبله أن نعود إلى ديننا ونطبق شرع الله لنحظى بنصر الله وتحقيق وعده الناجز أن شاء الله تعالى.

لذلك ورغم كل ما تعانيه الأمة من تصدع وتشتت وطمس للهوية وضياع للفكر والانتماء إلا أنني على يقين من النصر القريب ولعله أقرب مما نتصور لأن تسارع الأحداث بشكل مذهل كتسارع البكرة عند نهاية الخيط، ولنا في رسول الله ρ وآله وأصحابه المجاهدين الأسوة الحسنة وكلنا يعرف كيف وعد رسول الله ρ المسلمين بفتح البلدان وانتشار الدين وفي أي وقت، وقت بلغت فيه القلوب الحناجر عندما كان المسلمون محاصرون في الخندق. لعل البعض سيقول أين نحن من هؤلاء الاماجد فأقول نعم علينا العودة إلى الله لنكون مثلهم ويتحقق فينا الوعد الحق كما كان لسلفنا الصالح ونعز الدين كما أعزوه وننتصر به كما كان لهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباب الثالث

النتيجة

الفصل الأول
قانون الإصلاح

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

الفصل الأول

قانون الإصلاح

إعلم أخي الكريم إن الإصلاح بأيدينا نحن لأن الله تعالى قد سنّ قانوناً عاماً للتغيير والإصلاح ذكرناه آنفاً:{.. إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم.}، (الرعد: من الآية١١)، وأن الله تعالى لا يرفع النعمة ويبدلها بنقمة إلا جراء ما يكتسب المؤمن من خطايا ويبتعدون عن منهج الله تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، (الأنفال:٥٣) .

وعندما أراد الله تعالى أن يعلمنا بأن أهم ما يكون من الإصلاح فإن أهم الكلام هو الأمر بالمعروف أو صدقة أو إصلاح بين الناس { لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}، (النساء:١١٤)، ضرب لنا أمثال الأمم السابقة التي منعت الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنها ما حصل في بني إسرائيل الذين قست قلوبنا فهي كالحجارة أو أشد قسوة فأصدأت وتحجرت جرّاء متاجرتهم بالربا وقد نهوا عنه فلم يراعوا أوامر الله في خلقه:{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، (المطففين:١٤).

يعلمنا الحبيب ρ أموراً مهمة في القوانين الإلهية تتعلق بمنع الظلم والضرب على يد الظالمين والمنافقين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس أمور دينهم. ففي قصة الآية المباركة التي نزلت في بني إسرائيل {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) }، (المائدة).

يذكر لنا رسول الله ρ أن القوم لما تركوا الناس يعملون ما يشاءون

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من قبائح الأفعال لعنوا وسلط عليهم العذاب، وهذا ما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود (الملاحم/ ٣٧٧٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ**)، ثُمَّ قَالَ (**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**) إِلَى قَوْلِهِ (**فَاسِقُونَ**) ثُمَّ قَالَ (**كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ)** .. وفي حديث الترمذي في الفتن (٢٠٩٥) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ : **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ).**

وقد كان من أمر فرعون مصر الذي نصب نفسه إلهاً لفظاً وفعلاً ما يشبه متفرعنا البائد، غير أن هذا الأخير لم يعلنها لفظاً بل طبقها فعلاً وأمر بتصديقها والويل والثبور لمن لا يصدق حتى استصغرنا واستسهل قتلنا والتنكيل بنا بأياد هي من عندنا {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ}، (الزخرف:٥٤)... يقول بعض المفسرون في معنى استخف، أي من الخف وهو ما يلبس في الرجل فكان من أمر فرعون أنه استصغر قومه لجبنهم في ردعه إلى الدرجة التي جعلته يلبسهم في رجله كالخف وهم طائعون له، لأنهم قوم فاسقون، فكان جراء فسقهم وابتعادهم عن منهج الله تعالى وإحلالهم الحرام وتحريمهم الحلال أن أصبحوا جبناء لا يستطيعون حيلة أمام الرجل ولا سبيلا.. وهكذا ركنا إلى الظالم الباغي فمسنا عذابه وظلمه ولم يكن دعائنا ليستجاب لأن قانون الله تعالى لا يمكن أن يتغير، يقول تعالى:{ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ} (هود:١١٣)، أي لا تكونوا للظالمين وأهل الفتن عوناً فتمسكم نار ظلمهم، ولن يكون الله ناصراً لكم..

كما ونسينا قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (١٦٩) } ، (النساء)، أي من سنن الله تعالى أنه لا يمكن أن ييسر طريق النجاة للظالمين والكافرين إلا طريق جهنم وهو النهاية التي يستحقون. ولو لاحظنا حرف العطف الواو بين (كفروا)و (ظلموا) جاء للمجانسة أي أن المعطوف (الظالمين) ليس من جنس المعطوف عليه (الكفار). أما ما نوع ظلمهم فقد يكون أشد الظلم وهو الإشراك بالله تعالى، وقد يكون ظلماً من نوع آخر، ومعلوم أن من أسوأ أنواع الظلم هو عدم تطبيق شرع الله في خلقه { ..وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، (المائدة:من الآية٤٥).. فتأملوا اخوة الإيمان بأي ابتلاء ابتلينا بحكامنا الأفذاذ؟!!!.

ومن ما علمناه كتاب الله تعالى في تنقية المجتمع من الرذائل هو الذاتي والموضوعي. قد يكون الكثير من الناس يعرفون الفرق بين ما هو شخصي أو ذاتي وما هو موضوعي أو مهني ولكنهم لا يمارسونه فعلاً وتطبيقاً، بل إن أكثر الناس يعتبر أي توبيخ أو تنبيه لمهنية شخص كأنه عداوة شخصية له، وعلى العكس منهم من يستغل الموضوعي والمهني لمصلحة شخصية تخرجه من عن ملة الأمناء على المهنة.

يقول المثل العربي (الناس أعداء ما جهلوا) وما أعظمه من مثل، لأن ما يجهل ولا تعرف خفاياه يكون بعيداً عن عقل وتفكير الشخص الذي يعطي الحكم، فقد يظلم الخصم أو على الأقل لن يعطيه حقه كاملاً.

وعلى هذا الأساس جاء القرآن الكريم ليفصل في هذه الجزئية المهمة ويؤسس الميزان الفصل في هذا النوع من الظلم ويربي الناس

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على مكارم الأخلاق وفضائل التعاملات مع شتى الحالات والاعتبارات، فترى الشرع الحنيف يوضح تفاصيل مهمة في هذا :

١. يحث الناس على الحكم بالعدل حتى على من هم عدو لهم أو أناس بينهم عداء فكري، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ، (المائدة:٨) .

٢. قول الحق ولو على النفس، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}، (النساء:١٣٥).

٣. لا يحمل نفس بجريرة أو خطيئة غيرها:{ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}، (فاطر:١٨).. { أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، (لنجم:٣٨) .

٤. أن يترك الحكم لحين سماع الطرف الآخر كما جاء في قصة الخصمان مع سيدنا داود عليه السلام: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ}، (صّ:٢١).

٥. التشاور في الأمر واحترام رأي جميع الأطراف: {..وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ..}، (الشورى: من الآية٣٨). وكان عليه أفضل الصلاة والسلام دائماً ما يطلب المشورة رغم علمه ونبوته فيقول (**أشيروا علي أيها الناس**)، وقد قيل (ما خاب من استخار وما ندم من استشار).

٦. أن يتوثق من الأمر فلا تؤخذ الأمور بالظن: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}، (الحجرات:١٢).

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام : (**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**).

وغير ذلك من الأحكام التي تبين عظمة وسعة أفق الإسلام الحنيف، ولكن المؤسف أن الناس لفرط طيبتهم وجبلتهم وفطرتهم الطيبة يخلطون بين عاطفتهم اتجاه أمر أو ظاهرة أو شخص معين وبين ما هو واجب ومهني، فترى هذا يقول (خطية)، وذاك يقول (هذا ابن عمك وعيب عليك تعاديه)، وغير ذلك من الخلط بين ما هو يخص الشخص لذاته وبين ما يخصه لمهنته.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثانى

سبل الحل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني

سبل الحل

الحل يكمن في المعادلات القرآنية في كيفية العودة إلى تطبيق شرع الله تعالى بدءاً من النفس والأهل والمجتمع والأمة.. فالحل لهذه الأمة هو في كل خطاب قرآني بالنداء (يا أيها الذين آمنوا)، والذي هو نداء لكل غيور على دينه وعزة أمته في هذه الأمة المرحومة. وقد جاءت في ٨٩ آية بـ ٨٩ تكرار لتعطينا قوانين وسبل الحل في كل فنون وضروب التعاملات والأخلاق والتصرفات والسلوك في وقت الشدة والأزمات والحروب ووقت الفرج والسلم، في الفرد والأسرة والمجتمع... ومنها وغيرها استقى علماء الأمة فقه المعاملات والأخلاق والعبادات، ويمكن أن نقسم ذلك إلى مسائل عدة:

١- الحل المتعلق بالقاعدة البشرية للمجتمع، والحل فيها يكمن:

- بالعودة إلى المحور الباني للشخصية المسلمة وهي المدرسة النورانية العظيمة التي بدأ بها النبي ρ البناء وهو المسجد، ذلك الصرح الإلهي الذي لا يمكن أن يخطأ طريقه إذا ما توفرت فيه ثلاث شروط: الإمام العالم العامل العادل الصادق، شباب المسجد أهل الهمة والحماس المنضبط بشرع الله، وأهل العقد والرأي من المصلين، فإذا ما توحدت القلوب في المسجد على هذه الشروط أدى دوره في البناء وكان بحق المحور الذي نلتف حوله لأنه أحب بقاع الأرض إلى الله تعالى، وإلا كان كالمسجد الضرار الذي يبنى على جرف هار، وأبسط دليل على ما قلناه هو في ظرفنا العصيب هذا لم ينبري للحفاظ على أمن المناطق وشرف العوائل من السراق والرعاع إلا أهل المساجد، فهم من تبنى الحماية وتوزيع المساعدات الغذائية والطبية والخدمية وغيرها في كل أصقاع عراقنا الغالي.
- ويكون الحل أيضاً بالدعوة إلى الله تعالى في دولنا ودول الغرب بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد ذكرنا آنفاً كيف أن ابن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تيمية رحمه الله استطاع أن يقنع المغول بالدخول إلى الإسلام، وهذا البسطامي رحمه الله تعالى يدخل إلى الكنيسة ويلبس الصليب ليدعو أهل الكنيسة إلى الإسلام وعند دخوله قال القس هذا محمدي فقالوا له كيف عرفته؟، قال سيماهم في وجوههم من أثر السجود. وتلك أكبر الدول الإسلامية من حيث عدد السكان أندونيسيا وماليزيا لم تدخل الإسلام بالسيف وإنما بدعوة لتجار مسلمين كانوا يذهبون هناك فرأى الناس حسن صنيعهم وطيب معاملتهم وكرم خلقهم فتأثروا بهم وكان ذلك سبباً في دخول تلك الدول العظيمة في دين الله أفواجاً... وهذا الأستاذ الجليل الدكتور زغلول النجار الذي استطاع مع أخوة له أن يجعلوا من القوة الأمريكية التي احتلت منطقة الخليج إبان حرب الخليج الثانية وقوامها ٥٠٠٠٠٠ جندي بكامل قوته وحديده تذعن للإسلام بعد أن جاءت وهي مشحونة بالحقد عليه وكارهة لكل شيء ينتمي إليه من تراث أو فكر أو بشر أو حجر.. فقام هؤلاء المجاهدون بإلقاء عدة محاضرات للتعريف بالعلم والسبق الإسلامي في القرآن والسنة بين تجمعات الجند الأمريكيون في الطائف والرياض وجدة وغيرها، وإذا بهذا الجيش يعود بـ ٢٠٠٠٠ مسلم بين ضابط ومجند، ذكر أو أنثى، أسلموا وحملوا الإسلام بين عيونهم، فمنهم من يؤذن ومنهم من يبكي ومنهم الحاج والإمام في الصلاة حتى أنك لتعجب كيف أنطق الله تعالى هؤلاء بلغة العرب، ومنهم طيارين جعلوا نصف راتبهم يشتري به مصاحف ويوزعها على الكثيرين في الولايات المتحدة.

وعلى هذا فإنه بإمكاننا أن ندعو الغربيين إلى الإسلام وهم أهل حكمة كما أشار الحديث الشريف الذي ذكرناه في قانون المؤامرة... وهنا نؤشر حقيقة تعتبر من المبشرات بعودة الصعود الجديد للأمة رغم حوالك الأحداث لأنها تشبه تلك التي كانت في عهود الصعود المختلفة مما أعقب فترات النزول

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سابقة الذكر. ألا وهي كثرة الدعاة والعودة الحميدة لله وبيوته وكتابه وسنة رسوله ρ، وهو ما نجده في واقعنا الإسلامي على مستوى المحلة والبلدة والمدينة والدولة والقنوات الفضائية... فحيهلا بها من عودة.

- الحل أيضاً هو البدء بإصلاح أنفسنا وأهلينا ليبدأ الصعود من جديد لهذا البلد وهذه الأمة فهو قانون الله الذي لا يخلف، فالله الله في فقه الأخلاق والمعاملات والبناء الإسلامي للفرد والأسرة والمحلة والمدرسة والجامعة والشارع والمؤسسة والمجتمع لنصبح بالقدر الذي يؤهلنا للصعود لمرضاة الله تعالى ومجد وعز الدنيا والآخرة ...

ومن سنن الإصلاح ونحن نضع أولى خطواتنا باتجاه تصحيح المسارات الخاطئة التي أوصلت الأمة إلى حافات الهاوية، أن نحاول أن نصلح الخطأ الملازم لمشاعرنا العفوية الفطرية، وهو أن لا يكون همنا قرب هذا الشخص أو ذاك منا من ناحية القربى والنسب والجيرة والصداقة، بل يكون مقياسنا مدى صلاحيته لخدمة البلاد والعباد من ناحية العلم والدراية والأمانة والذمة والنزاهة وكل خلق كريم فاضل يجلب المصلحة العامة ويرفع الظلم ويقيم العدالة ويؤسس للتطور المنشود. فكم من جاهل وظالم وانتهازي ومستبد ومنافق وجبان وغبي صعد إلى سلم المسؤولية وأضاع الأمانة فجلب لنا الويلات بسبب هذه الخصلة الاجتماعية المتأصلة فينا فكنا سبباً في ضياعنا من حيث لا ندري، ولا ننسى أن كل أمة تعطي زمام أمورها بيد جهالها وسفاءها فإن مصيرها الدمار لا محالة، وصدق رسول الله ρ بقوله عندما سؤل عن الساعة **(إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)** قِيلَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ **(إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)**، قال بعض مفسري الحديث أي انتظروا ساعة النهاية لهذه الأمة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢- الحل المتعلق بأولياء الأمور، وهم الحكام والملوك والرؤساء، والحل فيها يتلخص بتطبيق المنهج الإسلامي... وهنا لا أريد أن أكون نمطياً أو واعظاً تقليدياً لأنني أؤمن بالعلمية التجريبية، وإنما أضرب مثلاً بدولة السويد غير المسلمة. إذ أصاب اقتصادها خلل وشبه شلل إبان الثمانينيات من القرن المنصرم، فطبق السفير أولف بالمه - هذا الرجل الفذ الذي اغتيل غيلة وظلماً من قبل أحفاد قتلة الرسل والأنبياء- النظام الاقتصادي الإسلامي الذي اقترحه على البرلمان من قبيل التجربة، ونجح في إنقاذ بلده، ولكن كانت مكافأته مقابل ما أسداه من خدمات لبلده أن يقتل. فأقول لأولياء الأمور: لقد جربتم سبلاً عديدة منها الغث ومنها السمين بل وحتى المضحك، فلمَ لا تجربون الحل الإسلامي بتطبيق الشرع في كل مجالات الحياة حتى وإن لم تعلنوا أن القرآن هو الدستور أو أن الدولة إسلامية، فالمهم التطبيق الفعلي وليس الشعارات. فإن نجحت التجربة فإن الناس ستسجل لكم إنقاذها من وضعها المزري، وإن لم تنجحوا –وهذا لن يكون- فهي تجربة مما جربتم برأسنا طيلة أكثر من ١٠٠ عام.

٣- كما ويدخل قانون الأخذ بأسباب القوة بكل مجالاتها في قوانين وسبل الحل التي نحاول استنباطها من كتاب الله تعالى، إذ يقول تعالى { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ }، (الأنفال :٦٠).

أسباب القوة المقصودة في الآية لا تقتصر على النواحي العسكرية حسب وإلا لما كان النص قد عطف رباط الخيل عليها. القوة هنا هي كل أسباب المنعة والتحصين المادي المتأتي من الأخذ بالسبب والتخطيط والحسابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والعلمية والبناء الفكري والتعليمي والتربوي والنفسي وكل ما يدخل في ميدان السباق هذا.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٤- وأيضاً من سبل الحل ما يكون من حوار الحضارات مع الغرب والشرق، على أن لا يكون من باب الاستجداء، وإنما من باب عزة المسلم، لأن الإسلام هو الحق المطلق، والدعوة إليه بالحكمة واجبة، فيجب العمل على أخذ اعتراف كل الأمم بهذا الدين بالحوار والحجة الدامغة.

ميكانيكية العمل

من الأساليب الناجعة والمؤثرة في تعجيل سرعة النهوض للأمة على المستويين سابقي الذكر –الدولة والمجتمع- ما نختصره:

١-**إقامة المشاريع الخيرية**: التي يقوم عليها أهل الخير والفضل واليسر المادي { وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }، (النور:٢٢).. ومن هذه المشاريع ما هو للداخل الإسلامي ومنها ما هو للخارج، أما للداخل فمنها مثلاً مشاريع الزواج ورعاية الأسرة، مشاريع الصحة والرياضة الجسمية والعقلية، مشاريع بناء المساجد والمدارس الفهية والدعوية ومشاريع التثقيف والتعليم الديني وبالاتجاهين الأفقي الدعوي والعمودي الفقهي والذي سنوضحهما في نقطة لاحقة أدناه... وأما للخارج فمنها مشاريع الدعوة إلى الله تعالى بالأساليب الحديثة وفي كل دول العالم.

وفي كل الأحوال تحتاج المسألة إلى أخطر وأهم ميكانيكية وتقنية ألا وهو الإعلام، فيجب إنشاء المطابع الحديثة ودور الترجمة للغات العالم المختلفة والإذاعات والفضائيات المنافسة المدروسة المناهج والمتطورة التقنيات... والأفضل أن يكون العمل مؤسسياً وليس

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شخصياً، لأن مردوده ونتائجه أكبر بكثير، فعندما سأل السياسي الأمريكي المعروف روبرت كرين الذي أسلم وأبدل أسمه إلى فاروق عبد الحق، ماذا تتوقع بشأن الإسلام في أمريكا والعالم؟، أجاب: لقد أصبح العالم الآن أصغر ويمكن الوصول إلى الإسلام الحقيقي بوساطة وسائل الإعلام وتحسن الاتصالات، لذا لا يمكن حجب الإسلام بعد اليوم، فلقد أنشأت الحضارة الإسلامية الأسلوب العلمي كطريقة للتفكير ولالتماس الحقيقة، ولقد استعار الغرب منها ما رآه ينقصه ولكن دون العامل الروحي وهنا يكمن الخطأ.. وضرب مثلاً أنه ألقى محاضرة عن الإسلام في جامعة جورج تاون وكان نتيجتها أن من ٢١ طالباً أسلم ٧ وأما الباقون فقد قالوا إنها أحسن دورة شاركوا فيها..

٢ـفك وإزالة بؤر الخلاف والاختلاف في الداخل الإسلامي:

إذ بإزالتها نكون قد وصلنا إلى أهم وأخطر حلقة في النصر والعزة ألا وهي الاعتصام جميعاً دون استثناء بحبل الله، وهو ما سبق وأن أشّرناه في ذكرنا للاستثناءات الخاصة بالإسلام: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}، (آل عمران:١٠٣).. { وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }، (آل عمران:١٠٥)... وهنا يجدر الإشارة إلى وجوب تحسين النوايا وجعلها خالصة لله بعيدة عن سلطان الكراسي والنفوذ وما إلى ذلك. كذلك فإن عقد المؤتمرات والندوات وإقامة المحاضرات بما يقرب وجهات النظر لجعل مصلحة الأمة فوق كل شئ يعتبر من الأساليب الموصلة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للهدف وبسرعة، فمثلاً في مجال التقارب المذهبي بين السنة والشيعة عقد مؤتمر مشهور في القرن التاسع عشر في مدينة النجف بالعراق سمي باسمها، ودارت فيه نقاشات معمقة لأوجه الخلاف بين الفرقتين، فكانت من أهم نتائجه الرائعة أن خرج الشيعة بقصائد تذرف لها الدموع في مديح الصحابة وعلى رأسهم أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم. فلماذا لا تتكرر هذه المؤتمرات الناجحة التي تخدم الأمة بدل من تركيز الفضائيات على أوجه الخلاف والإصرار على التفريق وإثارة النعرات بدعوى الإعلام الحر والإثارة الإعلامية التي ذبحتنا بسكين عدونا المسماة فرق تسد.

كما ويدخل ضمن ذلك أيضاً إفهام العامة بضرورة نبذ التعصب وقبول الرأي الآخر لأننا مسلمون وأولى أن نتقبل بعضنا البعض، وإذا كان الشرع الحنيف يحثنا على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بما هو أحسن مع أهل الكتاب وأهل الكفر لإفهامهم حقيقة الإسلام، فحري أن يكون ذلك شعارنا مع أبناء جلدتنا مهما وصلت جذور الخلاف والاختلاف إلى أعماق سحيقة.

٣-**التدرج في التطبيق** : البدء بتطبيق الشريعة من الأدنى إلى الأعلى بعد إفهام الناس عظمة التشريع الإسلامي في كل المجالات. وبهذا نبدأ البناء من قاعدة الهرم صعوداً إلى أعلاه، ولأن الهدم سريع والبناء بطئ متدرج، فهكذا إسلامنا متدرج بكل مراحله منذ البعثة الشريفة وكيفية تحويل مجتمع الجزيرة إلى المجتمع الرائع الذي وصل إليه بعد جهاد النبي ρ وأصحابه الكرام، مروراً بكل عملية إعادة بناء على يد المجددين وكما أسلفنا في فصل الاستثناء، وأوضحناه خلال الاستشهاد بأحاديث المصطفى ρ حول عرى الإسلام التي ستنقض في فصل الفتن،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والبشرى النبوية التي سنبينها في الخاتمة حول عودة الخلافة على منهج النبوة بعد فترات الابتعاد والتشرذم... أي أننا يجب أن نمنهج البناء ولا نقفز فوق حقيقة التدرج في البناء لأن ذلك من شأنه أن يقوض كل ما نبني ولن نصل إلى نتيجة وكما أخبرتنا تجربتنا الأخيرة خلال القرن المنصرم، فصدق القائل:

ألا متى يبلغ البنيان تمامه إذا كنت تبني وغيرك يهدم

فالصحابة الكرام تدرجوا في تطبيق الشريعة في أنفسهم وأهليهم ومعاملاتهم الأخرى بعد أن تعلموها من النبي ρ، فكانوا رضوان الله عليهم يحفظون الآية والآيتان ولا ينتقلون إلى التي تليها حتى يطبقوها لتصبح جزءاً من حياتهم، فأصل الشريعة بكتابها وسنتها للتطبيق وليست للحفظ، وإنما الحفظ أسلوب تعزيزي ليتم حفظها من أي تبديل وتحريف في الصدور قبل السطور. والآيات في ذلك واضحة جلية، يقول تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، (الأنعام:١٥٥).. { الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}، (إبراهيم:١).. { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }، (صّ:٢٩).. { كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ}، (الرعد:٣٠).

وإذن الآيات يحب أن تتلى وتتدبر لتطبق فتخرج الناس من الظلمات إلى النور، والمعادلة القرآنية الواضحة التي سبق وأن ذكرناها في كتابينا (المنظار الهندسي للقرآن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الكريم) و(القرآن منهل العلوم)، تدل على أن التدرج في العلم يؤدي إلى الخشوع والإخبات: { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، (الحج:٥٤)، وهذه المعادلة تنطبق على جميع البشر عربهم وعجمهم، رجل كان أم امرأة، لأنها سنة وقانون التدرج.

لذلك إذا أردنا صياغة المسألة الدعوية لتطبيق شرع الله تعالى بأسلوب هندسي، نقول أن الدعوة إلى الله تعالى تكون بقسمين أو محورين:

أ- **المحور الأفقي الدعوي**: وهو يمثل دعوة الناس لمعرفة عظمة خالقهم وروعة دينهم، وتكون أما بأسلوب القصص القرآني، أو السيرة النبوية الشريفة، أو الإعجاز القرآني والنبوي بشتى صوره وأساليبه، أو التذكرة بالآخرة وأمور العقائد وغيرها. ويساهم هذا المحور في زيادة وعي العامة بأمر الدين الذي انتزع منهم في غفلة مما يدفع بمن يجهل ليكون أكثر حذراً من السقوط في شرك الأفكار المنحرفة ويساهم في عودته لربه الذي يكون أكثر فرحاً بهذه العودة من فرح الأم المكلومة بفقد ابنها حين تجده كما ينبأنا الله تعالى في الحديث القدسي. وينهض بهذه المهمة من شرفهم الله تعالى بها فيكونون واعين لدورهم مسلحين بكل ما يؤهلهم لأدائها، وأي شرف بعد هذا الشرف أن يكونوا على طريق أنبيائه ورسله، { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، (يوسف:١٠٨).

ب-**المحور الشاقولي الفقهي والتطبيقي**: وهو يمثل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التفقه في الدين والدخول فيه بعمق أي عمودياً، وهذا يتطلب تعليم العلوم الشرعية في اللغة والفقه والعقيدة والحديث ومنها على سبيل المثال لا الحصر علوم اللغة والتفسير كالنحو الصرف وفنون البلاغة وعلوم الاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات، وذلك لمعرفة شرح مفردات الألفاظ ومعلوماتها بحسب الوضع وإعرابها وتصريفها وقراءتها. كذلك معرفة علوم الأصول كأصول الدين، وعلوم الفقه وأصوله، وعلوم الحديث فالأحاديث الصحيحة مبينة للمجمل والمبهم، والتي بها مجتمعة تعرف الأحكام من دلالات النصوص باعتبار المعاني وضعاً واستعمالاً في الخاص والأمر والنهي والمطلق والمقيد والعام والتخصيص والمشترك والحقيقة والمجاز, منطوقاً ومفهوماً, وضوحاً وخفاءً في الدلالات القطعية والظنية والغامضة... ولا ننسى علوم القرآن كعلم أسباب النزول، وبه تفهم الآية بحسب ما أنزلت فيه من أحداث، وعلم الناسخ والمنسوخ، وبه يعرف المحكم وغيره... وهذا كله يؤطر بالأساليب التطبيقية لجعل الشريعة منهاجاً يومياً في حياة الناس في فقه المعاملات والأخلاق وآداب التصرف والسلوك كي نتحول إلى الأمة التي تنتسب فعلاً لا اسماً لمنهج النبوة الكريم الفاضل.

من كل ذلك وبمقارنة بسيطة بين ما كان من أمر الأجيال أو القرون الخيرية الأولى – جيل الصحابة والتابعين وتابعيهم- التي أخبر عنها المصطفى ρ، وبين الأجيال اللاحقة وخصوصاً أجيالنا الحاضرة، نجد أن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التطبيق بين المحورين كان متوازياً أي سير في المحور الأفقي مع تبحر في التطبيق وعلوم الشريعة. بينما أجيالنا الحاضرة تركز على المحور الأفقي أكثر، وقد تكون لها عذرها لأن الهدم الذي حصل لعرى الإسلام كما أسلفنا كان سريعاً فيتطلب أولاً إرجاع الناس لفهم ومعرفة ربها ودينها بشكل عقائدي أفقي ومن ثم الانتقال إلى التبحر في الاتجاه التطبيقي الفقهي.

وبمجموع هذين المحورين نكون قد وضعنا الأمة على الخطوات الصحيحة باتجاه الصعود الجديد الذي عمله كل المجددون الذين ظهروا عبر التاريخ الإسلامي المتجدد والخلاق كعمر بن عبد العزيز وأبو حامد الغزالي وعبد القادر الكيلاني وابن تيمية والرازي والعز بن عبد السلام ومحمد بن عبد الوهاب والإمام البنا وغيرهم من أماجد هذه الأمة رحمهم الله تعالى ورضي عنهم.

وإذا سمح لنا بتمثيل ذلك هندسياً لأغراض المقارنة فيمكن رسم العلاقة التي يبينها الشكل المبين أدناه .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

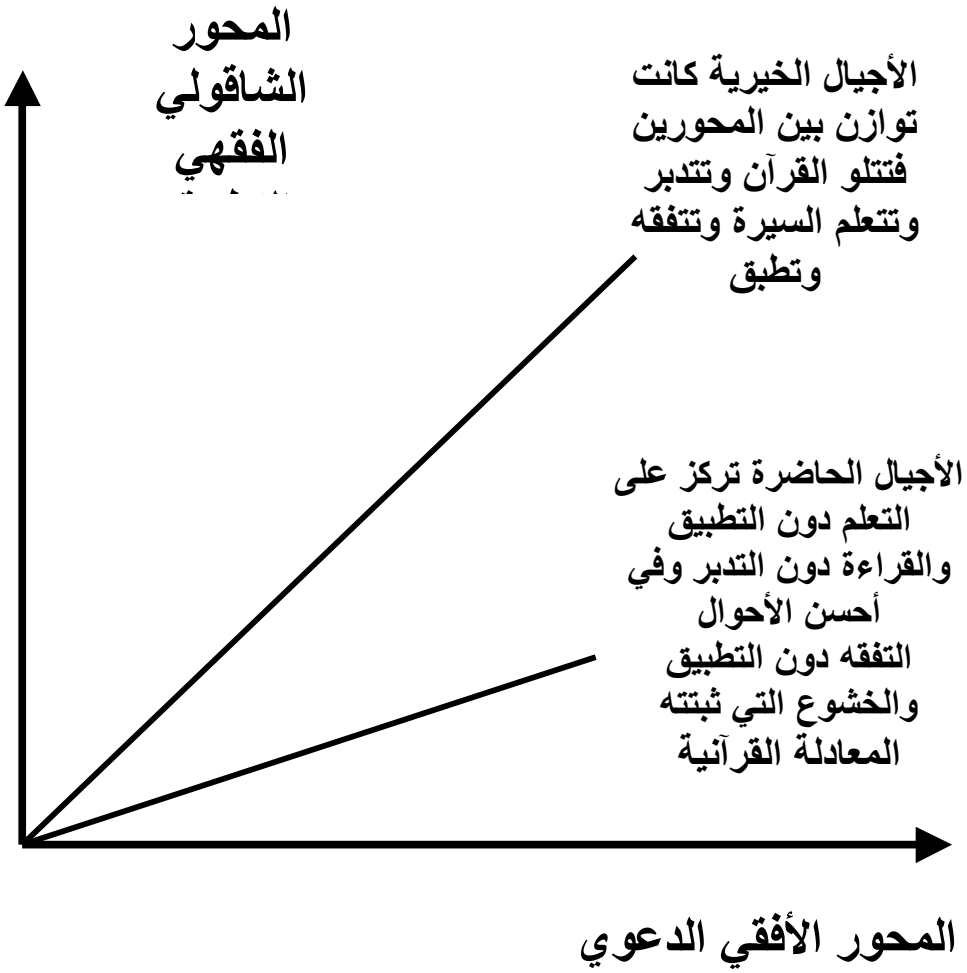

شكل يوضح مقارنة بين جيلنا والأجيال الخيرية في كيفية فهم العلاقة بين التعلم والـ والتفقه والتطبيق والتي ثبتها القرآن الكريم في المعادلات التي أشرناها في الآيات المباركات آنفة الذكر ومنها قوله تعالى في الحج: ٥٤

{ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٤-**تقوية الاقتصاد الإسلامي**: وفي ذلك قوة للمسلمين على جميع الأصعدة والنواحي الفردية منها المتمثلة بحسن توزيع الثروات على الناس وخلق وظائف لهم وتمكينهم من سبل العيش الرغيد، والجماعية على مستوى الدول والتجمعات الاقتصادية المبنية على أسس اقتصادية شرعية متينة. والله تعالى يحب العبد القوي ولا يرضى لعباده المنتمين لأمة حبيبه ρ أن يكونوا ضعفاء، فكل ذلك يدخل ضمن مفهوم الآية الكريمة { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ...}، (لأنفال: من الآية٦٠). والقوة كما لا يخفى على أهل اللب من أمثال حضراتكم لها عدة أذرع يشكل الاقتصاد والمال أهمها لأن حوله تدور بقية المحاور.. كما يدخل في هذا المحور عملية توزيع الثروات على الأمة المتمثلة بالأمر القرآني الذي ذكرناه في بداية الكتاب والمتعلق بالمبدأ الاقتصادي المهم من قوله تعالى { ...كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}، (الحشر: من الآية٧).. وفي هذا قد يسأل سائل، أليس المسألة تدخل ضمن واجب الحكومات، فنقول ليس بالضرورة، إذ يمكن لأهل العقد والرأي والمال والفضل أن يشتركوا في تشكيل الأعمال والمشاريع الخيرية التي ذكرناها في النقطة الأولى.

٥-**إفهام العالم حقيقة الإسلام**: وهذا هو دور الدول حكومات ومحكومين رعاة ورعية على حد سواء، فواجب الدعاة ودعمهم لإيصال صوتهم للناس أجمعين لأن ذلك واجب على الجميع، وخصوصاً أهل الدعوة، لأن هذا القرآن سنسأل عنه جميعاً أحفظنا أم ضيعنا واجب العمل به والدعوة إليه { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ }، (الزخرف:٤٤)... لتعلم أخي الكريم أننا كلنا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مسؤولون، فالذكر أي القرآن والشرع بعمومه لا يسأل عنه رسول الله ρ حسب وهو من أدى الأمانة على أكمل وجه، وإنما كل قومه ρ من المسلمين عربهم وعجمهم سيسأل عنه يوم القيامة، ما الذي قدموه لخدمته، وإذا لم يكن هم الإسلام وأهله يعيش معنا في كل الأوقات كما يهمنا أمر الرزق والعيال فلننتظر مزيداً من المآسي والهزائم، فإذا كان اليهود بكل ما يعرف عنهم من بخل قد قدموا لقضيتهم المال والجهد والسعي تحت شعار (ادفع دولارا تقتل مسلماً)، فكيف بنا نحن أمة الكرم والخلق والرقي والعلم، هل نترك ديننا هكذا؟. إذن القياس هو أنه إذا كان في قلوبنا همٌّ للدين وخدمته - كل حسب استطاعته بالمال والقلم والفكر والعلم والدعوة إلى الله تعالى والخلق الرفيع والقدوة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح ووحدة الصف والكلمة والتكافل وغير ذلك - كهم العيال والرزق والمستقبل فإننا على خير، أما إذا لم يتعد همنا بطوننا وفروجنا فهذا هو المقتل الذي يبتغيه لنا العدو .

٦-الاهتمام بالعلم التطبيقي والتجريبي والبحث العلمي:

وهنا يجب إدخال الأجيال الإسلامية في معترك الحياة البحثية العلمية والتجريبية جنباً إلى جنب مع تعليمهم العلم الشرعي، لأن في ذلك أخذ بأسباب القوة من جهة وتحقيق لقانون الله في الاستخلاف الذي نبهنا إليه في البداية، ومن أحق بالعلم وأسبابه من المسلم الخلوق التقي الورع الذي يمشي على الأرض هوناً، فالحكمة ضالة المؤمن أين ما وجدها فهو أحق بها كما علمنا سيد الخلق وأشرف معلم مشى على الأرض صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه والتابعين.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كل تلك النقاط يمكن أن تقوم بها الحكومات أو الحركات و الأحزاب و المؤسسات الخيرية أو تجمعات أو حتى أفراد تعمل بمنهجية وهمة وتخطيط ودراسة. وليكن شعارهم قول الحسن البصري τ في تنظيره للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، أو الراشدي الخامس كما يطلق عليه لعدله τ، إذ بعث الخليفة إلى عالم البصرة التابعي الجليل بكتاب يقول فيه: (من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى العالم والتابع الجليل حسن البصري: اجمع لي بإيجاز بين أمري الدنيا والآخرة في كتاب).. فأجابه البصري:(إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط ونحن في أضغاث أحلام.. فمن حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر.. ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم ومن خاف سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل.. فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك)... فتأملوا أي رقي وفطنة وتنظير هذا الذي جاءت به أمتنا لهذا العالم..

وأما السبيل إلى استقلالنا بحضارتنا الإسلامية مع التفاعل البناء مع كل الحضارات الأخرى دون المس بالمفاهيم والأسس المميزة لشخصيتنا فهو:

١- أن نعود إلى فهم إسلامنا وقرآننا بشكل صحيح، فلا عزة لنا إلا به يقول عمر τ ((أيها العرب لقد أعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة في غيره يذلكم الله)).. ولنا في تجربتنا منذ أن خلعنا الإسلام عنا وما صاحب ذلك من هوان لنا التجربة والعظة حتى ليقول احدهم: ((العرب صراصير متى شئنا دسناهم بأقدامنا)).

٢- أن نستقل بشخصيتنا الإسلامية فلا تقليد ولا تبعية في المظهر والمخبر والاقتصاد والسياسة والاجتماع والعادات والتقاليد،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}, (آل عمران:١١٨).

٣- أن نقوم على خدمة ديننا وكتاب ربنا وسنة رسولنا ρ بكل صنوف الخدمة وأنواعها التعليمية منها أو الفكرية والمالية والنفسية والاجتماعية والعسكرية وغيرها، وكذلك بقية حدود الله المنسية والبعيدة عن واقعنا حتى يعلم أعداء الله إنا امتداد لذلك السلف الذين أذلوا الكفر وأهله ولم يتجرأ يهودي أو صليبي أن يرفع رأسه متجبراً علينا إلا في عصرنا الأسود الذليل هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [١].. كما وأن الأمر لله من قبل ومن بعد، فكما أن الله تعالى قد هيأ الظروف عند بداية الدعوة الشريفة في كل أمم الأرض لنشرها بالكلمة والسيف، فإن الظروف في بقية العصور خصوصاً في عصرنا الراهن وإن قصرت في أن تكون مهيأة لنشر الدعوة بالسيف فإن الله تعالى قد أبدلنا بظروف علمية وتقنية تكون الدعوة فيها مهيأة للنشر حسب مقتضيات عصرنا الرقمي هذا، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولكن ما الذي علينا فعله لنصرة الدين والأمة، هل نتركه هكذا يفعل بأهله ونقول النصر قادم، لا يا أخوة، الحل هو في القانون الاستثنائي الذي خص الله به هذه الأمة وهو العودة إلى الله تعالى، ستقولون إن الكثيرين يصلون ويقيمون العبادات ويدعون فما المطلوب بعد ذلك؟.

---

(١) عن كتاب المنهاج مع بعض التحوير والإضافة، الشيخ هاشم محمد / الجزء الثاني/ ص١١٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

الجواب في الحديث الشريف الذي ينبئنا أن المشكلة ليست في العبادة وإنما التنافس والمعاداة فيما بيننا وترك الجماعة واستسهال الحرام بكل أنواعه من أكل الربا والسحت والزنا ومال اليتيم وكذب وغيبة ونميمة وقتل وهتك أعراض وغير ذلك، فأصبحنا كمن يدير ظهره لتعليمات وأوامر الله تعالى في كتابه الكريم فعلينا أن ننتظر أن الله تعالى ليس له عهد معنا لأننا لم ننصر دينه بإقامة شرعه فلا يمكن أن يكون هناك تدخل لنصرتنا فنترك للحسابات الدنيوية الفنية البحتة التي يعلم الجميع أنها ليست لصالحنا وعليه لا يمكن أن ننتصر.

لقد مرت بنا نكسات كثيرة وصعاب عديدة بسبب ابتعاد بعضنا عن الدين وانغماسهم في ملذات الدنيا أو الهوى والآراء وضعية، ولعل أبرز هذه الحالات كانت في الأندلس وصقلية وشرق أوربا وشرق وأواسط آسيا ثم تركيا ففلسطين وأفغانستان، وأخيراً العراق، وكأن هذه المحطات كانت تحدث دائماً لنفس الأسباب ليرينا الله بها أن لا مفر لنا إلا الرجوع إليه لننتصر، فهل نحن فاعلون كي نعيد صعود حضارتنا من جديد، فتلك هي سنن الله تعالى في الأقوام والقرى { سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً} ، (الأحزاب:٦٢)..{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }، (الفتح:٢٣).

وإن ما حدث ويحدث في فلسطين من انتفاضة مباركة, وما حدث في الولايات المتحدة من يوم الثلاثاء أو ما يعرف بأحداث ١١/أيلول ٢٠٠١م, وما تلاها من تكالبهم على الإسلام والمسلمين في كل مكان ومنهم شعب أفغانستان المسلم الشقيق, ومن ثم غزوهم للعراق, وإعلانهم أنها حرب صليبية جديدة, كل ذلك يؤشر بداية النهاية لدولتهم المتغطرسة, وزوال ملكهم البائس.

ليس هذا الكلام من باب الأماني والأحلام, وإنما وقائع وثوابت وحقائق تأريخية تؤكدها سنة الله في الأرض وقانون التاريخ الذي رسم قيام وزوال الدول والامبراطوريات عبر الحقب الزمنية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المتعاقبة من تاريخ البشرية. هذه الحقائق ذكرها أيضاً كبار منظري السياسة الأمريكية, وكذلك كبار الاقتصاديين الأمريكان الذين أشروا العجز الاقتصادي الأمريكي والمصير الأسود الذي ينتظره, فضلاً عن التنبؤات الفلكية والجيولوجية التي تم تأشيرها من قبل العلماء المختصين من أن هناك كوارث مدمرة ستقع بالولايات المتحدة الأمريكية في العشرين سنة القادمة ستحيلها إلى خراب ودمار هائلين وكما أشرنا آنفاً, ولله جنود السماوات والأرض.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثالث
(المشهد الثالث لمثال الشلال)
الخاتمة
قانون النصر

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثالث

(المشهد الثالث لمثال الشلال)

الخاتمة (قانون النصر)

وبعد كل ذلك هل هناك من مجال للإحباط واليأس في حياة المسلم خصوصاً إذا ما علم أن النهاية التي بشرنا بها الله تعالى هي نصرة الإسلام وهو المنظر الثالث من مناظر مشهد ومثال الشلال، أي تلك الانسيابية والرقراقية والجمال للماء وكما حصل عبر تاريخ الإسلام الطويل، وكما تعبر عنه الآيات القرآنية الآتية التي ترسم قانون النصر الذي لا مفر منه ولو كره الكافرون والمشركون والمنافقون.

يقول تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}، (الأنفال:٣٦).. و يقول تعالى. { يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)} ، (التوبة).. ويقول أيضاً {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً} ، (الفتح:٢٨)... ويؤكدها سبحانه ثالثة {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }، (الصف:٩).. وكلمة (ليظهره) اللام سببية، أي ما جاء الإسلام إلا ليظهر ويغلب، وكلمة يظهره أي يجعله ظاهراً فوق الآخرين كما يكون المنظر الثالث لمثال الشلال، ماء مستقر رقراق تظهر موجاته العليا على ما دونها من موجات. أما كلمة الدين فتعني اصطلاحاً القانون، أي ليجعل دين وقانون الإسلام ظاهراً على كل القوانين الأخرى، والدليل من الكتاب قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام {.... مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّه...} ، (يوسف: من الآية٧٦)، فالدين هنا يعني قانون الملك.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويؤكد هذا الوعد بقوله تعالى { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}، (الأنبياء:١٠٥).. {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)} ، الصافات.

وقد ذكرنا آنفاً ما جاء في تفاسير قوله تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}، (النور:٥٥)، في معرض حديثنا عن الاستثناءات الخاصة بالأمة..

وفي الحديث نجد تأكيداً وتفصيلاً لهذا القانون المهم، إذ ينقل الإمام أحمد في مسنده (مسند الكوفيين ١٧٦٨٠) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ρ وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثَهُ فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ فَقَالَ يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ρ فِي الْأُمَرَاءِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ)**، ثُمَّ سَكَتَ. وقد حصلت جميع تلك المراحل باستثناء الأخيرة، فالنبوة، ثم خلافة على منهجها في عهد الخلفاء الراشدين، ثم ملكاً عاضاً أي كالثمرة التي عضت فهي ناقصة كما حصل في عهد الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية فهي كانت ترمز للدولة الإسلامية التي تطبق الشرع لكن بخلل جوهري وهو الخلافة الوراثية التي يرفضها الشرع الحنيف الآمر بمبدأ الشورى، ثم جاء

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الملك الجبري وهو ما تبع سقوط الدولة العثمانية من نظام ملكي وجمهوري دكتاتوري جبري قمعي في الدول الإسلامية وهو ما شهدناه ونشهده اليوم، فلم يبق إذن سوى العودة إلى الخلافة على منهج النبوة وهو الذي سيكون بإذنه تعالى.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده (مسند أنصار٢٠٢٧٥) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ : (**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ**).

أخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية وكذا في كنز العمال (٧٧/١) والحاكم عن أبي ثعلبة الخشني قال: قدم رسول الله ρ من غزاة له، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين وكان يعجبه إذا قدم من سفر أن يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين يثني بفاطمة ثم أزواجه. فقدم من سفره مرة فأتى فاطمة رضي الله عنها، فبدأ بها قبل أزواجه، فاستقبلته على باب البيت فجعلت تقبل وجهه وعينيه وتبكي، فقال لها رسول الله ρ : (**ما يبكيك ؟**)، قالت أراك يا رسول الله، قد شحب لونك، واخلولقت ثيابك، فقال لها رسول الله ρ (**يا فاطمة لا تبك فإن الله بعث أباك بالحق بأمر لا يبقي على ظهر الأرض بيت وبر ولا مدر ولا شعر إلا أدخله الله به عزاً أو ذلاً حتى يبلغ حيث يبلغ الليل**).. وكذا ما ذكرناه في موضع سابق من حديث المقداد ابن الأسود في قوله ρ (**ما على ظهر الأرض بيت حجر ولا مدر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل أما بعزهم فيجعلهم من أهلها وأما بذلهم فيدينون بها**).

ويعضده الحديث الذي أخرجه الأمام احمد في مسند الشلميين عن تميم الداري (١٦٣٤٤) قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρ يَقُولُ (**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ**)، وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ...

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

من هذه الآيات والأحاديث المباركة تجد أن المبشرات بالنصر كثيرة، ولكن علينا العمل. فكل المراحل السابقة قد مرت وحصلت، وها نحن ندخل في مرحلة الاستعداد للرجوع لمنهج النبوة، لذلك لا مجال للإحباط في حياة المسلم ولا يمكن له أن يقبل بالهزيمة لأن هذا الدين متين وهذا القرآن عظيم لا يناجزه أحد إلا غلبه كما بشرنا الهادي البشير ρ.

لذلك أخوة الإيمان في كل أمة الإسلام لا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، ولا تقولون إن الإسلام انتهى وعلينا أن ندير ظهرنا له وننطلق نحو الفكر الغربي فهذا لعمري كل ما يريدونه.

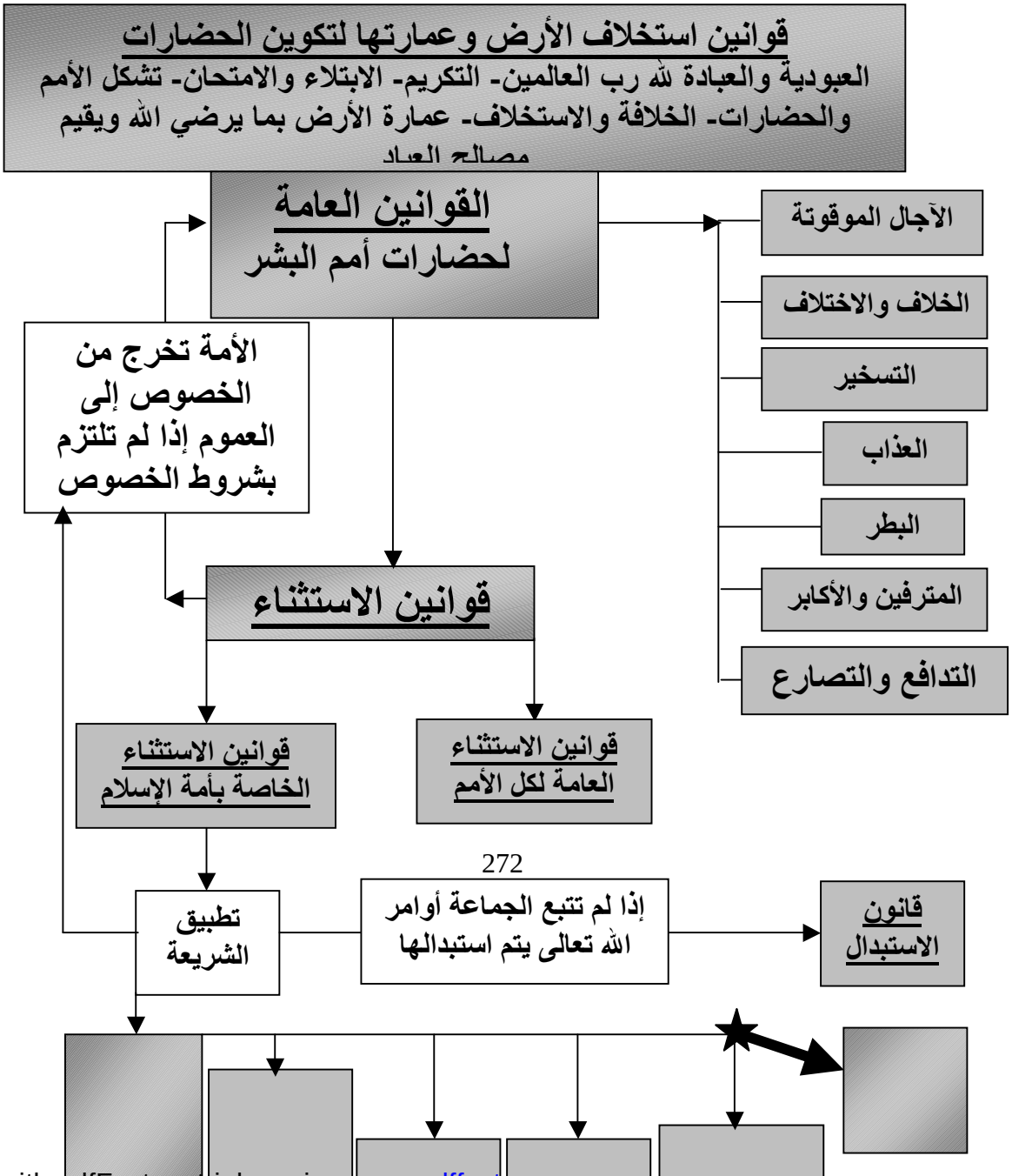

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بعد هذا الاستعراض لأهم القوانين القرآنية لحضارات بني البشر، وقوانين الاستثناء العام والخاص، وقوانين الدعوة للخير وما ينتج عنها، وضربنا لأمثلة الأمم التي فصل القرآن الكريم والحديث الشريف فيها، نحاول جمع هذه القوانين في مخطط لفهم العلاقة على هيئة شكل تخطيطي، وهو ما نوضحه في الشكل أعلاه .

~~~~~~~

إن ما حصل من سقوط محزن للعراق وحاضرة الدنيا بغداد هو بداية لنهوض الأمة تماماً كما حصل في مرات سابقة، فدائماً ما يكون لبغداد والعراق عموماً علاقة طردية، فقوة العراق تعني قوة الأمة وضعفه يعني ضعفها، ودائماً ما يكون صعود الأمة بعد كبواتها يأتي إثر حصول حالة التردي والسقوط لمدينة السلام بغداد، وإن ما سيكون من قوابل الأيام سيثبت هذه العلاقة التي ما أخطأت أبداً، وسبحان ربك مدبر الأمر ومقلب الأحداث في السماوات والأرض، فله الأمر من قبل ومن بعد وهو غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com
~~~~~~~

وأنتم يا أخوة الإيمان في قلب الأمة وأهل الرباط في فلسطين، ودرة العرب وحصة الأمة في العراق، وأهل الغيرة وصدق النية في أفغانستان لا تقولوا لماذا نحن نبتلى وغيرنا ينعم برغد العيش؟، فرغم أننا نتمنى الخير لكل المسلمين، إلا أن الله تعالى يجعل لهذه الأمة في كل عهد أقواماً يشرفهم بابتلاءات خاصة لما يعلم فيهم من خصائص.

عليكم أن تعلموا يا أخوة أن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه وتلك الأيام نداولها بين الناس { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }، (القصص:٨٣)، فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

وهنا نستشهد بحادثة توزيع الغنائم يوم حنين وما حصل من الصحابة من الأنصار وهم من هم من المنزلة الرفيعة والقدر، فهم من تربى على يد المصطفى ρ ولكن بعضهم تأثرت نفسه بأمر دنيوي وهذا مما جبل عليه البشر وليس فيه عيب ولكن الإسلام يربي أهله على حب الآخرة والرضا بما قسم لهم من الدنيا. فكما جاء في السير عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ρمَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ρقَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ قَالَ ρ : (**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ**)، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي وَمَا أَنَا قَالَ :(**فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ**)، قَالَ فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ρ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ : (**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مَا قالَهُ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) قَالُوا بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ قَالَ :**(أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ)** قَالُوا وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ قَالَ: **(أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ρ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ)** قَالَ فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ρ وَتَفَرَّقْنَا .

كما ولنا الحق أن نستشهد بحادثة أخرى تدل على أن الناس يصيبها أحياناً التعب من شدة الأحداث وهول المصاعب، فكما جاء عند جل أهل السنن ومنهم الشيخان أن بعض الصحابة اشتكوا إلى الرسول ρ عسر الحال وصعوبة الأمر عليهم، فعن قَيْسٌ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ρ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ : **(كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ).**

فاصبروا أخوة الإيمان فإن اليسر يأتي بعد العسر والفرج بعد كل شدة وقد يكون ذلك ليس في عمرنا المقدر ولكننا نتعجل النتائج، ويقيناً أن الله حافظ لدينه ناصر لأمته.. ووالله كلما ضاق الأفق فإن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تباشير النصر والعز لأمة الإسلام تلوح كما علمنا الكتاب العزيز وسنة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أجمعين، وبالأخص سنة المصطفى عليه أفضل السلام وأتم التسليم، فتلك هي سنة الله في خلقه وامتحان عباده الصالحين الأعزاء عليه سبحانه، ولعلنا اليوم أقرب إلى النصر مما نتصور لأن الحلقة قد ضاقت كثيراً، وصدق القائل:

ورب نازلة يضيق بها الفتى وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ونتضرع إلى الله تعالى الذي هو سر فوز ونصر هذه الأمة عند كل الخطوب وفي كل الأوقات أن يفرج عن المسلمين ما هم فيه وأن يرينا صعود مجدنا من جديد بعد أن يسهل لنا سبل العودة الحميدة إليه تعالى:

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ أنت المعدُّ لكل ما يُتوقعُ
يا من يُرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزعُ
يا من خزائن رزقه في قول كن أمنن فإن الخير عندك أجمعُ
ما لي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري أدفعُ
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رددت فأي باب أقرعُ
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يُمنعُ
حاشا لجودك أن تُقنِّط عاصياً الفضل أجزلُ والمواهبُ أوسعُ
ثم الصلاة على النبي وآله من جاء بالقرآن نوراً يسطعُ

~~~~~~~

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com
~~~~~~~

ويظل النداء القرآني الأزلي يصرخ في الأمم كي يعلموا قوانين الله تعالى في الحضارات فيتقوا الله تعالى ويحققوا العدالة ليحفظوا كرامة بني آدم الذي كرمه خالقه، وعندئذ تكفر عنهم سيئاتهم وتزال عنهم المصائب والمحن ويأمنون الكوارث ويأتيهم الخير كله وكل ما يرجوه ويطلبوه من ربهم رغداً، فلا يبقى محروم ولا مكلوم ولا مظلوم والكل يأخذ حقه ويقوم بواجبه، ولكن المشكلة أن الناس لا يتعظون بدروس وعبر التاريخ، ويا حسرة على العباد:

{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (المائدة:٦٥).

{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) }، (الأعراف).

~~~~~~~

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمين وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com
~~~~~~~

تم وبنعمته تتم الصالحات
بغداد- العراق
١٥ - شعبان- ١٤٢٤هـ
١١/ تشرين أول/ ٢٠٠٣م

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المصادر
و
المراجع

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أ. الكتب العامة

١. أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم علي شعوط، الأستاذ بجامعة الأزهر، المكتب الإسلامي، ط/٥، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٢. أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث، د. محسن عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مطبعة وزارة التربية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣. الإسلام بين العلماء والحكام، تأليف الشيخ الشهيد عبد العزيز البدري عام ١٣٨٥هـ -١٩٦٥م. مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٤. أسماء الله الحسنى أسرارها وصفاتها، الدكتور محمد بكر إسماعيل، دار المنار، ط/٢، القاهرة- ج.م.ع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
٥. الإعجاز القرآني، المؤتمر الأول للإعجاز القرآني الأول المنعقد بمدينة السلام بغداد ، العراق للفترة ٢١-٢٦ رمضان ١٤١٠هـ الموافق ١٦-٢١ نيسان ١٩٩٠ م.
٦. التفسير الكبير للأمام الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، ط/٢، طهران -جمهورية إيران الإسلامية..
٧. توحيد الخالق، عبد المجيد عزيز الزنداني، مكتبة المثنى ، بغداد، ٣ أجزاء.
٨. حياة الصحابة – ٣ أجزاء، الكاندهلوي، دار صادر، ط/١، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة الشيخ ابن السعدي،.ط/١ طبعة منقحة عن دار الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٠. الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، القاهرة.
١١. الدور الحضاري للأمة الإسلامية في عالم الغد، نخبة من الباحثين، إعداد مركز البحوث والدراسات بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي التاسع في دولة قطر، ط١، جمادي آخرة ١٤٢١ هـ-أيلول ٢٠٠٠م.
١٢. الرحيق المختوم, صفي الرحمن المباركفوري, دار العلوم, ط/١ ,عمان- الأردن, ١٤٢٣هـ, ٢٠٠٢م.
١٣. روائع البيان لمعان القرآن مع أسباب النزول، دار الأرقم، عمان-الأردن، ط/١،١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م.
١٤. زبدة التفسير من فتح القدير، محمد سليمان غبد الله الأشقر، ط/٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.
١٥. سلسلة كتب (ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية – ١٥ جزء-)، الدكتور المهندس خالد العبيدي، مطبعة أنوار دجلة، بغداد- العراق، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٦. الشريعة الإسلامية ومكانة المصلحة فيها, القاضي فاضل دولان, مطبعة أنوار دجلة, بغداد, العراق, ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٧. صراع الأفكار في المجتمع الإسلامي، د. محسن عبد الحميد، الطبعة الأولى، مطبعة وزارة التربية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٨. صِدَام الحضارات - إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتجتن، ترجمة طلعت الشايب، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م.
١٩. صفوة البيان، محمد حسين مخلوف، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٦م.
٢٠. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ٣ أجزاء، دار القرآن الكريم، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٢١. صناعة الحياة، د. محمد أحمد الراشد، دار المنطلق لنشر وتوزيع الكتب والقرطاسية، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط/٢، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢٢. علوم الحديث، د.عبد الكريم زيدان/عبد القهار داود عبد الله, مطبعة عصام, بغداد, ط/٢, ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
٢٣. علوم القرآن الكريم, الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فرغل البلبني, تحقيق الدكتور رشيد نعمان التكريتي, طبع دار الرشد, بغداد, ١٤٢٣هـ, ٢٠٠٢م.
٢٤. العولمة والأقلمة، اتجاهان جديدان في السياسة العالمية، د. ريتشارد هيجوت، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط/١، ١٩٩٨م.
٢٥. في ظلال القرآن، ٦ أجزاء، للسيد قطب، دار الشروق، بيروت.
٢٦. القرآن منهل العلوم, د. خالد العبيدي, طبع الجامعة الإسلامية ببغداد ١٤٢٣هـ, ٢٠٠٢م.
٢٧. كتاب المنهاج، الشيخ هاشم محمد، سلسلة بعدة أجزاء، دار البيان، الكويت، سنوات مختلفة.
٢٨. كيف نتعامل مع القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، سلسلة كتاب الجيب (٣)، المكتب الإسلامي، القاهرة.
٢٩. المبشرات بانتصار الإسلام، د. يوسف القرضاوي، سلسلة رسائل ترشيد الصحوة (٩)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ١٤١٩هـ –١٩٩٦م.
٣٠. مجلة الأسرة الإسلامية السعودية، أعداد مختلفة.
٣١. مجلة البيان الإسلامية السعودية، أعداد مختلفة.
٣٢. مجلة التربية الإسلامية العراقية، أعداد مختلفة.
٣٣. مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، د. عماد الدين خليل، مطبعة الزهراء الحديثة، ط/٢، الموصل، العراق، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
٣٤. مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، د. محسن عبد الحميد، شركة الرشد للطباعة والنشر المحدودة، بغداد، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٥. المنظار الهندسي للقرآن الكريم، د. خالد العبيدي، دار المسيرة، عمان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
٣٦. هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، د. ماجد عرسان الكيلاني، الدار السعودية للنشر والتوزيع.
٣٧. يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب, الأستاذ سفر الحوالي, ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

ب) المعاجم والفهارس اللغوية

١. قاموس المورد إنكليزي – عربي، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٦٧.
٢. معجم تفسير كلمات القرآن, محمد عدنان سالم ومحمد وهبي سليمان, دار الفكر المعاصر, ط/٢, بيروت, لبنان, ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٣. معجم اللغة العربية، مختار الصحاح، الإمام محمد أبو بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة النهضة، بغداد – ١٩٨٣.
٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٥. المعجم الوجيز، طبعة دار التحرير، ١٩٨٩م.

جـ- برامج الحاسوب

١. برنامج القرآن الكريم على الحاسبة الإلكترونية، نسخة تحتوي تفاسير ابن كثير والقرطبي والجلالين، قرص مدمج، إصدار شركة صخر لبرامج الحاسوب، الإصدار السادس، ١٩٩١-١٩٩٦م.
٢. برنامج المترجم الوافي (ترجمة عربي – إنكليزي وبالعكس), ATA Software, الإصدار/٢.
٣. برنامج مصحف النور للنشر المكتبي, قرص ٣،٥ إنج, إصدار شركة سيمافور للبرامجيات, الإصدار الثاني.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٤. برنامج مكتبة أصول الفقه, قرص مدمج يحوي مئات المجلدات من أمهات كتب ومراجع الفقه وأصوله, إصدار دار التراث, عمان, الأردن.
٥. برنامج مكتبة التفسير وعلوم القرآن, قرص مدمج يحوي أكثر من ٤٠٠ مجلد من أمهات كتب ومراجع التفسير وعلوم القرآن المختلفة, إصدار دار التراث, عمان, الأردن.
٦. برنامج المكتبة الألفية للسنة النبوية، نسخة تحوي على ١٠٠٠ مجلد من كتب الحديث الشريف، قرص مدمج، دار التراث، الإصدار الأول.
٧. برنامج مكتبة الحديث الشريف على الحاسبة الإلكترونية يحتوي على ٤٥٠ كتاب من كتب الحديث الشريف، قرص مدمج، شركة العريس للكومبيوتر وأنظمة الحواسيب.
٨. برنامج موسوعة الأحاديث القدسية، إنتاج شركة الوسائط التعليمية (أوديوميديا)، الإسكندرية - جمهورية مصر العربية، سنة ٢٠٠١م.
٩. برنامج الموسوعة الإسلامية المعاصرة، قرص مدمج يحوي مئات الكتب من أمهات المراجع الشرعية والفقهية وللغوية، الإصدار الثالث، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٠. برنامج موسوعة بريتانيكا ٢٠٠٢م, مجموعة ٣ أقراص مدمجة لأحدث موسوعة بريطانية لعام ٢٠٠٢م.
١١. برنامج موسوعة الحديث الشريف على الحاسبة الإلكترونية، نسخة تحتوي على الكتب التسعة ومتونها، قرص مدمج، شركة صخر لبرامج الحاسوب.
١٢. برنامج الحضارة الإسلامية، سلسلة أقراص مدمجة تبين الحضارة الإسلامية بتنوع دولها، إنتاج شركة (RDI).
١٣. برنامج موسوعة الدكتور طارق السويدان، آية سوفت للإنتاج والتسويق الفني والبرامجيات، القاهرة- جمهورية مصر العربية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٤. الموسوعة الميسرة في علوم القرآن، قرص مدمج.
١٥. برنامج موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، بيت العرب للتوثيق العصري والنظم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أعمال

للمؤلف

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

أعمال للمؤلف

١. كتاب (**المنظار الهندسي للقرآن الكريم**)، دار المسيرة، عمان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٢. كتاب (**أنت والانترنت- جلّ ما تحتاجه من خدمات الشبكة العالمية-**)، دار الرشد, ١٤٢٢هـ,٢٠٠١م.
٣. كتاب (**القرآن منهل العلوم**), طبع الجامعة الإسلامية, بغداد، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
٤. كراس (**مواصفات الفحوص المختبرية لأعمال الهندسة المدنية**), مع مجموعة من المختصين،١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
٥. كتاب (**القوانين القرآنية للحضارات -النسخة المختصرة، ١٢٥ صفحة من القطع الصغير-**)، طبع ببغداد عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
٦. سلسلة كتب (**ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية-** ١٥ جزءاً-)، مطبعة أنوار دجلة، بغداد –العراق، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.

أ. التأريخ والآثار.
ب. المادة والطاقة.
ت. الفلك.
ث. الأرض.
ج. الرياح والسحب.
ح. المياه والبحار.
خ. النبات والإنبات.
د. الحيوانات والحشرات.
ذ. الطب.
ر. الوراثة والاستنساخ.
ز. الصيدلة والأمراض.
س. الجملة العصبية والطب النفسي.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ش.الأحلام والباراسايكولوجي.
ص. الاقتصاد والاجتماع.
ض. آخر الزمان.

٧.كتاب (**القوانين القرآنية للحضارات - النسخة المفصلة، ٣٢٥ صفحة من القطع الكبير**)،جاهز للنشر.
٨.كتاب (**تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد**)، جاهز للنشر.
٩.عدة بحوث في مجال الهندسة المدنية منشورة في مجلات ومؤتمرات هندسية مرموقة داخل العراق وخارجه.
١٠. عدة بحوث ومقالات في مجال الإعجاز القرآني منشورة في صحف ومجلات ومؤتمرات مرموقة داخل العراق.
١١. عدة أعمال مرئية تلفازية وحاسوبية في محطات محلية وأخرى فضائية عربية.

مشاريع كتب للمؤلف

١.كتاب (استنباط الحلول من أسباب النزول)، قيد التأليف.
٢.كتاب جامعي عن المواد الهندسية، قيد التأليف.
٣.تصاميم شبكات الخدمات المائية والصحية، قيد الإعداد.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوانين القرآنية للحضارات "دراسة قرآنية لأحداث التأريخ"

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السيرة

الذاتية

للمؤلف

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السيرة الذاتية للمؤلف

- الدكتور المهندس خالد فائق صديق العبيدي.
- مواليد بغداد ١٩٦٤م.
- حاصل على شهادة البكولوريوس في الهندسة المد[illegible] الهندسة- جامعة بغداد عام ١٩٨٥م.
- حاصل على شهادة الماجستير في الهندسة الإنشائية / منشآت حديدية- من قسم هندسة البناء والإنشاءات- الجامعة التكنلوجية ببغداد عام ١٩٩٠م.
- حاصل على شهادة الدكتوراه في الهندسة الإنشائية / منشآت معلقة- من قسم هندسة البناء والإنشاءات- الجامعة التكنلوجية ببغداد عام ١٩٩٧م.
- له عدة بحوث في مجال الاختصاص منشورة في مجلات مرموقة داخل العراق وخارجه.
- مشترك في عدة مؤتمرات في مجال الاختصاص داخل العراق وخارجه.
- له عدة كتب في مجال الإعجاز القرآني بعضها منشورة داخل العراق وخارجه وأخرى قيد النشر.
- له عدة بحوث ومقالات في مجال الإعجاز القرآني منشورة في مجلات وصحف مرموقة داخل العراق وخارجه.
- مشترك في عدة مؤتمرات وندوات ومحاضرات في مجال الإعجاز القرآني داخل العراق.
- مشترك في عدة حلقات مرئية تتعلق بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم عرضت في محطات تلفازية محلية وأخرى فضائية عربية.
- عضو المؤتمر العام لنقابة المهندسين العراقيين- الدورة ٢٥- وعضو جمعية المهندسين العراقيين بدرجة استشاري.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- عضو الهيئة الاستشارية لمركز الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الجامعة الإسلامية ببغداد.
- عضو الهيئة التدريسية في قسم هندسة البناء والإنشاءات- الجامعة التكنلوجية ببغداد، ومحاضر سابق في قسم الهندسة المدنية وقسم هندسة البيئة في كلية الهندسة –الجامعة المستنصرية ببغداد.
- مصمم واستشاري لأكثر من ١٨ عاماً في مشاريع مختلفة في العراق.
- متزوج ولله عنده ذرية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com